جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

الدعوة إلى الاعتبار
(دراسة قرآنية)

إعداد
آمنة عبد الكريم عبد الحميد فاخوري

إشراف
د. محسن سميح الخالدي

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.

2014م

الدعوة إلى الاعتبار

(دراسة قرآنية)

إعداد

آمنة عبد الكريم عبد الحميد فاخوري

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2014/1/22م وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة		التوقيع
د. محسن سميح الخالدي	رئيساً / مشرفاً	....
د. مدين جمال أمين	ممتحناً خارجياً	....
د. عودة عبد الله	ممتحناً داخلياً	....

الإهداء

إلى كل من أحب الله ورسوله، وضحى في سبيل نشر دين الخير.

إلى أبي الذي زرع في قلبي أفضل الأخلاق ورباني على حب العلم.

إلى أمي الفاضلة التي ضحت من أجل أن أكون.

إلى زوجي الغالي الذي كان له الفضل في تعليمي.

إلى أبنائي الأعزاء الذين تحملوا غيابي وانشغالي عنهم.

إلى إخوتي وأخواتي وكل من أحبني.

إلى كل هؤلاء أهدي عملي هذا.

الشكر والتقدير

انطلاقاً من قوله تعالى:" لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ "[1].

وقوله عليه أفضل السلام: "من لا يشكر الناس لا يشكر الله"[2].

فإنني أتقدم بخالص الشكر وعظيم الامتنان لكل من مدّ لي يد العون في دراستي هذه، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور محسن سميح الخالدي الذي تكرم بقبول الإشراف على رسالتي هذه والذي كان لتوجيهاته الكريمة أطيب الأثر في خروجها بهذه الصورة.

كما أتقدم بالشكر إلى فضيلة الدكتور: عودة عبد الله عودة، وفضيلة الدكتور: مدين جمال القرم لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، فجزاهما الله كل خير.

وكما أتقدم بالشكر والتقدير إلى إدارة جامعة النجاح الوطنية، وإلى جميع العاملين فيها لما قدموه من مساعدة، وإلى جميع أعضاء الهيئة التدريسية الذين قاموا على تدريسي خلال الفترة الجامعية، وأشكر أيضاً جميع العاملين في مكتبة جامعة النجاح الوطنية، ومكتبة بلدية طولكرم، ومكتبة دار الحديث في طولكرم، وكل من قدم لي المساعدة في إنجاز هذه الرسالة، وكل من أشرف على طباعتها ومراجعتها، فبارك الله لكم جميعاً وجزاكم الله عني كل خير.

---

[1] سورة إبراهيم: آية 7.

[2] الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت: 279هـ): **سنن الترمذي**، ج4، ص339، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، ط2، 1395هـ–1975م، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض. قال عنه الترمذي حديث صحيح. وقال الشيخ الألباني (صحيح)، انظر، الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ): **صحيح الجامع الصغير وزيادته**، ج2، ص1122، المكتب الإسلامي.

إقرار

أنا الموقعة أدناه، مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

الدعوة إلى الاعتبار
(دراسة قرآنية)

A call for learning of past experience
“Quranic study”

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة هي نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أية مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the research’s own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student’s Name:	**آمنة عبد الكريم عبد الحميد فاخوري**	اسم الطالب:
Signature:	....	التوقيع:
Date:	....	التاريخ:

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
الشكر والتقدير	د
الاقرار	هـ
قائمة المحتويات	و
الملخص	ط
المقدمة	1
أهمية البحث	2
أسباب اختيار الدراسة	2
مشكلة الدراسة	3
منهجية الدراسة	3
الدراسات السابقة	4
خطة البحث	5
الفصل الأول: مفهوم الاعتبار وبيان طرقه، وفيه:	6
المبحث الأول: مفهوم الاعتبار	7
المطلب الأول: الاعتبار في اللغة	7
المطلب الثاني: الاعتبار في الاصطلاح	9
المبحث الثاني: الاعتبار في السياق القرآني	11
المطلب الأول: الآيات الواردة في الاعتبار	11
المطلب الثاني: الأشباه والنظائر	14
المطلب الثالث: حكم الاعتبار	20
المبحث الثالث: وسائل وطرق الاعتبار	21
المطلب الأول: النظر	21
المطلب الثاني: التفكر	29
المطلب الثالث: التدبر	34
المطلب الرابع: التذكر والتذكير	36

الموضوع	الصفحة
الفصل الثاني: الأسباب المانعة من الاعتبار، وفيه:	41
المبحث الأول: الكفر	42
المطلب الأول: الكفر في اللغة والاصطلاح، والسياق القرآني	42
المطلب الثاني: أنواع الكفر	43
المطلب الثالث: أسباب الكفر وعدم الاعتبار	44
المبحث الثاني: الإخلاد إلى الترف	50
المطلب الأول: الترف في اللغة والاصطلاح والسياق القرآني	50
المطلب الثاني: أقسام الترف	50
المطلب الثالث: عواقب الترف	53
المبحث الثالث: الغفلة والإعراض عن الآيات والاستهانة بها	56
المطلب الأول: تعريف الغفلة في اللغة، والاصطلاح، والسياق القرآني	56
المطلب الثاني: أسباب الغفلة	57
المطلب الثالث: نتائج الغفلة	60
المطلب الرابع: علاج الغفلة	61
المبحث الرابع: التكبر والغرور	64
المطلب الأول: تعريف التكبر في اللغة والاصطلاح، والسياق القرآني	64
المطلب الثاني: الموصوفون بالتكبر وسماتهم	65
المطلب الثالث: أنواع التكبر وأسبابه	69
المطلب الرابع: نتائج التكبر وعلاجه	70
الفصل الثالث: مجالات الاعتبار في القرآن الكريم، وفيه:	74
المبحث الأول: الاعتبار بما في الكون	75
المطلب الأول: خلق السماوات والأرض	76
المطلب الثاني: خلق الإنسان	85
المطلب الثالث: خلق النبات	96
المطلب الرابع: خلق الحيوان	104
المبحث الثاني: الاعتبار بقصص السابقين	114
المطلب الأول: قصة آدم عليه السلام	115

الصفحة	الموضوع
124	المطلب الثاني: قصة موسى عليه السلام
139	المطلب الثالث: قصة أصحاب الجنة
144	**المبحث الثالث: الاعتبار بأمثال القرآن الكريم**
146	المطلب الأول: ضرب المثل بالبعوضة
149	المطلب الثاني: ضرب المثل بالعنكبوت
154	المطلب الثالث: مثل الحق والباطل
158	**الفصل الرابع: ثمرات الاعتبار، وفيه أربعة مباحث:**
159	**المبحث الأول: تقوية الإيمان بالله تعالى وزيادته**
159	المطلب الأول: مفهوم الإيمان وأسسه
160	المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصه
163	المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالله تعالى
165	**المبحث الثاني: القناعة والزهد في الدنيا**
165	المطلب الأول: مفهوم القناعة والزهد
167	المطلب الثاني: أقسام الزهد
167	المطلب الثالث: فوائد القناعة والزهد
169	**المبحث الثالث: الاطمئنان والسعادة**
169	المطلب الأول: مفهوم الطمأنينة
171	المطلب الثاني: ثمرات الطمأنينة
172	**المبحث الرابع: تقوى الله ومخافته**
172	المطلب الأول: مفهوم تقوى الله ومستلزماتها
172	المطلب الثاني: صفات المتقين في القرآن الكريم
174	المطلب الثالث: أهمية التقوى
176	الخاتمة
178	مسرد الآيات
189	فهرس الأحاديث
190	المراجع
	Abstract

الدعوة إلى الاعتبار

(دراسة قرآنية)

إعداد

آمنة عبد الكريم عبد الحميد فاخوري

إشراف

د. محسن سميح الخالدي

الملخص

إنّ آيات القرآن الكريم تحوي الكثير من الدرر، التي هي بحاجة إلى تدبر وتفكر للخروج بكنوزها التي لا تنضب على مر العصور، ومن هذه الدرر التي استخرجتها من خلال تدبر بعض الآيات الكريمة "الدعوة إلى الاعتبار"، فقمت بدراسة الآيات التي تتعلق بالاعتبار دراسة قرآنية موضوعية.

تقوم هذه الدراسة على جمع الآيات التي تتعلق بالاعتبار سواء حملت لفظ الاعتبار بعينه في طياتها، أو حملت معنى الاعتبار في ثناياها وإن لم تصرح باللفظ، وقد توصلت الدراسة إلى أنّ الاعتبار له عدة معاني لغوية، وهذا ما حواه الفصل الأول من البحث

وقد حثت الآيات الكريمة على أخذ العظة والعبرة، وذلك من خلال الدعوة إلى التدبر والتفكر والنظر، كما قسمت الآيات الاعتبار إلى قسمين: الاعتبار بالمشاهدات، وهذا ما أمر به عزّ وجل عباده، فقال: "فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ "[1].

أما القسم الثاني من الاعتبار، فهو الاعتبار بالمرويات، ومنها قوله تعالى: " لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ "[2].

[1] سورة الحشر: آية 2.

[2] سورة يوسف: آية 111.

وتمّ الحديث عن الألفاظ التي تحمل في طياتها معنى العبرة، وبعد تدبر آيات الاعتبار فقد تمّ استنباط طرق ووسائل تؤدي إلى أخذ العبرة والعظة، هذه الطرق هي: النظر، والتفكر، والتدبر، والتذكر.

أما الفصل الثاني فقد اشتمل على الأسباب المانعة من الاعتبار، وأهم هذه الأسباب: الكفر، والإخلاد إلى الترف، والغفلة والإعراض عن الآيات، والتكبر والغرور.

أما الفصل الثالث، فقد اشتمل على مجالات الاعتبار في القرآن الكريم، ومن أهم هذه المجالات: الاعتبار بما في الكون من آيات، وهذه الآيات تشمل: خلق السموات والأرض، وخلق الإنسان، وخلق النبات، وخلق الحيوان، ثم الاعتبار بقصص السابقين، وقد اختارت الباحثة من هذه القصص: قصة آدم عليه السلام، وقصة موسى عليه السلام، وقصة أصحاب الجنة.

ثم الاعتبار بأمثال القرآن، وقد تمّ عرض ثلاثة أمثال قرآنية فيها العبرة والعظة، وهذه الأمثال هي: مثل البعوضة، ومثل العنكبوت، ومثل الحق والباطل.

أما الفصل الرابع فيتحدث عن ثمرات الاعتبار، وأهم هذه الثمرات: زيادة الإيمان بالله عزّ وجل، والقناعة والزهد في الدنيا، ثمّ الاطمئنان والسعادة، وتقوى الله تعالى ومخافته.

مقدمة:

الحمد لله الذي علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإنّ القرآن كتاب الله الخالد، أنزله الله سبحانه على نبيه محمد ﷺ ليكون معجزة تتحدى البشر عامة، والعرب خاصة في كل زمان ومكان، وهذا التحدي مستمر إلى أن تقوم الساعة. فهذا الكتاب الرباني يحوي من الكنوز والدرر التي لا تنضب، لذا كان محطّ أنظار العلماء، وحقل بحث الفقهاء، والبحر الذي يغوص به المفسرون في كل عصر وحين.

ومن أهم الدرر القرآنية التي حوتها آيات الكتاب المبين موضوع الاعتبار والدعوة إليه من خلال المشاهدات التي خلقها الله عزّ وجل في هذا الكون الفسيح، وهذه المشاهدات كثيرة ومتنوعة، تحتاج إلى نظر وتفكر، لذا فقد خُص هذا القسم من الاعتبار بذوي الأبصار، وذوي العقول، هؤلاء هم المؤمنون الذين وصفهم الله عزّ وجل بقوله: "وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ "[1].

أما الكافرون فقد وصفهم الله عزّ وجل بقوله: " صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ "[2] فهؤلاء حرموا من نعمة النظر والاعتبار بما هو مشاهد في هذا الكون.

إنّ من أقسام الاعتبار: الاعتبار بالمرويات، وهذا كثير ومتعدد في القرآن الكريم، ويمكن القول: إنّ معظم القرآن الكريم من هذا القسم، ومن المرويات الجديرة بالتدبر والاعتبار: قصص الأمم السابقة، وما حلّ بها عند عدم انصياعها لأوامر خالقها.

وتعد الأمثال القرآنية من الأساليب التي استخدمها القرآن الكريم لأخذ العبرة والعظة، وذلك بعد التدبر والتفكر في سرّها.

---

[1] سورة آل عمران: آية 191.

[2] سورة البقرة: آية 18.

وهذا الموضوع القرآني الشيق له ثمرات طيبة يجنيها من سلك هذا الطريق، واتبع سبيله، ولعلّ هذه الرسالة تجلّي في ثناياها ثمار الاعتبار.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

أهمية البحث:

تكتسب الدراسة أهميتها في كونها ستبحث في موضوع ذا أهمية بالغة، إذ إنه مهم للفرد في حياته الدنيا وكذلك في الحياة الآخرة، فإنّ الاعتبار الناشىء عن التفكر والنظر والتدبر لآيات الله القرآنية، وكذلك آيات الله الكونية له عظيم الأثر في استقامة الإنسان على طريق الحق. خاصة بعد أن شاهد وسمع عن عاقبة المكذبين بهذه الآيات.

وكذلك فإنّ الدراسة تحذّر أصحاب القلوب القاسية الذين لهم آذان لا يسمعون بها، ولهم عيون لا يبصرون بها تحذرهم من عدم الاعتبار بمصارع الأمم، وتحوّل النعم، وحلول النقم.

وكذلك تبين الدراسة الأسباب التي قد تقف حائلاً أمام أخذ العبرة والعظة؛ لنعمل على علاجها وتفاديها بإذن الله.

أسباب اختيار الدراسة:

لقد وقع اختيار الباحثة على هذا الموضوع لأمور عدة أهمها:

1. العمل على نشر هذا الدين العظيم، وإلقاء الضوء على حقيقة الاعتبار وبيان أساليب القرآن في الدعوة إليه.
2. عدم وجود دراسة علمية مستقلة تطرقت إلى هذا الموضوع بشكل كامل.
3. انشغال معظم الناس بحطام الدنيا الزائل، فلا يمنحوا عقولهم وعيونهم وقلوبهم لحظات من وقتهم للتأمل والتفكر والتدبر من أجل أخذ العبرة.

4. إغناء المكتبة الإسلامية وإرفاد الدراسات القرآنية بمثل هذا الموضوع.

مشكلة الدراسة:

جاءت هذه الدراسة لتجيب على العديد من الأسئلة التي يمكن أن تطرح حول موضوع الاعتبار، ومن هذه التساؤلات:

1. ما هو الاعتبار في اللغة والاصطلاح؟
2. ما هي الأسباب التي قد تقف حائلاً أمام الاعتبار؟ وهل يمكن تفاديها وعلاجها؟
3. ما هي مجالات الاعتبار؟
4. هل للاعتبار فوائد؟

هذه الأسئلة وغيرها ستجيب عنها الباحثة من خلال هذه الدراسة.

منهجية الدراسة:

تتلخص المنهجية التي تقوم عليها هذه الدراسة باتباع المنهج الاستقرائي ثم المنهج التحليلي، وذلك بجمع الآيات التي تتعلق بموضوع الاعتبار، وتحليلها من خلال الرجوع إلى كتب التفسير، وذلك لاستنباط ما فيها من معانٍ ومفاهيم تربوية تتعلق بموضوع الدراسة، ومن ثم ترتيب هذه المعلومات حسب ما تقتضيه الدراسة.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع بما تيسر من كتب ومراجع وفي شبكة الانترنت، فقد تبين للباحثة أنه لم يبحث في هذا الموضوع بالشكل الذي تريده الباحثة، حيث إن هذا الموضوع لم يبحث بشكل علمي ومنهجي مستقل، وإنما تم تناوله من خلال من كتب التفسير، ولكن بشكل جزئي دون أن يعطي حقه في البحث، وأهم الدراسات السابقة:

1. كتاب لابن أبي الدنيا بعنوان" الاعتبار وأعقاب السرور" وقد اقتصر على أقوال وآثار التابعين.
2. رسالة ماجستير بعنوان "الاعتبار بالآثار" وهي دراسة موضوعية قدمتها الباحثة هدى حسن الطويل، عام 2005م، جامعة بيروت الإسلامية، ولم أتمكن من الاطلاع عليها.
3. كتاب "الاعتبار" لأسامة بن منقذ، دراسة موضوعية.
4. مجالات التفكر وجوانبه في آيات القرآن الكريم، محمد بن داوود. دراسات الجزائر، العدد 2008/9.
5. التفكر في الكون وفي الإنسان بين العبادة والعلم. د. مالك بدري، مجلة كلية العلوم الاجتماعية، العدد 1982/6.
6. التربية الإسلامية بالتأمل في الكون. المؤتمر الخامس للتربية الإسلامية – مصر – 1987م.

خطة البحث:

الفصل الأول: مفهوم الاعتبار وبيان طرقه، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الاعتبار

المبحث الثاني: الاعتبار في السياق القرآني

المبحث الثالث: وسائل وطرق الاعتبار

الفصل الثاني: الأسباب المانعة من الاعتبار، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: الكفر

المبحث الثاني: الترف

المبحث الثالث: الغفلة والإعراض عن الآيات والإستهانة بها

المبحث الرابع: التكبر والغرور

الفصل الثالث: مجالات الاعتبار في القرآن الكريم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاعتبار بما في الكون من آيات

المبحث الثاني: الاعتبار بقصص السابقين

المبحث الثالث: الاعتبار بأمثال القرآن

الفصل الرابع: ثمرات الاعتبار، وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تقوية الإيمان بالله وزيادته

المبحث الثاني: القناعة والزهد

المبحث الثالث: الاطمئنان والسعادة

المبحث الرابع: تقوى الله ومخافته

الفصل الأول

مفهوم الاعتبار، وبيان طرقه

المبحث الأول: مفهوم الاعتبار.

المبحث الثاني: الاعتبار في السياق القرآني.

المبحث الثالث: وسائل وطرق الاعتبار.

الفصل الأول

مفهوم الاعتبار، وبيان طرقه

المبحث الأول: مفهوم الاعتبار:

في هذا المبحث تعريف الاعتبار في اللغة، وفي الاصطلاح.

المطلب الأول: الاعتبار في اللغة:

الاعتبار في اللغة مصدر مشتق من الفعل الثلاثي "عَبَرَ"، والذي ورد في معاجم اللغة على عدة معان هي:

1- عبَّر يُعبّر الرؤيا تعبيراً، عبرها يعبرها عبراً وعبارة، إذا فسّرها، وعبرت النهر عبوراً، وعِبرُ النهر شطه.

وناقة عُبرُ أسفارٍ، أي: لا تزال يسافر عليها... والمَعْبَرُ شط النهر الذي هيىء للعبور. والمعبر مَرْكِب يعبر بك، أي: يقطع بلداً إلى بلد. والمَعْبرَةُ: سفينة يُعْبَرُ عليها النهر. وعَبَّرتُ عنه تعبيراً، إذا عيّ من حجته فتكلمت بها عنه... وعبرت الدنانير تعبيراً وزنتها ديناراً دينارا. ورجل عابر سبيل، أي: مار طريق. والعِبرة: الاعتبار لما مضى، والعَبير: ضرب من الطيب[1].

2- "والعَبْرَة بالفتح: الدمعة، وقيل: هو أن ينهمل الدمع ولا يسمع البكاء، وقيل: هي الدمعة قبل أن تفيض، أو: هي تردد البكاء في الصدر، أو: هي الحزن بلا بكاء والصحيح الأول"[2].

---

[1] الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: 175هـ): **كتاب العين**، تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، ج2، دار مكتبة الهلال، ص129-130، بتصرف.

[2] الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ): **تاج العروس من جواهر القاموس**، ج 12، ، دار الهداية، ص504.

3- والعُبْرُ: سُخْنَةُ العين، كأنه يبكي لما به، والعُبرُ: الكثير من كل شيء. والعُبْرُ: قبيلة، وقيل: الثكلى، وقيل: السحائب تعبر عبوراً، أي: تسير سيراً شديداً"[1].

4- "وعبّر عن ما في نفسه: أعرب وبين"[2].

5- "والعِبَر جمع عبرة، وهي كالموعظة، مما يتعظ به الإنسان ويعمل به، ويعتبر ليستدل به على غيره"[3].

وهذا المعنى الأخير هو الذي يهم الباحثة في دراستها القرآنية لموضوع الاعتبار.

6- وتأتي العِبرة بمعنى البصيرة يقال: " أمالك بصيرة في هذا، أي عبرة تعتبر بها"[(4)] . وفي التنزيل قوله تعالى: "فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ "[5].

أي: "تدبروا وانظروا فيما نزل بقريظة والنضير، فقايسوا أفعالهم واتّعِظوا بالعذاب الذي نزل بهم"[6].

7- وعبر " يدل على النفوذ والمضي في الشيء"[7]. فإذا قلت: اعتبرت الشيء فكأنك نظرت إلى الشيء فجعلت ما يعنيك عبراً لذاك فتساويا عندك". والعابر: الناظر إلى الشيء، والمعتبر: المستدل بالشيء على الشيء[8].

---

[1] الزبيدي: **تاج العروس من جواهر القاموس** مرجع سابق، ج12، ص 505-507، بتصرف

[2] المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ): **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ج2، ص130، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.

[3] ابن منظور، محمد بن مكرم (ت711: هـ): **لسان العرب**، ج4، ص531، دار صادر - بيروت، ط3، 1414هـ.

[4] الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: 770هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**،ج1، ص50، المكتبة العلمية- بيروت.

[5] سورة الحشر: آية 2.

[6] الأزهري، محمد بن أحمد (ت: 370هـ): **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، ج2، ص230، دار احياء التراث العربي- بيروت، ط1،2001م.

[7] ابن فارس أحمد بن زكريا (ت: 395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ج4، ص 207، دار الجيل - لبنان، ط2، 1420هـ-1991م.

[8] المرجع السابق، ج4، ص210، **ولسان العرب**، ج4، ص530، **وتاج العروس**، ج12، ص510.

وبهذا يتبين للباحثة أنّ العبرة لها معان عدّة تختلف باختلاف تحريكها، فعَبَر بالفتح من العبور وهو الانتقال من شيء إلى آخر، وعَبّر بالتشديد من التعبير، وهو التفسير والبيان، وعُبْرُ بالضم وهو الدمع ومنه العَبْرَة.

والعُبْر بالضم أيضاً جاءت بمعانٍ كثيرة، فقد تكون سُخْنَةُ العين، وقد تكون الكثير من الشيء، وتكون القبيلة، وتكون السحائب.

المطلب الثاني: الاعتبار في الاصطلاح:

الاعتبار: هو التدبر والنظر[1].

وعرّف أبو البقاء الكفوي الاعتبار بأنه: "النظر في حقائق الأشياء وجهات دلالتها، ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها"[2].

وقيل: "هو التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر"[3].

وقيل إنه: "الحالة التي يتوصل بها من معرفة المشاهد إلى غيره"[4].

وعند أهل الأصول فإنّ الاعتبار هو قياس الشيء بالشيء[5].

وعرّف ابن الجوزي العبرة بأنها: "الدلالة الموصلة إلى اليقين، المؤدية إلى العلم، وهي من العبور كأنه طريق يعبر به ويتوصل به إلى المراد. وقيل: العبرة الآية التي يعبر منها من منزلة

---

[1] انظر، الفيروز آبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ): **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، ج5، ص82، لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة،

[2] الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ): **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، ج1، ص147، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1419هـ- 1998م،

[3] المرجع السابق، ج1، ص147.

[4] المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت: 1031هـ): **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. رضوان الداية ، ج1، ص 499، دار الفكر المعاصر- بيروت، ط1، 410هـ.

[5] السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمدبن زكريا الأنصاري (ت: 926هـ): **غاية الوصول في شرح لب الأصول**، ج1، ص116، دار الكتب العربية الكبرى – مصر.

الجهل إلى العلم والأبصار: العقول والبصائر"[1]. وعُرف الاعتبار أيضاً بالاتعاظ، وتكون بمعنى "اعتداد بالشيء في ترتيب الحكم نحو قولهم العبرة بالعقب"[2].

و"الاعتبار أو العبرة أسلوب تربوي قرآني يقوم على انتقال الذهن من قصة، أو واقعة مشهودة، أو محكية إلى ما يقابلها أو ما يشابهها، أو يناظرها من أحوال الناس أو المتعلمين، أو ما يتوقع أن تؤول إليه أحوالهم، أو أحوال شعب ما، أو مجتمع ما، قياساً على هذه القصة لأن مقدماتها وأحوال أبطالها تشبه ما عليه هذا الفرد المعتَبِر، أو هذا الشعب، أو هذا المجتمع، فيجب أن يكون المصير والمآل متشابهاً كما تشابهت المقدمات، وقد تكون العبرة انتقال الفكر من بعض مظاهر القدرة إلى توحيد الله والإذعان له بالألوهية"[3].

يلاحظ أن ما ذكره أهل العلم من تعاريف للاعتبار هي أقوال متشابهة، يختلف بعضها عن بعض في الصياغة والأسلوب، ويزيد بعضها عن بعض بضوابط إضافية لإثراء المعنى، ومن المعلوم أنه يفترض في التعريف أن يكون مختصراً، مُعَبِّرًا، جامعًا، مانعاً، لذلك فإننا يمكن أن نستفيد من التعريف الثاني الذي ذكره الكفوي وهو: "التدبر وقياس ما غاب على ما ظهر" ليكون التعريف كالآتي: **الاعتبار هو النظر في القرآن الكريم، وقياس ما غاب على ما ظهر لزيادة الإيمان، وأخذ العبرة والعظة.**

ومن الملاحظ أيضاً أن هناك علاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي، فكلاهما فيه انتقال من مرحلة إلى أخرى. وانطلاقاً من هذا الاستنتاج يمكن التوصل إلى أن الاعتبار حالة ذهنية داخلية يتوصل بها المعتبر بعد النظر والنظر فيما يرى ويسمع إلى حالة من الإيمان، والتصديق، والإذعان لقدرة الله عزّ وجل وحكمه.

---

[1] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ): **زاد المسير في علم التفسير**، ج1، ص358، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1404هـ.

[2] المناوي: **التعاريف**، ج1، ص501.

[3] النحلاوي، عبد الرحمن: **التربية بالعبرة**، ص17، دار الفكر – دمشق، ط1، 1997م.

المبحث الثاني: الاعتبار في السياق القرآني:

المطلب الأول: الآيات الواردة في الاعتبار:

بعد استعراض الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ العبرة، فقد تبين للباحثة أنّ لفظ الاعتبار ورد في كل الآيات بلفظ "عِبْرَة" في القرآن الكريم، وورد في موضع واحد بصيغة الأمر، وهو في سورة الحشر، حيث ورد فيها الأمر بالاعتبار، فقال عزّ وجل: "فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ "[1] مما يدل على وجوب الاعتبار، فالأمر يفيد الوجوب إذاً.

وقد استخدم لفظ العبرة نيابة عن الاعتبار، وورد لفظ "عِبْرَة" سبع مرات في القرآن الكريم، وتفصيل الآيات على النحو الآتي:

الرقم	الآية القرآنية	رقمها	السورة	المقصود منها
1.	قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿١٣﴾	13	آل عمران	الاعتبار بالمشاهدات
2.	لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِۗ مَا كَانَ حَدِيثٗا يُفۡتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصۡدِيقَ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَتَفۡصِيلَ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿١١١﴾	111	يوسف	الاعتبار بالمرويات
3.	وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ﴿٦٥﴾ وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ	65-66	النحل	الاعتبار بالمشاهدات

[1] سورة الحشر: آية 2.

	لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾			
.4	وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾	21	المؤمنون	الاعتبار بالمشاهدات
.5	يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾	44	النور	الاعتبار بالمشاهد
.6	هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ ۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ ۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ	2	الحشر	الاعتبار بالمشاهد
.7	هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾	26–15	النازعات	الاعتبار بالمرويات

الملحوظات:

بعد تدبر الآيات الداعية إلى الاعتبار الآنفة الذكر، فإنّ أهم ما يلاحظ عليها:

1. الآيات المشتملة على هذا اللفظ هي سبع آيات في سبع سور: ثلاثة منها مدنية وهي (آل عمران، النور، الحشر)، وأربعة منها مكية وهي (النحل، المؤمنون، يوسف، النازعات).

2. أنّ لفظ (عبرة) في الآيات السابقة جاءت مقترنة باللام في خمسة مواضع، وهذه اللام موطئة للقسم. وجاءت في موضع واحد بصيغة الأمر (فاعتبروا) مما يدل على وجوب الاعتبار.

3. ويلاحظ أيضاً أنّ الآيات التي اشتملت على لفظ (عبرة) جاء هذا اللفظ فيها مسبوقاً بأنّ في خمسة مواضع مما يدل على التوكيد.

4. أنَّ الآيات السابقة قسّمت الاعتبار إلى قسمين رئيسيين هما: الاعتبار بالمشاهدات، والاعتبار بالمرويات (القصص).

5. أنّ الأسلوب المستخدم في الآيات السابقة مختلف: فتارة يكون بأسلوب قصصي مشوق كما في الآيات من سورة يوسف والنازعات، وتارة أخرى يكون بأسلوب استفهامي كما في سورة النور،

وتارة ثالثة يكون بأسلوب إنشائي حواري كما في سورة آل عمران، والنحل، والمؤمنون، والنور، والحشر[1].

6. " أنّ هذه الآيات جاءت تارة للدلالة على قدرة الله على نصرة رسوله وعباده المؤمنين وإهلاك أعدائهم كما في سورة آل عمران، وسورة الحشر، أيضاً العبرة الواردة في سورة يوسف، وتارة للدلالة على خلق الله وإبداعه، وحكمته، وإتقانه فيما صنع. وهي من آيات الله الكونية. كما في سورة النحل، وسورة النور، وسورة المؤمنون"[2].

7. أنّ الاعتبار حالة خاصة بذوي الأبصار، وذوي العقول، وبمن خشي ربه.

[1] انظر النحلاوي، **التربية بالعبرة**، ص18.

[2] النحلاوي، **التربية بالعبرة**، ص18.

8. أنّ الكفار المشركين، والعصاة لا يمكن أن يعتبروا بآيات الله، وذلك لأنّ الله عزّ وجل ختم: "عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ "[1].

المطلب الثاني: الأشباه والنظائر:

ورد في القرآن الكريم ألفاظ تحمل في طياتها معنى العبرة والاعتبار، وفيما يلي بيان ذلك:

أ- الآية:

جاءت الآية في بعض مواضع القرآن الكريم بمعنى العبرة، ومن هذه المواضع:

1- **قوله تعالى:**" إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ **لَأَيَٰتٍ** لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "[2].

"هذه الآيات قد جمعت من آياته الدالة على وحدانيته، وقدرته، ما صار لذوي العقول مرشداً، وإلى الحق قائدًا، فلم يقتصر الله بنا على مجرد الإخبار حتى قرنه بالنظر والاعتبار"[3].

2- **وقوله تعالى:** وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ **لَأَيَةً** لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْأَخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ "[4] "يعني إن في هلاك القرى لعبرة "[5].

---

[1] سورة البقرة: آية 7.

[2] سورة البقرة، آية 164.

[3] الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ): **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد، ج1، ص218، دار الكتب العلمية- بيروت.

[4] سورة هود: آية 102-103.

[5] مقاتل، بن سليمان بن بشير البلخي (ت: 150هـ): **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: أحمد فريد، ج2، ص132، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1424هـ-2003م.

3- **وقوله تعالى﴿٧٤﴾** "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ "[1].

ذكر ابن الجوزي عدة معان للمتوسمين منها: المتفرسين، المعتبرين، الناظرين والمتفكرين[2].

4- **وقوله تعالى:**"أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ "[3].

"نبه على عظمته وقدرته، وأنهم لو رأوا بقلوبهم، ونظروا ببصائرهم، لعلموا أنه الذي يستحق أن يعبد إذ هو القادر على كل شيء" [4].

ب- التذكرة:

التذكرة في اللغة مشتقة من الفعل الثلاثي ذكر، وهي بمعنى الحفظ للشيء، والذكر بكسر الذال يعني الشيء يجري على اللسان، والاسم منه ذكرى، وهي نقيض النسيان، والتذكرة ما تستذكر به الحاجة[5].

تذكرة: يعني عبرة، فمن شاء اتخذ في هذه التذكرة فيعتبر، فيشكر الله ويوحده، ويتخذ طريقاً إلى الجنة[6].

وفيما يلي بعض الآيات التي جاءت فيها التذكرة بمعنى العبرة والموعظة:

---

[1] سورة الحجر: آية 72-77.

[2] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ج4، ص410.

[3] سورة الشعراء: آية 7-8.

[4] القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ج13، ص90، دار الشعب -القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م.

[5] انظر، ابن منظور: **لسان العرب**، ج4، ص308.

[6] مقاتل بن سليمان: **تفسير مقاتل**، ج3، ص434، بتصرف.

1. **قال تعالى:** "إِنَّ هَٰذِهِۦ **تَذۡكِرَةٞۖ** فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا "[1].

2. **قال تعالى:** "كَلَّآ إِنَّهُۥ **تَذۡكِرَةٞ**"[2].

"أي: القرآن موعظة وتوبة لمن اتعظ، وتذكر. وخص الذاكرين بالذكر لأنهم المنتفعون بالذكرى"[3].

3. **قال تعالى**" : وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ **ذِكۡرَىٰ** لِلذَّٰكِرِينَ "[4].

"وذكرى: عبرة وعظة، وللذاكرين: أي المعتبرين المتعظين"[5].

جــ- المثل:

يأتي المثل في اللغة بمعنى الشبه، أو الشيء الذي يضرب مثلاً فيجعل مثله، والمثل الحديث نفسه، وقد يكون المثل بمعنى العبرة[6]، ومن ذلك:

1. **قوله تعالى:**" فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا **وَمَثَلٗا** لِّلۡأٓخِرِينَ "[7].

جاء هذا في سياق الحديث عن فرعون وقومه، حيث قابل دعوة الله بالاستهزاء والسخرية رغم الآيات التي أيدّ الله تعالى بها رسوله موسى عليه السلام، فكانت عقوبتهم

---

[1] سورة الإنسان: آية 29.

[2] سورة المدثر: آية 54.

[3]

[4] سورة هود آية: 114.

[5] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هــ): **تفسير المراغي**، ج12، ص94، شركة مكتبة مصطفى البابي – مصر، ط1، 1365هــ-1946م.

[6] الأزهري: **تهذيب اللغة**، ج15، ص70-71، بتصرف

[7] سورة الزخرف: آية 56.

الإغراق، فجعلوا عبرةً لمن جاء بعدهم. ومعنى "وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ" أي: "عبرة لمن يجيء بعدهم"[1].

2. وقوله تعالى: "وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ "[2].

أي: أنّ في خلق عيسى عليه السلام من غير أب عبرة لمن تأمل وتفكر، مثله كمثل آدم عليه السلام.

د. النكال:

النكال في اللغة مشتق من نكل بكسر النون، وتعني القيد، ويقال: نكّل به تنكيلاً إذا جعله نكالاً وعبرة لغيره[3].

ومنه قوله تعالى: " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ "[4].

هذا في سياق الحديث عن بني إسرائيل، ونكثهم للعهود، حيث منعوا من الصيد يوم السبت، وأمروا بالتفرغ للعبادة، فلم ينصاعوا لأوامر نبيهم، فمسخوا قردة. وقوله تعالى: " فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ " يعني المسخة جعلت عبرة تنكل من اعتبر بها، أي تمنعه... فهي عبرة لِما قبلها، وما بعدها من الأمم والقرون؛ لأن مسختهم ذكرت في كتب الأولين فاعتبروا بها، واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين[5].

---

[1] الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ): **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، ج2، ص976، دار القلم والدار الشامية- دمشق، بيروت، ط1، 1415هـ.

[2] سورة الزخرف: آية 57.

[3] انظر، الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ج5، ص1835، دار العلم للملايين - بيروت، ط4، 1407هـ-1987م.

[4] سورة البقرة: آية 66.

[5] انظر، الزمخشري، محمود بن عمرو بن أحمد (ت: 538هـ): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق عبد الرزاق المهدي، ج1، ص176، دار إحياء التراث العربي - بيروت،

2. وقوله تعالى: "وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا **نَكَٰلٗا** مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ"[1].

قطع يد السارق والسارقة حكم من أحكام الشريعة الإسلامية؛ وذلك ليكون عبرةً لكل من تسول له نفسه الإعتداء على أموال الآخرين بالسرقة.

و. الموعظة:

"والموعظة: النصح والتذكير بالعواقب"[2].

والوعظ "الأمر بفعل الخير وترك الشر بطريقة فيها تخويف وترقيق يحملان على الامتثال"[3].

1. ومنه قوله تعالى:" هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى **وَمَوۡعِظَةٞ** لِّلۡمُتَّقِينَ "[4].

"إيضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب، يعنى: حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعنى أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين"[5].

"وَهُدٗى **وَمَوۡعِظَةٞ** لِّلۡمُتَّقِينَ" يعني: "أنه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين، فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين"[6].

---

[1] سورة المائدة: آية 38.

[2] ابن منظور: لسان العرب، ج7، ص466.

[3] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد (ت: 1393هـ): **التحرير والتنوير**، ج5، ص108، الدار التونسية – تونس، 1984م.

[4] سورة آل عمران: آية 138.

[5] الزمخشري: **الكشاف**، ج1، ص418.

[6] **المرجع السابق.**

2. وقوله تعالى: " وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ **وَمَوْعِظَةً** لِّلْمُتَّقِينَ "[1].

أي: أنزلنا إليكم أيها الناس دلالات وعلامات مبينات، يقول مفصلات الحق من الباطل وموضحات ذلك، ومثلا من الذين خلوا من قبلكم من الأمم، وموعظة لمن اتقى الله، فخاف عقابه، وخشي عذابه[2].

3. **وقوله تعالى:**" ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ **مَوْعِظَةٌ** مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ "[3].

تبين هذه الآية عقوبة آكل الربا يوم القيامة، فعندما يبعث الناس من قبورهم يوم القيامة، يأتي آكل الربا كالذي يتخبطه الشيطان من المس أي الجنون، يقومون ويسقطون لأن الله أربى الربا في بطونهم يوم القيامة حتى أثقلهم، فلا يقدرون على الإسراع[4].

4. **وقوله تعالى:** "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ "[5].

وفي هذا" قطع لعذر المشركين، وتسجيل عليهم بالتمرد بأن الله تفضل عليهم بالرزق والموعظة، والإرشاد، فقابلوا ذلك بالكفر دون الشكر "[6].

---

[1] سورة النور: آية 34.

[2] انظر، الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، ج18، ص134، دار الفكر – بيروت، 1405هـ.

[3] سورة البقرة: آية 275.

[4] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، ج1، ص330.

[5] سورة يونس: آية 57.

[6] ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1284هـ): **التحرير والتنوير**، ج11، ص211، دار سحنون – تونس،1997م.

المطلب الثالث: حكم الاعتبار:

يقول عز وجل: "فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ "[1].

أمرنا الله عزّ وجل في هذه الآية بالاعتبار، وهو أمر واضح وصريح، "وهو أمر للكل بالاعتبار، وذلك يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم"[2].

وكما هو معروف عند الفقهاء المسلمين، فإن الأمر يفيد الوجوب، "والفاء هنا الفصيحة، أي: إذا تدبرتم هذا وعقلتموه فاتعظوا بحالهم ولا تغدروا، واعتبروا فعل أمر وفاعل"[3].

---

[1] سورة الحشر: آية 2.

[2] الزحيلي: **التفسير المنير**، ج17، ص105.

[3] درويش، محي الدين (ت: 1402هـ): **إعراب القرآن وبيانه**، ج2، ص34، دار الإرشاد للشؤون الجامعية – حمص، ط4، 1415هـ.

المبحث الثالث: وسائل وطرق الاعتبار:

المطلب الأول: النظر:

إنّ النظر هو الخطوة الأولى في طريق الوصول إلى الاعتبار والاتعاظ، ولا يأتي النظر إلا عن طريق تأمل هذا الكون الفسيح، بما فيه من آيات دالة على عظمة الخالق، وحسن تدبيره وتقديره.

النظر في اللغة اسم مشتق من الفعل نَظَرَ إليه ينظرُ نَظَراً... وتقول: نَظَرْتُ إلى كذا وكذا من نَظَر العين ونَظَر القلب[1].

أما في الاصطلاح فالنظر: تأمل الشيء بالعين... والنظر أيضا: تقليب البصيرة لإدراك الشيء ورؤيته، وقد يراد به التأمل والفحص، وقد يراد به المعرفة الحاصلة بعد الفحص. وقوله تعالى: " أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ "[2] يراد به الحث على تأمل حكمته فى خلقها[3].

فالنظر حالة داخلية يشترك فيها القلب والعين معاً للوصول إلى الراحة والاطمئنان النفسي.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تأمر بالنظر، والتدبر والتفكر في مخلوقات الله سبحانه، منها:

---

[1] الفراهيدي: **العين**، ج8، ص154.

[2] سورة الأعراف: آية 158.

[3] انظر، الفيروز آبادي: **بصائر ذوي التمييز**، ج5، ص82.

1. النظر في خلق السماوات والأرض:

قال **تعالى**: "إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "[1].

وقال تعالى: " قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ "[2] .

وقال تعالى: " إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِي ٱلْأَلْبَٰبِ " [(3)].

حثّ الله عزّ وجل الإنسان في هذه الآيات على النظر في السماوات والأرض، فالآية في السماوات سمكها وارتفاعها من غير عمد، وما يرى فيها من شمس، وقمر، ونجوم، وكواكب. والآية في الأرض مدها وبسطها، وسعتها، وما يرى فيها من الأشجار، والأنهار، والجبال، والبحار وما يجري فيها من سفن، ثم يذكر الليل والنهار، وتعاقبهما في الذهاب والمجيء، ثم يذكر المطر الذي ينزل من السماء، فيحيي به الأرض بعد يبسها وجدوبتها، والرياح التي سخرها الله وما فيها من فوائد [4].

كل ذلك آيات كونية شاهدة على قدرة الله، وعظمته وهذه الآيات خاصة بذوي العقول " ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ " [5].

---

[1] سورة البقرة: آية 164.

[2] سورة يونس: آية 101.

[3] سورة آل عمران: 190.

[4] البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: 510هـ): **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ج1، ص196، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1420هـ، بتصرف.

[5] سورة آل عمران: آية 191.

2. النظر في خلق الإنسان:

نحو **قوله تعالى:** "وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ"[1].

وقوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاء إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئاً وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ"[2].

في هذه الآيات دعوة صريحة موجهة للإنسان للنظر في نفسه، وذلك من خلال عرض مفصل لمراحل خلقه. بدءاً من خلق أبي البشر آدم عليه السلام. حيث إنّ الله عزّ وجل خلقه من تراب، ثم بعد ذلك ذكر تكاثر البشر عن طريق النطفة، ثم من المضغة، ثم من العلقة، ثم تحدث عن مراحل حياة الإنسان من الطفولة إلى الشيخوخة. وفي هذا كله عبرة لمن تدبر وتأمل وتفكر.

وهذه الآيات موجهة لمنكري البعث أي: "إن شككتم في بعثكم فتدبروا أمر خلقكم وابتدائكم، فإنكم لا تجدون في القدرة فرقا بين الابتداء والإعادة"[3].

3. النظر في عالم النبات:

قال **تعالى:**" أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ "[4].

هذه آية أخرى من الآيات الكونية الدالة على عظمة الله وقدرته على البعث، يتحدى بها الله عزّ وجل المنكرين للبعث. هذه الآية هي صورة الأرض الجرز، أي: اليابسة التي لا نبات

---

[1] سورة الذاريات: آية 21.

[2] سورة الحج: آية 5.

[3] ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ج5، ص406.

[4] سورة السجدة: آية 27

بها[1]، كيف أنّ الله قادر على إحيائها بعد إنزال المطر عليها، فيخرج منها النبات أنواعاً شتى، يستفيد منه الإنسان والحيوان.

تبدأ هذه الآية بالاستفهام الإنكاري، حيث ينكر الله سبحانه على هؤلاء الكافرين المكذبين للبعث، ويختم باستفهام إنكاري مرةً أخرى، فيقول: " أَفَلَا يُبْصِرُونَ" وكأنه ينكر على هؤلاء المكذبين عدم استخدامهم لأبصارهم في رؤية هذه الآيات الشاهدة على قدرة الله، أي: أفلا يرون ذلك بأعينهم، فيعلموا أنّ القدرة التي بها فعلنا ذلك لا يتعذر عليها أن تحيى الأموات، وتنشرهم من قبورهم، وتعيدهم بهيئاتهم التي كانوا عليها قبل موتهم؟[2].

4. النظر في الطيور:

نحو **قوله تعالى:** "أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ"[3].

يعلق سيد قطب على هذه الآية قائلًا: "هذه الخارقة التي تقع في كل لحظة، تنسينا بوقوعها المتكرر، ما تشي به من القدرة والعظمة. ولكن تأمل هذا الطير، وهو يصف جناحيه ويفردهما، ثم يقبضهما ويضمهما، وهو في الحالين: حالة الصف الغالبة، وحالة القبض العارضة يظل في الهواء، يسبح فيه سباحة في يسر وسهولة، ويأتي بحركات يخيّل إلى الناظر أحياناً أنها حركات استعراضية لجمال التحليق والانقضاض والارتفاع! تأمل هذا المشهد، ومتابعة كل نوع من الطير في حركاته الخاصة بنوعه، لا يمله النظر، ولا يمله القلب، وهو متعة فوق ما هو مثار تفكير وتدبر في صنع الله البديع، الذي يتعانق فيه الكمال والجمال!"[4].

---

[1] المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ): **تفسير المراغي**، ج21، ص119، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي- مصر، ط1، 1365هـ-1946م.

[2] انظر، الطبري: **جامع البيان**، ج20، ص198.

[3] سورة الملك: آية 19.

[4] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ): **في ظلال القرآن**، ج6، ص3642، دار الشروق - بيروت، القاهرة، ط17، 1412هـ.

5. النظر وأخذ العبرة من الأنعام:

يقول تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ "[1].

يبين أبو بكر الجزائري وجه العبرة في الأنعام، عند قوله تعالى " نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ " فيقول: "سبحان ذي القدرة العجيبة، والعلم الواسع والحكمة التي لا يقادر قدرها. اللبن يقع بين الفرث والدم، فينتقل الدم إلى الكبد، فتوزعه على العروق لبقاء حياة الحيوان، واللبن يساق إلى الضرع، والفرث يبقى أسفل الكرش، ويخرج اللبن خالصاً من شائبة الدم، وشائبة الفرث فلا يرى ذلك في لون اللبن، ولا يشم في رائحته، ولا يوجد في طعمه، بدليل أنه سائغ للشاربين، فلا يغص به شارب، ولا يشرق به، حقاً! إنها عبرة من أجلّ العبر، تنقل صاحبها إلى نور العلم والمعرفة بالله في جلاله وكماله، فتورثه محبة الله، وتدفعه إلى طاعته، والتقرب إليه" [2].

6. النظر في الفلك (السفن):

نحو قوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ آيَاتِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ "[3].

"الرؤية في قوله أَلَمْ تَرَ رؤية العين يتركب عليها النظر والاعتبار، والمخاطب محمد صلى الله عليه وسلم والمراد الناس أجمع"[4].

---

[1] سورة النحل: آية 66.

[2] الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج3، ص132-133، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط5، 1424هـ-2003م .

[3] سورة لقمان: آية 31.

[4] ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت: 542هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، ج4، ص355، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422هـ.

7. النظر في باقي مخلوقات الله عزّ وجل:

من الآيات الكونية المشاهدة يوميًا، والدالة على قدرة الله وإعجازه، الليل والنهار، الشمس والقمر، وكيف يعقب كل منهما الآخر دونما خطأ يذكر، إنه تقدير العزيز الحكيم، الذي أتقن كل شيء صنعه، فيقول سبحانه وتعالى:" أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ "[1].

"سؤال في معنى التقرير، بأنّ الله هو الذي يعاقب بين الليل والنهار، فيدخل الليل على النهار، والنهار على الليل. وأنه هو الذي سخر الشمس والقمر، ليجريا وفقا للنظام الذي رتبه لهما إلى الأجل المعين في علمه وحكمته. وأنه هو الخبير بكل ما يفعله الناس، وإنّ في هذه المشاهد التي يراها الناس بأعينهم، ويتمتعون بفوائدها أقوى الأدلة على قدرته وعظمته وأفضاله، وأنه هو الحق وحده المستحق للعبادة والدعاء والخضوع وحده، وأنّ ما عداه مما يدعوه المشركون باطل، وأنه هو العلي الكبير الذي لا يدانيه شيء في علوه وعظمته"[2].

8. النظر في أحوال الأمم السابقة:

وهذا كثير في القرآن الكريم، فهناك الكثير من الآيات القرآنية تحدثنا عن الأمم الماضية، وتبين لنا أحوالها، وكيف كان جزاؤها، على سبيل المثال **قوله تعالى:** " أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "[3].

في هذه الآية حثّ الله عزّ وجل الإنسان على السير في الأرض، وذلك عن طريق السفر في الأمصار، والبلاد، للنظر ومشاهدة منازل الأمم الماضية التي أخبرنا الله سبحانه عن أحوالها

---

[1] سورة لقمان: آية 29.

[2] دروزة، محمد عزت، **التفسير الحديث**، ج4، ص258، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، 1383هـ.

[3] سورة الروم: آية 9.

في كتابه العزيز، وكيف كان جزاؤها عند التكذيب برسلها، فهذه منازلهم لم تزل شاهدة على قدرة الله عليهم رغم قوتهم الظاهرة.

يقول الشوكاني: "أرشدهم سبحانه إلى الاعتبار بغيرهم، فإنّ الذين مضوا من الكفار "كَانُوٓاْ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ" من هؤلاء الحاضرين من الكفار وأقوى "وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ"، بما عمّروا فيها من الحصون والقصور، وبما لهم من العدد والعدّة، فلما كذبوا رسلهم أهلكهم الله "[1].

فهذا الأمر بالسير والنظر يهدف إلى أخذ العبرة والموعظة من أحوال هذه الأمم، وما جرى لها، وفي هذا النوع من النظر " ما يحمل المكلفين على فعل الطاعة، وعلى التوبة من المعصية"[2].

هذه الآيات التي سبق ذكرها في سياق الحديث عن الأصناف التي أمرنا بالنظر إليها، إنما هي على سبيل المثال لا الحصر، ذلك أنّ القرآن الكريم كله مدعاة للنظر والتأمل. بعقائده وأحكامه، وقصصه، وأمثاله، فإذا تأملناه وجدناه معجزاً فيما تحمل كلماته وآياته من عبر ومواعظ هي أدعى للاعتبار والاتعاظ بما جاء فيه حرفاً حرفاً، وقد تسابق العلماء في عصرنا الحديث إلى تفسير هذه الآيات تفسيراً علمياً يدل على إعجازه العلمي، فغرائب القرآن لا تنقضي، وبحر إعجازه لا ينضب، وكلما تقدم العلم كشف عن وجه جديد من وجوه إعجازه.

والواقع أنّ هذا النظر له ثمرات وفوائد جمّة، أهمها:

أ- الحث على الإيمان بالله ورسله، والإعراض عن الرياسة في الدنيا وطلب الجاه[3].

---

[1] الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ): **فتح القدير**، ج4، ص559، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط 1، 1414هـ.

[2] القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (ت: 728هـ): **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، ج2، ص 263، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1416هـ- 1996م.

[3] الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (ت: 604هـ): **مفاتيح الغيب**، ج9، ص11، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421هـ-2000م، بتصرف.

ب- معرفة وجود الله تعالى، وذلك عند تأمل الأرض والجبال والليل والنهار والسموات والأرض[1].

ت- الإيمان بأنّ الله قادر على البعث [2].

ث- دعوة الإنسان للنظر في نفسه ومجتمعه، للكشف عن صفاته ومميزاته كفرد، وعن السنن والقوانين التي تحكم مجتمعه، والتي لا يمكن معرفتها إلا بالبحث الدقيق، والنظر العميق، والملاحظة الواعية [3].

ج- الراحة النفسية والاطمئنان، وزيادة القرب من الله تعالى، فالإنسان إذا خصص ساعة من يومه يقف فيها أمام هذا الكون. ينظر بعين متأمله إلى السماء التي رفعها الله بغير عَمد، فجعل فيها النجوم والكواكب التي تسير في مدارات ثابتة لا تتغير، وجعل فيها الشمس والقمر اللذان يتعاقبان، فإذا أشرقت الشمس أعلنت مولد يوم جديد، وحياة جديدة، وإذا بزغ القمر أعلن موعد الراحة من عمل يوم طويل. ألم يقل العزيز في كتابه: "وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا "[4] ثم تنتقل بنظرك إلى الأرض الفسيحة بما عليها من جبال شامخات، وما فيها من سهول وأودية ومخلوقات لا تنتهي، فإن قلبك سيتحرك حتماً، ولسانك سينطق داعياً: "رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ "[5].

---

[1] الغزالي، محمد (ت: 505هــ): **أحياء علوم الدين**، ج1، ص105، دار المعرفة – بيروت، بتصرف.

[2] الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: 1393هــ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتبة البحوث والدراسات، ج9، ص6، دار الفكر- بيروت، 1415هــ-1995م، ، بتصرف.

[3] سابق، سيد: **إسلامنا**، ص 24، دار الكتاب العربي- بيروت، بتصرف.

[4] سورة النبأ: آية 10-11.

[5] سورة آل عمران: آية 191.

المطلب الثاني: التفكر:

حثّ القرآن الكريم على التفكر في مخلوقات الله وآياته، فقد ورد في القرآن الكريم الدعوة إلى التفكر سبعة عشرة مرة، وذلك لأهميته في حياة الإنسان وآخرته، فهو الأساس الثاني في سبيل الوصول إلى الاعتبار والاتعاظ، ويعتبر العقل هو أداة الفكر والتفكر، فالله عزّ وجل قد خلق الإنسان و كرمه، وإنّ من أعظم نعمه عليه أن منحه العقل، وميزه به عن سائر المخلوقات، ثم طالبه بالنظر، والتفكر، لذا كانت أكثر الآيات الداعية إلى النظر والتفكر تختم بـــ" **لقومٍ يعقلون** " **لأولي الألباب** " "**لأولي النهى**".

"وإذا تعطلت هذه القوى بطل عمل العقل، وعطل من أهم وظائفه، وتبع ذلك توقف نشاط الحياة، مما يتسبب عنه الجمود والموت والفناء"[1].

وقد خصّ الله تعالى أولي النهى؛ " لأنهم أهل التفكر والاعتبار، وأهل التدبر والاتعاظ"[2].

والتفكر في اللغة مصدر مشتق من الفعل الثلاثي فَكَرَ وهو:" تردد القلب في الشيء"[3].

وعرّفه الجرجاني بأنه: " تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب"[4].

وذكر ابن قيم الجوزية للتفكر خمسة أنواع[5]:

1. التفكر في الآيات المنزلة، وتعقلها، وفهمها، وفهم المراد منها.
2. التفكر في الآيات المشهودة، والاعتبار بها، والاستدلال بها على أسمائه، وصفاته، وحكمته، وإحسانه، وبره، وجوده.

---

[1] سابق، سيد: **إسلامنا**، ص17.

[2] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج16، ص175.

[3] ابن فارس: **مقاييس اللغة**، ج4، ص446.

[4] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت: 816هـ): **التعريفات**، ج1، ص63، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1403هـ–1983م.

[5] ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: 751هـ): **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، ج1، ص156، دار المعرفة – المغرب، 1418هـ–1997م، بتصرف.

3. الفكرة في آلاء الله، وإحسانه، وإنعامه على خلقه بأصناف النعم، وسعة رحمته، ومغفرته وحلمه.

4. التفكر في عيوب النفس وآفاتها، وفي عيوب العمل.

5. التفكر في واجب الوقت ووظيفته، فمن أضاعه ضاعت عليه مصالحه كلها.

والآيات الحاثة على التفكّر كثيرة، وفيها دعوة صريحة موجهة للإنسان للتفكر فيما حوله من المخلوقات الربانية العجيبة، المشاهدة والملموسة يوميًا مثل: السماء وما فيها من شمس وقمر، وكواكب ونجوم تدور في مدارات ثابتة لا يصطدم أحدها بالآخر، وغيوم محملة بالأمطار والثلوج، وغلاف جوي مليء بأنواع متعددة من الغازات، كلٌّ جعل الله له وظيفة ومهمة، وأعظم من ذلك كله هذه السماء كيف رفعها الله من غير عمد، ثم هذه الأرض التي مدّها الله وبسطها، فجعل فيها الجبال والسهول، والبحار والأنهار، وأخرج منها الأشجار والثمار التي لا نحصي لها عدداً، وتلك الأزهار التي تمتع أنظارنا بألوانها البهيجة، وأشكالها العجيبة، وهذه الحيوانات التي خلقها الله تدبّ على هذه الأرض، ثم سخرها لمنفعة البشر، فاستخدموها في الطعام والشراب، والركوب والنزول، ثم التفكر في الليل والنهار، كيف يأتي كل منهما بعد الآخر، ثم التفكر في النفس البشرية وما فيها من عجائب وأسرار دالة على خالقها، التفكر في البحر وما فيه من أنواع مختلفة من الحياة سخرها الله لمنفعة الإنسان، وخدمته. سبحان من أبدع هذا كله، ما علمنا منه وما لم نعلم!

ومن الآيات التي تحث على التفكر:

1. **قال تعالى**: "إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ"[1].

[1] سورة آل عمران: آية 190.

2. قال تعالى:" أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ "[1].

3. قال تعالى:" اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ "[2].

بعد استعراض الآيات التي تشتمل على لفظ " التفكر " يتبين أنّ هذه الآيات تدعو للتفكر في قدرة الله تعالى، وحكمته من خلال التفكر في مخلوقاته، وقصصه، وأحكامه، وأمثاله التي أودعها في كتابه العزيز.

وقد انتهج الأنبياء والرسل هذا المنهج في الوصول إلى الخالق عزّ وجل، فهذا محمدٌ عليه السلام قد ترك قومه وأهله، والتجأ إلى غار حراء، ليتفكر في الكون وخالقه، حتى يتنزل عليه الوحي جبريل رسولاً من الله يبشره بالنبوة، ويعلمه الكتاب، ويبين له أنّ الخالق هو الله عزّ وجل، فقال له:" اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ"[3].

وليس أدل على ذلك من حديث عائشة الذي رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: " أول ما بدىء به رسول الله صلى الله وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالي ذوات العدد قبل أن ينتزع إلى أهله ويتزود لذلك، فيرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها، حتى جاءه الحق وهو في غار حراء، فجاءه الملك، فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء. قال: فأخذني فغطني حتى بلغ الجهد مني، ثم أرسلني فقال: إقرأ. قلت: ما أنا بقارىء. فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال:

[1] سورة الروم: آية 8.
[2] سورة الجاثية: آية 12-13.
[3] سورة العلق: آية 1-3.

إقرأ. قلت: ما أنا بقارىء، فغطني الثالثة ثم أرسلني، فقال: "ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ" [1].

ويرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يرجف بها فؤاده......."[2].

وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال: " تفكر ساعة خيرٌ من قيام ليلة" [3] فقد فضَل الصحابي الجليل عبادة التفكر على عبادة النافلة، وذلك لأهميته وعظيم فائدته.

وقد أوضح ابن قيم الجوزية فوائد التفكر في قوله: " أصل الخير والشر من قبل التفكر، فإنّ الفكر مبدأ الإرادة، والطلب في الزهد، والترك، والحب والبغض. وأنفع الفكر في مصالح المعاد وفي طرق اجتلابها، وفي دفع مفاسد المعاد وطرق اجتنابها، فهذه أربعة أفكار هي أجلّ الأفكار، ويليها أربعة فكر في مصالح الدنيا وطرق تحصيلها، وفكر في مفاسد الدنيا، وطرق الاحتراز منها، فعلى هذه الأقسام الثمانية دارت أفكار العقلاء، وعلى رأس هذا القسم الفكر في آلاء الله ونعمه، وأمره ونهيه، وطرق العلم به، وبأسمائه، وصفاته من كتابه، وسنة نبيه، وما ولاهما. وهذا الفكر يثمر لصاحبه المحبة والمعرفة، فإذا فكر في الآخرة وشرفها ودوامها، وفي الدنيا وخستها وفنائها، أثمر ذلك الرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، وكلما فكر في قصر الأمل، وضيق الوقت، أورثه ذلك الجد والاجتهاد، وبذل الوسع في اغتنام الوقت، وهذه الأفكار تعلي همته وتحييها بعد"[4].

إذاً التفكر يبعث على الزهد في الدنيا، والترك لأمورها وزينتها، والحب للآخرة، ثم إنّ التفكر يكون دافعاً للجد والاجتهاد في سبيل الفوز بمرضاة الله عزّ وجل.

---

[1] سورة العلق: آية 1-3.

[2] البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: 256هـ): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه**، ج1، ص7، باب بدء الوحي، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ

[3] ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: 235هـ): **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، ج7، ص190، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ.

[4] ابن القيم: **الفوائد**، ص31، دار النفائس – بيروت، ط1، 1399- 1979م.

والتفكر يورث الحكمة...

فمن كثر تفكره قلّ طعمه، وكلّ لسانه، ومن قلّ تفكره كثر طعمه، وعظم بدنه وقسى قلبه، والقلب القاسي بعيد من الله، بعيد من الجنة، قريب من النار[1].

ومن فوائد التفكر استقامة القلوب، وبالتالي الصدق في الأعمال وإخلاصها لله تعالى[2].

وفي التفكر علاج للعجب بالنفس، وذلك من خلال التفكر في أقدار باطنه، وفي أول أمره وآخره وفي الوجوه الجميلة، والأبدان الناعمة كيف تمزقت في التراب، وأنتنت في القبور حتى استقذرتها الطباع[3].

إنّ الانشغال في الدنيا، وقضاء حوائجها قد يحجب عن التفكر في آلاء الله ومخلوقاته. وكذلك فإنّ قسوة القلب قد تقف حائلاً أمام التفكر، فلا يحقق الغاية المرجوة فيه ألا وهي الاعتبار. وقد ذُكر "أنّ سماع الغناء يلهي القلب عن التفكر في عظمة الله تعالى، والقيام بخدمته"[4].

فعلى الإنسان أن يدع الملهيات، ويطلق العنان لعقله، ثم يتفكر فيما يراه من بدائع دالة على عظمة الخالق. لا تحجر عقلك وتفكيرك في مكان ضيق، أو في شيء معين، تفكر في الجبال الراسيات وسوف ترى الشموخ والثبات، تفكر في حركة الغيوم التي تسير بكل بطء وهدوء وستتعلم منها الهدوء وعدم العجلة، تفكر في العصافير في النمل في النحل وستتعلم النشاط وعدم الكسل، تفكر في الأرض التي مهدها الله لنا، وسنتعلم منها سعة الصدر والعفو.

---

[1] الخطيب، أحمد بن علي ثابت البغدادي (ت: 462هـ): **الزهد والرقائق**، تحقيق: د. عامر حسن صبري، ج1، ص56، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط1، 1420هـ-2000م، بتصرف.

[2] انظر، العبدري، محمد بن محمد (ت: 737هـ): **المدخل**، ج3، ص62، دار الفكر، 1401هـ-1981م.

[3] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت: 1332هـ): **موعظة المؤمنين من أحياء علوم الدين**، تحقيق: مأمون بن محي الدين الجنان، ج1، ص254، دار الكتب العلمية، 1415هـ-1995م، بتصرف.

[4] انظر، ابن الجوزي، جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت: 597هـ): **تلبيس إبليس**، تحقيق د. السيد الجميلي، ج1، ص274، دار الكتاب العربي - بيروت، ط1، 1405 هـ-1980م.

ويجدر التنبيه هنا إلى أنّ ثمة أمر منهي عن التفكر فيه، ألا وهو التفكر في ذات الله عزّ وجل، وذلك لأنه: " لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ "[1].

المطلب الثالث: التدبر:

قال تعالى:" أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا " [2].

وقال تعالى: " أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ " [3].

وقال تعالى: "كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ "[4].

ورد التدبر بلفظه في أربعة مواضع من الكتاب العزيز: ثلاثة منها في سياق الاستفهام، والهدف منه "إنكار واستقباح لعدم تدبرهم القرآن، وإعراضهم عن النظر بما فيه من موجبات الإيمان"[5].

ويمكن الاستنتاج من الآيات السابقة: الحث على التدبر لكتاب الله وآياته، والتوبيخ لمن أعرض عن التدبر، لذا فقد خصّ عزّ وجل التدبر بذوي العقول، فقال: (لقوم يعقلون) أي: "يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول"[6].

في المقابل عدّ الله المعرضين عن تدبر آيات القرآن الكريم غافلين، فقال جل ثناؤه:"ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ "[7]؛ لأن" الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها"[8].

---

[1] سورة الأنعام: آية 103.

[2] سورة النساء: آية 88.

[3] سورة المؤمنون: آية 68.

[4] سورة ص: آية 29.

[5] العمادي، محمد بن محمد أبو السعود (ت: 951هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، ج2، ص207، إحياء التراث العربي – بيروت.

[6] البغوي: **معالم التنزيل**، ج3، ص356.

[7] سورة الأعراف: آية 146.

[8] الزمخشري: **الكشاف**، ج2، ص595.

وتوعد الله عزّ وجل هؤلاء المعرضين بالعذاب الخالد في نار جهنم؛ وذلك " بتركهم تدبر أمر العاقبة والتفكر فيها"[1] ومن ذلك قوله تعالى: "فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡخُلۡدِ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ "[2].

والتدبر:" أن يتدبر الإنسان أمره، وذلك أنه ينظر إلى ما تصير عاقبته وآخرته، وهو دُبُره "[3].

قال الزمخشري عند قوله تعالى: " أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ ": "تدبر الأمر تأمّله والنظر في إدباره وما يؤول إليه في عاقبته ومنتهاه، ثم استعمل في كل تأمل، فمعنى تدبر القرآن تأمل معانيه وتبصر ما فيه"[4].

وللتدبر في القرآن الكريم فوائد جمّة، ذكرها العلماء والمفسرون وأهمها:

1. "من تدبر كلامه عرف الرب عزّ وجل، وعرف عظيم سلطانه وقدرته، وعرف عظيم تفضله على المؤمنين، وعرف ما عليه من فرض عبادته، فألزم نفسه الواجب، فحذر مما حذر منه مولاه الكريم، ورغب فيما رغب فيه، ومن كانت هذه صفته عند تلاوة القرآن الكريم، وعند استماعه من غيره كان القرآن له شفاء" [5].
2. "وإذا تدبر العبد علم أنّ ما هو فيه من الحسنات من فضل الله فشكر، فزاده الله من فضله عملاً صالحاً، ونعماً يفيضها عليه، وإذا علم أنّ الشر لا يحصل له إلا من نفسه بذنوبه، استغفر الله، وتاب، فزال عنه سبب الشر، فيكون العبد دائماً شاكراً مستغفراً "[6].

---

[1] البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ج4، ص 357، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.

[2] سورة السجدة: آية 14.

[3] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، ج2، ص 324.

[4] الزمخشري: **الكشاف**، ج1، ص571.

[5] الآجري، محمد بن الحسين بن عبد الله (ت: 360هـ): **أخلاق أهل القرآن**، تحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف، ج1، ص36، دار الكتب العلمية- بيروت، ط3، 1424هـ-2003م.

[6] ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (ت: 728هـ): **مجموع الفتاوي**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ج14، ص 262، 262، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، 1416هـ-1995م.،

3. التدبر يطلع العبد على معالم الخير والشر، ويضع في يده مفاتيح كنوز السعادة و العلوم النافعة، ويثبت قواعد الإيمان في قلبه، ويريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتحضره بين الأمم، و ويريه أيام الله فيهم، ويبصره مواقع العبرة، ويشهده عدل الله وفضله، ويعرفه النفس وصفاتها، ويعرفه طريق أهل الجنة وأهل النار وأعمالهم[1].

إنّ تدبر كتاب الله بما فيه آيات شاملة للعقيدة والعبادات، والأخلاق، والأحكام، والقصص، كل ذلك يمكن أن يصل بنا إلى حالة من الاعتبار، إذا نحن أمعنا النظر والفكر فيما خفي وراء هذه الآيات القرآنية، والكلمات الربانية، كذلك فإنّ تدبر الآيات يصل بنا إلى حالة من الخشوع والتواضع، والخشية من الله، والثقة الكاملة بأن الله هو الضار النافع، وأنه هو المعز والمذل، وهو المعطي والمانع، وبالتالي نحقق الإيمان المطلوب منا.

المطلب الرابع: التذكر والتذكير:

قال تعالى: "كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ "[2].

وقال تعالى: " وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ "[3].

تبين هذه الآيات أنّ الغاية من إنزال القرآن الكريم هي التذكير والتذكر، وهما صفتان تحتاجان إلى عقول مؤمنة تخاف وعيد الله، وذلك ليتحقق الهدف من التذكر، وهو الاتعاظ والاعتبار. وقبل الغوص في بحر آيات القرآن المشتملة على لفظ (التذكر) حري بالباحثة التوقف قليلاً للتعرف على معنى هذه الدرة القرآنية.

---

[1] ابن القيم،: **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد المعتصم بالله، ج1، ص 449، دار الكتاب العربي – بيروت، 1416هـ – 1996م، بتصرف.

[2] سورة ص: آية 29.

[3] سورة الذريات: آية 55.

ذكر الفراهيدي معانٍ عدة لكلمة "ذكر" منها: الحفظ للشيء، الشرف والصوت، الصلاة، والدعاء، والثناء، ومن معانيها: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين، ومنه الذكر: جري الشيء على اللسان[1].

أما التذكير فهو" محاولة القوة العقلية لاسترجاع ما فات بالنسيان. والتذكرة: ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والأمارة "[2].

يمكن الاستنتاج أنّ التذكر حالة ذهنية يتم فيها استرجاع ما تم تعلمه سابقاً، والتعرف عليه، تتم داخل الشخص ذاته، أما التذكير فيكون من شخص لآخر.

ورد التذكر على اختلاف اشتقاقاته في القرآن الكريم سبعة وأربعين مرة، تارة يأتي مقروناً بالاستفهام الإنكاري، والذي يقصد منه التعجب، مثل قوله تعالى: "مَثَلُ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ كَٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡأَصَمِّ وَٱلۡبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ "[3] وقوله تعالى: " إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ "[4].

فالاستفهام هنا " إنكار لعدم تذكرهم مع وضوح دلائل التذكر، والمراد التذكر في صفات آلهتهم المنافية لمقام الإلهية، وفي صفات الإله الحق التي دلت عليه مصنوعاته"[5].

ويمتدح الله المتذكرين واصفاً إياهم بـــ:

1. ذوي الألباب: "وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ "[6].

---

[1] انظر، الفراهيدي: **كتاب العين**، ج5، ص346.

[2] الطبري: **جامع البيان**، ج7، ص253، وانظر الخازن: **لباب التأويل في معاني التنزيل**، ج2، ص 154، وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج2، ص153.

[3] سورة هود: آية 24.

[4] سورة النحل: آية 17.

[5] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج7، ص329.

[6] سورة البقرة: آية 269.

2. التقوى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ "[1].

3. الإنابة: " وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ "[2].

4. الخشية: "سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ"[3].

5. التواضع وعدم الكبر: " إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا وَسَبَّحُواْ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ "[4].

6. الإيمان: " وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ "[5].

وللتذكر فوائد جمة تعود بالخير والمنفعة على المؤمن في الدنيا والآخرة، وأهم هذه الفوائد: إنّ المسلم إذا جال النظر في مخلوقات الله وآلائه، فإنه سيذكر أنه وحده القادر على الخلق والبعث، وهذا يزيده إيماناً ويقيناً، ويجعله على صلة مع خالقه العظيم، يلجأ إليه في كل وقت وحين، مما يبعده عن الغفلة، فيصبح دائم الذكر، دائم الدعاء، وهذا يكسبه النضارة، ويعكس على وجهه النور. ويجعله عبداً منيباً إلى ربه تواباً، مبصراً يتغلب على هوى الشيطان بذكره، يقول تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ "[6].

يقول ابن قيم الجوزية: "التذكر والتفكر منزلان يثمران أنواع المعارف، وحقائق الإيمان، والإحسان، والعارف لا يزال يعود بتفكره على تذكره، وبتذكره على تفكره حتى يفتح قلبه"[7].

---

[1] سورة الأعراف: آية 201.

[2] سورة غافر: آية 13.

[3] سورة الأعلى: آية 10.

[4] سورة السجدة: آية 15.

[5] سورة الذاريات: آية 55.

[6] سورة الأعراف: آية 201.

[7] ابن القيم: **مدارج السالكين**، ج1 ص44.

ثم يفرّق بين التذكر والتفكر قائلاً: والتذكر فوق التفكر؛ لأن التفكر طلب، والتذكر وجود. يريد أنّ التفكر التماس الغايات من مبادئها...وأما التذكر فيكون فيما حصل بالتفكر ثم غاب عنه بالنسيان، فإذا تذكره وجده، فظفر به[1].

أما الأمور التي يعود علينا تذكرها بالاعتبار والاتعاظ فهي:

1. تذكر قدرة الله على الخلق: " إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ "[2]

2. تذكر الأمم السابقة كيف أنّ معصيتها كانت سبباً في عذابها وهلاكها: "وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ "[3].

3. تذكر النشأة الأولى، وكيف أنّ الله عزّ وجل خلق آدم عليه السلام من تراب: "وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ"[4].

4. تذكر يوم القيامة: "كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ "[5].

5. تذكر العذاب الذي ينتظر الكافر، والمذنب المسيء يوم القيامة: " وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ "[6].

---

[1] ابن القيم: **مدارج السالكين**، ج1، ص44، بتصرف.

[2] سورة يونس: آية 3.

[3] سورة القصص: آية 43.

[4] سورة الواقعة، آية: 62.

[5] سورة الفجر: آية 21-23.

[6] سورة فاطر: 36-37.

وفي ختام هذا المبحث يمكن القول: إنّ النظر، والتفكر، والتدبر، والتذكر أمور يحصل بها الاعتبار والاتعاظ، تم عرضها في هذا المبحث من حيث: التعريف، والفائدة، والآيات التي تنص عليها.

هي كلمات متقاربة في الظاهر تجتمع في أنّ لها غاية وهدف نقصده، غايتها الوصول إلى حالة من الاعتبار من المقروء والمسموع، والمشاهد، وإن كانت تختلف من حيث المعنى:

فإنّ التفكير يسمى تفكراً، لأنه استعمال الفكرة في ذلك وإحضاره عنده، ويسمى تذكراً لأنه إحضار للعلم الذي يجب مراعاته بعد ذهوله وغيبته عنه...، ويسمى تأملاً لأنه مراجعة للنظر كرة بعد كرة حتى يتجلى له، وينكشف لقلبه، ويسمى اعتباراً وهو افتعال من العبور؛ لأنه يعبر منه إلى غيره، فيعبر من ذلك الذي قد فكر فيه إلى معرفة ثالثة، وهي المقصود من الاعتبار ولهذا يسمى عبرة، وهي على بناء الحالات كالجلسة و الركبة والقتلة إيذاناً بأنّ هذا العلم والمعرفة قد صار حالاً لصاحبه يعبر منه إلى المقصود به...، ويسمى تدبراً لأنه نظر في إدبار الأمور وهي أواخرها وعواقبها، ومنه تدبر القول[1].

[1] ابن القيم: **مفتاح دار السعادة**، ج1، ص 182، دار الكتب العلمية – بيروت، بتصرف.

الفصل الثاني

الأسباب المانعة من الاعتبار

المبحث الأول: الكفر

المبحث الثاني: الترف

المبحث الثالث: الغفلة والإعراض عن الآيات، والاستهانة بها.

المبحث الرابع: التكبر والغرور

الفصل الثاني

الأسباب المانعة من الاعتبار

المبحث الأول: الكفر:

تمهيد:

خلق الله عزّ وجل آدم عليه السلام، واستخلفه في الأرض، فأخذ بالتكاثر وازداد نسله لإعمار الأرض، وظهر الكفر في الأرض، فأرسل الله الرسل لهداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور، فكان لكل أمة رسول يدعوها إلى الله، ويبين لهم طريق الهداية، ويحذرهم طريق الغواية، وقد استمر بعض الرسل مئات السنين يدعون أقوامهم لكن دون فائدة. "فَأَبَىٰ ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا"[1].

المطلب الأول: الكفر في اللغة والاصطلاح، والسياق القرآني:

الكفر في اللغة: التغطية على الشيء، والستر له، فكأن الكافر مغطى على قلبه[2].

" وكفر النعمة، هو نقيض الشكر، والكفر جحود النعمة، وهو ضد الشكر "[3].

"الكفر: تغطية ما حقه الإظهار، والكفران: ستر نعمة المنعم بترك أداء شكرها. وأعظم الكفر جحود الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة، والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر، والكفور فيهما جميعا"[4].

---

[1] سورة الاسراء: آية 99.

[2] الأزدي: **جمهرة اللغة**، ج2، ص 786، بتصرف.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، 540، ص 144.

[4] المناوي: **التوقيف على مهمات التعاريف**، ص282.

وقد وردت مادة كفر على اختلاف اشتقاقاتها في القرآن الكريم مئات المرات، وذلك لبيان أنّ القرآن الكريم كان من غاياته مجادلة الكفار، ورد شبهاتهم وعقائدهم المنحرفة: "قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ "[1].

المطلب الثاني: أنواع الكفر:

الكفر على أربعة أنحاء: كفر إنكار، وكفر جحد، وكفر عناد، وكفر نفاق. فكفر الإنكار: هو أن لا يعرف الله أصلاً، أو لا يعترف به. وكفر الجحد: هو أن يعرف الله تعالى، ولكن يجحده. وكفر العناد: هو أن يعرف الله بقلبه، ويعترف بلسانه، ولكن لا يتدين به، ولا يتخذه ديناً، ككفر أبي طالب...أما كفر النفاق فهو: أن يعترف باللسان، ولا يعتقد بالقلب[2].

فهذه أربعة أنواع للكفر أعظمها الأول، وهو كفر الإنكار، وهو أن لا يعرف الله أصلاً، وإن كانت جميعها تودي بصاحبها إلى الخسران، والخلود بعذاب جهنم.

وقد فرّق الفراهيدي بين هذه الأنواع، فقال:" كفر الجحود مع معرفة القلب، كقوله تعالى: "وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ "[3].

وكفر المعاندة: هو أن يعرف بقلبه، ويأبى لسانه، وكفر النفاق: وهو أن يؤمن بلسانه، والقلب كافر، وكفر الإنكار: وهو كفر القلب واللسان "[4].

وفرّق أبو هلال أبو هلال العسكري بين الكفر والإلحاد بأنّ: " الكفر اسم يقع على ضروب من الذنوب، فمنها الشرك بالله، ومنها الجحد للنبوة، ومنها استحلال ما حرم الله، وهو راجع إلى جحد النبوة وغير ذلك، مما يطول الكلام فيه، وأصله التغطية. والإلحاد اسم خص به اعتقاد نفي التقديم مع إظهار الإسلام، وليس ذلك كفر الإلحاد، ألا ترى أنّ اليهودي لا يسمى

---

[1] سورة آل عمران: آية 98.

[2] السمعاني، منصور بن محمد عبد الجبار (ت: 489هـ): **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، ج1، ص 46، دار الوطن- الرياض، ط1، 1418هـ-1997م، بتصرف.

[3] سورة النمل: آية 14.

[4] الفراهيدي: **معجم العين**، ج5، ص356.

ملحداً وأن كان كافراً، وكذلك النصراني، وأصل الإلحاد الميل، ومنه سمي اللحد؛ لأنه يحفر في جانب القبر"[1].

المطلب الثالث: أسباب الكفر، وعدم الاعتبار:

يقول الله عزّ وجل في محكم آياته: "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا ﴿٦﴾ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ "[2].

ويقول عزّ وجل: "وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ "[3].

تبين الآيات السابقة الأسباب التي جعلت الكافرين يجحدون آيات الله، ويرفضون الإيمان بها ويصرون على عدم الاعتبار بما فيها، فهذه الآيات الكونية التي أودعها الله عزّ وجل في الكون لم تلفت انتباه الكافرين، بل إنهم لم يكلفوا أنفسهم حتى النظر فيها، فكيف يتفكروا فيها وقد سلبوا نعمة العقل؟ كيف يعتبروا منها وهم بلا أفئدة ؟ "خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ"، " فجاء الفؤاد هنا أولاً، وجمع الفؤاد مع السمع في الختم لأنهما اشتركا فيه، أما البصر فاختص بشيء آخر، وهو الغشاوة التي تُغطِّي أبصارهم؛ ذلك لأنّ الآية السابقة في السمع والبصر والفؤاد كانت عطاءً من الله، فبدأ بالسمع، ثم البصر، ثم ترقى في العطاء إلى الفؤاد، لكن هنا المقام مقام سلب لهذه النعم، فيسلب الأهم أولاً، فأتى بالفؤاد ثم السمع ثم الأبصار"[4].

إنه الكفر الذي يعمى الأبصار عن القدرة الإلهية، إنه الكفر الذي يصم الآذان عن سماع الدعوة الإيمانية، إنه الكفر الذي يضل القلوب عن الاستجابة لداعي علام الغيوب.

---

[1] أبو الهلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: 395هـ): **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، ص228، دار العلم والثقافة – القاهرة.

[2] سورة البقرة: 6-7

[3] سورة الأحقاف: آية 26.

[4] الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418هـ): **الخواطر**، ج19، ص11820،مطابع أخبار اليوم، 1997م.

ويقول عزّ وجل في موضع آخر: "وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ "[1].

"أي خلقنا لجهنم - ليكونوا حطباً لها- خلقاً كثيراً كائناً من الجن والإنس، والمراد بهم الذين حقت عليهم الكلمة الأزلية بالشقاوة "لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا " أي لهم قلوب لا يفهمون بها الحق " وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا " أي: لا يبصرون بها دلائل قدرة الله بصر اعتبار " وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ" الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ، وليس المراد نفي السمع والبصر بالكلية وإنما المراد نفيها عما ينفعها في الدين " أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ " أي: هم كالحيوانات في عدم الفقه والبصر والاستماع هم أسوأ حالاً من الحيوانات، فإنها تدرك منافعها ومضارها وهؤلاء لا يميزون بين المنافع والمضار ولهذا يُقْدمون على النار " أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ " أي: الغارقون في الغفلة"[2].

ومما قاله المفسرون في هذه الآية: إنّ لهؤلاء الذين ذرأهم الله لجهنم من خلقه، قلوب لا يتفكرون بها في آيات الله، ولا يتدبرون بها أدلته على وحدانيته، ولا يعتبرون بها حججه لرسله، فيعلموا توحيد ربهم، ويعرفوا حقيقة نبوة أنبيائهم، فوصفهم ربنا جلّ ثناؤه بأنهم لا يفقهون بها، لإعراضهم عن الحق، وتركهم تدبر صحة الرشد، وبطول الكفر، وكذلك قوله: " وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا " معناه ولهم أعين لا ينظرون بها إلى آيات الله وأدلته، فيتأملونها، ويتفكروا فيها، فيعلموا بها صحة ما تدعوهم إليه رسلهم، وفساد ما هم عليه.... وقوله: "وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ " آيات الله فيعتبروها، ويتفكروا فيها[3].

سبق الحديث في المبحث الثاني من الفصل الأول عن طرق ووسائل الاعتبار، وسبق القول إنّ هناك خطوات متتابعة لابد منها للوصول إلى حالة من الاعتبار والاتعاظ. هذه الطرق

---

[1] سورة الأعراف: آية 179.

[2] الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، ص448، دار الصابوني- القاهرة، ط1، 1417هـ-1997م.

[3] الطبري: **جامع البيان**، ج9، ص131-132، بتصرف.

تبدأ بالنظر والنظر، ثم إعمال العقل والتفكر، ثم فقه القلب والتدبر، ثم بعد ذلك التذكر، وهذه الخطوات غير ممكنة في حالة الكفر؛ لأنّ الله عزّ وجل بين لنا أنّ الكفار لا يملكون أياً من هذه الأربعة، فقد وصفهم الله عزّ وجل بأنهم: "لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ "[1].

وقال جلّ شأنه واصفاً إياهم في موضع آخر: " وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ "[2].

وهذا يشبه قوله تعالى: "بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ "[3] أي: "أنهم يتصاممون، حيث لم يسمعوا الحق، ولم يتكلموا بالحق، ولم يبصروا العبرة والهدى، فكأنهم صم بكم عمي، ولأنّ الله تعالى خلق السمع، والبصر، واللسان لينتفعوا بهذه الأشياء، فإذا لم ينتفعوا بالسمع والبصر صار كأن السمع والبصر لم يكن لهم"[4] قال تعالى: "وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعْرِضُونَ "[5].

ثمّ إنّ الله عزّ وجل شبه هؤلاء الكفار الذين يعطلون جوارحهم، فلا ينتفعون بها بالأنعام، بل هم أضل "يعني في عدم الاعتبار"[6] والسبب في هذا التصوير "قلة رغبتهم، وتغافلهم عن الحق، يعني أنهم كالأنعام في ذهنهم لا في صورهم، لأنه ليس للأنعام همٌّ إلا الأكل والشرب، فهي تسمع ولا تعقل، كذلك الكافر هو غافل عن الأمر والنهي والوعد والوعيد"[7].

وقد ورد في الكتاب العزيز الكثير من قصص الأولين، كيف أهلكهم الله عزّ وجل بأصنافٍ شتى من العذاب، ليكونوا عبرةً لغيرهم ممن يأتي بعدهم، فهاهم قوم لوط –عليه

---

[1] سورة الأعراف: آية 179.

[2] سورة الصافات: آية 13.

[3] سورة البقرة: آية 18.

[4] السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد (ت: 367هـ): **بحر العلوم**، تحقيق: د. محمود مرجي، ج1، ص58، دار الفكر– بيروت.

[5] سورة الأنفال: آية 23.

[6] القرطبي: **الجامع لإحكام القرآن**، ج13، ص68.

[7] السمرقندي: **بحر العلوم**، ج1، ص581.

السلام- الذين كذبوا برسولهم، وفعلوا الفاحشة دون أدنى خوف من خالقهم، ألم يأتهم أنباء الأمم التي سبقتهم؟!

يقول الله عزّ وجل في كتابه العزيز موجهاً خطابه إلى الكفار لعلّهم يعتبروا بالسابقين الأولين: " أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا "[1] وقوله:" أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا " أي: "فيعتبروا بما حلّ بأهلها من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم بالرسول ومخالفتهم أوامر الله"[2].

ويبين الله عزّ وجل في نفس الآية السبب في عدم اعتبارهم، فيقول: "بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا " وبل هنا حرف يفيد " الاضراب الانتقالي"[3] أي: أنهم "كانوا كفرة لا يتوقعون نشوراً، ولا عاقبةً، فلذلك لم ينظروا، ولم يتعظوا فمروا بها كما مرت ركابهم، أو لا يأملون نشوراً كما يأمله المؤمنون طمعاً في الثواب"[4].

ويمكن تلخيص أبرز الأسباب التي منعت الكافرين من الاعتبار بآيات الله القرآنية والكونية بما يأتي:

1. ختم على قلوبهم، وعلى أسماعهم، وجعل على أبصارهم غشاوة.

2. عدم استخدامهم لعقولهم التي خلقها الله للتفكر، والنظر، والتدبر.

3. التكذيب والجحد، ولهذا التكذيب صور وأشكال أهمها:

---

[1] سورة الفرقان: آية 40.

[2] ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ج3، ص32، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ.

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج19، ص31.

[4] البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج4، ص219.

أ) التكذيب بالرسل، مثل قوم نوح، يقول تعالى: "وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا "[1].

ب) التكذيب بآيات الله التي جاء بها الرسل، يقول تعالى: " فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا "[2].

ت) التكذيب باليوم الآخر، وما أعد الله فيه للكافرين من عذاب، يقول الله تعالى": بَلْ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا "[3].

4. اتباع الهوى، يقول تعالى: "وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ "[4].

5. إنكارهم للبعث، وعدم إيمانهم باليوم الآخر، يقول تعالى: " بَلْ كَانُواْ لَا يَرْجُونَ نُشُورًا "[5].

6. طغيان الكافر، يقول تعالى: " كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ "[6].

7. الكبر، يقول تعالى: " بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ "[7].

ٱلْكَٰفِرِينَ "[7].

وقد توعّد الله هؤلاء الكافرين بأصنافٍ شتى من العذاب أهمها:

1. استحقاق العذاب المهين في نار جهنم، والغضب الإلهي، يقول تعالى: " بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ "(1)

---

[1] سورة الفرقان: آية 37.

[2] سورة الفرقان: آية 36.

[3] سورة الفرقان: آية 11.

[4] سورة القمر: آية 3.

[5] سورة الفرقان: آية 40.

[6] سورة الشمس: آية 11.

[7] سورة الزمر: آية 59.

2. الطرد والإبعاد عن رحمة الله: "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ"[2].

3. عدم قبول توبتهم: "إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا لَّن تُقۡبَلَ تَوۡبَتُهُمۡ"[3].

4. الخسران:" قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ"[4].

5. العيش في الظلمات: " وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا صُمّٞ وَبُكۡمٞ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ "[5].

6. عدم فتح أبواب السماء لأرواحهم: " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ "[6].

فالحمد لله الذي منَّ علينا بأفضل النعم وأجلِّها – نعمة الإسلام – حيث ميزنا الله به عن باقي الأمم، فأصبحنا خير أمة أخرجت للناس.

وقد مدح الله المؤمنين الذين يعملون عقولهم وأبصارهم وأسماعهم في التفكر والتدبر بأفضل الصفات وأكرمها، فوصفهم بذوي الألباب، وذوي الأبصار وذوي السمع، وجعل جزاء من يوظف هذه النعم فيما أمره الله الجنة خالداً فيها أبداً "تِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنۡ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيّٗا"[7].

---

[1] سورة البقرة: آية 90.

[2] سورة البقرة: آية 161.

[3] سورة آل عمران: آية 90.

[4] سورة الأنعام: آية 31.

[5] سورة الأنعام: آية 39.

[6] سورة الأعراف: آية 40.

[7] سورة مريم: آية 63.

المبحث الثاني: الإخلاد إلى الترف:

المطلب الأول: الترف في اللغة، وفي الاصطلاح، وفي السياق القرآني:

"المترف: الذي أبطرته النعمة، وسعة العيش، وأترفته النعمة أي أطغته"[1] والمترفون: "الذين أعطوا الترف، والترف: النعيم وسعة العيش وهو مبني للمفعول بتقدير أنّ الله أترفهم، وقد ورد الترف في القرآن الكريم في سياق الذم، فوصف به الكافرون، المكذبون باليوم الآخر كما في قوله تعالى: "وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ" [2] وفي بنائه للمفعول تعريض بالتذكير بنعمة الله عليهم لعلهم يشكرونها ويقلعون عن الإشراك به"[3]. كما وصف الله عزّ وجل المترفون بالظلم، والإجرام، يقول تعالى: " وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ "[4].

المطلب الثاني: أقسام الترف:

من خلال تدبر آيات القرآن الكريم التي تحدثت عن الترف، يمكن تقسيم الترف إلى قسمين:

أولاً: ترف محمود:

وهو الترف الذي يعرف صاحبه المنعم عليه، فيعترف بنعم الله عليه، ويشكره عليها، ويؤدي حق الله في هذه النعم. ومن أمثلة ذلك: ما أنعمه الله على سيدنا سليمان عليه السلام الذي آتاه الله الملك، والحكمة، والعلم، وسخر له الجان لخدمته والطير والريح، يقول تعالى: "وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ "[5].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، ج9، ص17.

[2] سورة المؤمنون: آية 33.

[3] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج 22، ص212.

[4] سورة هود: آية 116.

[5] سورة سبأ: آية 12.

هذه النعم وغيرها التي حفظ فيها سيدنا سليمان عليه السلام حق الله، وشكره عليها، فقال عزّ وجل في كتابه العظيم يخبرنا عن موقف نبيه سليمان من هذه النعم: " وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ "[1].

العبر المستفادة من قصة سيدنا سليمان عليه السلام:

1. حياة الترف التي عاشها سيدنا سليمان لم تبعده عن الله عزّ وجل.
2. شكر الله على نعمه، وهذا يدل على تواضعه، وعدم تكبره.
3. عمل الصالحات سبيل إلى مرضاة الله سبحانه وتعالى.
4. الدعاء والإنابة إلى الله.
5. الاستعلاء بالإيمان، وهذا ما نستنتجه من قصة سيدنا سليمان مع بلقيس ملكة سبأ.

ثانياً: ترف مذموم:

وهو الترف الذي يبعد صاحبه عن الله، وينسيه فضله ورحمته، بل ويؤدي بصاحبه إلى جحود نعمة الله عليه، ولعلّ خير مثال لهذا النوع من الترف، قارون الذي آتاه الله أموالاً كثيرة، فبغى، وطغى، وأنكر فضل الله عليه، وأدعى أنّ هذا بفضل علمه، يقول سيد قطب: "ولا يذكر فيم كان البغي، ليدعه مجهولاً يشمل شتى الصور. فربما بغى عليهم بظلمهم وغصبهم أرضهم وأشياءهم- كما يصنع طغاة المال في كثير من الأحيان- وربما بغى عليهم بحرمانهم حقهم في ذلك المال، حق الفقراء في أموال الأغنياء، كي لا يكون دولة بين الأغنياء وحدهم، ومن حولهم

[1] سورة النمل: آية 19.

محاويج إلى شيء منه، فتفسد القلوب، وتفسد الحياة، وربما بغى عليهم بهذه وبغيرها من الأسباب"[1].

فكانت نهايته أن خسف الله به الأرض. يقول تعالى: "فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ "[2].

وفي سياق الحديث عن أصحاب الشمال، يقول تعالى: "وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ "[3].

مترفين أي: متنعمين في ترك أمر الله في الحياة الدنيا[4].

وهذا الأسلوب فيه" ذم للترف والتنعم في الدنيا "[5].

وإنما جعل أهل الشمال مترفين؛ لأنهم لا يخلو واحد منهم عن ترف، ولو في بعض أحواله وأزمانه، من نعم الأكل والشرب والنساء...، وكل ذلك جدير بالشكر لواهبه، وهم قد لابسوا ذلك بالإشراك في جميع أحوالهم، أو لأنهم قصروا أنظارهم على التفكير في العيشة العاجلة، وصرفهم ذلك عن النظر والاستدلال على صحة ما يدعوهم إليه الرسول ﷺ فهذا وجه جعل الترف في الدنيا من أسباب جزائهم الجزاء المذكور[6].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، ج5، ص2710.

[2] سورة القصص: آية 81-82.

[3] سورة الواقعة: آية 41-45.

[4] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ج 8، ص 144،

[5] أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت: 745هـ): **البحر المحيط في التفسير** تحقيق: صدقي محمد جميل، ج8، ص209، دار الفكر- بيروت، 1420هـ.

[6] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج 27، ص206، بتصرف.

"ويحتمل وصفهم بالترف وجهين: التهاؤهم عن الاعتبار، وشغلهم عن الازدجار. الثاني: لأن عذاب المترف أشد ألماً"[1].

لكن هذا لا يعني أنّ كل مترف معذب، وإنما سبب استحقاقهم العذاب إنما هو إصرارهم على الحنث، وهو الشرك بالله، والذي يعد من أكبر الكبائر التي تودي بصاحبها إلى نار جهنم، والعياذ بالله.

"فإن الترف في العيش ليس جريمة في ذاته، وكم من مؤمن عاش في ترف، وليس كل كافر مترفاً في عيشه، فلا يكون الترف سبباً مستقلاً في تسبب الجزاء الذي عوملوا به"[2].

المطلب الثالث: عواقب الترف:

إنّ الترف من أخطر الأمراض التي تهدد الأمة المسلمة في كل عصر من العصور، وذلك لما له من عواقب وخيمة، قد تؤدي بصاحبه إلى نار جهنم والعياذ بالله، ففي عصرنا هذا ومع كل التقدم الذي نعيشه، والانفتاح على الأمم الأخرى، أصبح كل شيء موجود إنما هو لراحة الإنسان ورفاهيته، مما جعل الكماليات من الأساسيات التي لا يستطيع الإنسان العيش بدونها، فنراه يسرف ويبذر في سبيل تحقيق شهواته وأهوائه، وهو لا يعلم أنّ هذه الشهوات والأهواء هي السبب في استحقاقه غضب الله وسخطه، وصدق رسول الله ﷺ حين قال: " حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات "[3] وصدق رسول الله ﷺ حين قال لأصحابه:" فو الله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتلهيكم كما ألهتهم "[4].

ويمكن تلخيص أهم ما قاله العلماء في عواقب الترف بما يأتي:

---

[1] الماوردي: **النكت والعيون**، ج5، ص457.

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج27، ص305.

[3] مسلم: **صحيح مسلم** ،ج4، ص274، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الاقتصاد في الموعظة.

[4] البخاري: **صحيح البخاري**، ج5، ص 2361، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا.

1. الترف طريق إلى البطالة وترك التفكر في العاقبة[1].

2. "عدم الاعتبار والاتعاظ في الدنيا، والتكبر على الدعاة إلى الله، وفي الآخرة شدة الألم، لرقة أجسامهم المهيأة للترف بتعودها بالراحة، وإخلادها إليها وتعويلها عليها"[2].

3. المنع من آداء الوجبات[3].

4. يقتل النخوة، ويقضي على البطولة، ويخمد الغيرة، ويفرز الوهن، ويكبت المروءة، ويضعف الهمة، ويفرز غثاء متصكعاً، يعيش بلا عقل ولا علم ولا تفكير. (4)

5. حقوق الله تنتهك، وحدوده تتجاوز، وأوامره تضيع، ويطعن في رسول ﷺ قصصاً، وروايات، ونظراً ونثراً ثم لا يهب لإنكار المنكر، ومن أعظم الأسباب الترف[5].

6. سقطت فئة من شباب الأمة في أوحال المسكرات والمخدرات، وعلى رأس الأسباب الترف، امتلأت البيوت بالخدم والسيارات والداعي هو الترف[6].

7. وأهم من ذلك أنّ المترف الذي يكفر النعمة، ولا يعرف حق المنعم عليه، يعذب يوم القيامة في نار جهنم، يحدثنا عن ذلك رب العزة في كتابه الكريم، فيقول: "وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ "[7].

8. الترف يهدم من النفوس راية الجهاد، لاسترداد الحقوق والبلاد.

---

[1] أبو حيان: **البحر المحيط**، ج 8، ص209

[2] البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت: 885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، ج7، ص412، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

[3] انظر، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، ج1، ص169، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ-2000م.

[4] القرني، علي بن عبد الخالق: **دروس صوتية**، رقم الدرس4، بتصرف.

[5] المرجع نفسه.

[6] المرجع نفسه.

[7] سورة الواقعة: آية 41-45.

9. يجعل الإنسان سلبياً لا يتعاطف ولا يتفاعل مع هموم ومصائب إخوانه المسلمين.

10. الإنسان المترف لا يمتلك القوة على تحمل مصاعب الحياة ومشاكلها.

وفي ختام هذا المطلب يمكن القول: إنّ الترف لا يكون مذموماً إذا كان في غير معصية، وكان مصحوباً بشكر المنعم، يقول تعالى: " يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ "[1].

"لقد خلق الله طيبات الحياة ليستمتع بها الناس، وليعملوا في الأرض لتوفيرها وتحصيلها، فتنمو الحياة وتتجدد، وتتحقق خلافة الإنسان في هذه الأرض. ذلك على أن تكون وجهتهم في هذا المتاع هي الآخرة، فلا ينحرفون عن طريقها، ولا يشغلون بالمتاع عن تكاليفها، والمتاع في هذه الحالة لون من ألوان الشكر للمنعم، وتقبل لعطاياه، وانتفاع بها، فهو طاعة من الطاعات يجزي عليها الله بالحسنى. وهكذا يحقق هذا المنهج التعادل والتناسق في حياة الإنسان، ويمكنه من الارتقاء الروحي الدائم من خلال حياته الطبيعية المتعادلة، التي لا حرمان فيها، ولا إهدار لمقومات الحياة الفطرية البسيطة"[2] وهذا ما قاله رسول ﷺ "كلوا، واشربوا، وتصدقوا، والبسوا، في غير مخيلة ولا سرف، إن الله يحب أن ترى نعمته على عبده "[3].

إذاً الترف ليس مذموماً مادام صاحبه يخشى الله فيما آتاه، ويؤدي حق الله المنعم فيما رزقه. أما إذا أعمى الترف صاحبه عن الإيمان بالله، والاعتراف بقدرته، عندئذ يكون الترف مذموماً، ويقود صاحبه إلى التهلكة.

---

[1] سورة الأعراف: آية 31-32.

[2] قطب: **في ظلال القرآن**، ج5، ص2710.

[3] ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل هلال بن أسد (ت: 241هـ): **مسند الإمام احمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب أرناؤوط- أرناؤوط- عادل مرشد، وإسناده حسن، ج11، ص321، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ- 2001م.

المبحث الثالث: الغفلة والإعراض عن الآيات، والاستهانة بها:

تمهيد:

عيون لا تبصر، آذان لا تسمع، قلوب لا تخشع، موصدة كما الأبواب توصد، هكذا الأغلب يغلق الباب على نفسه، وكأنه يعيش لوحده في هذا العالم، بل كأنه يعيش لنفسه، لا يرى، لا يفكر، لا يسمع. هذه هي الغفلة عما خلق الله عزّ وجل وأنزل من آيات تستحق الوقوف أمامها قليلاً وتأملها. لا يسمح لنفسه بالخروج من قوقعته، لا يعي جيداً قوله عزّ وجل: "قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ"[1]... أليس هذا بالأمر؟ وكل أمر له غاية، والله جلّ جلاله حين أمر بالسير في الأرض له غاية بل غايات، ولعلّ أهم هذه الغايات النظر إلى آثار الأمم السابقة، والتفكر بها، والاعتبار منها، ومما حدث لها.

المطلب الأول: تعريف الغفلة في اللغة، والاصطلاح:

الغفلة في اللغة: من الفعل غَفَل، فهو غافل، والمصدر غفلة: وهي غيبة الشيء عن بال الإنسان، وعدم تذكره له، وقد استعمل فيمن تركه إهمالاً وإعراضاً، نقول: أغفلت الشيء إغفالاً، تركته إهمالاً من غير نسيان[2].

والغفلة هي ما " يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور"[3].

وعرّفها ابن فورك بأنها:" ذهاب المعنى عن النفس؛ كحال النائم، ونقيضها اليقظة، وهي حضور المعنى للنفس، كحال المنتبه [4].

---

[1] سورة النمل: آية 69.

[2] الفيومي: **المصباح المنير**، ج2، ص449-450، بتصرف.

[3] السمعاني: **تفسير القرآن**، ج3، ص122.

[4] ابن فورك، محمد بن الحسن (ت: 406هـ): **تفسير ابن فورك**، ج1، ص416، جامعة أم القرى- السعودية، ط1، 1430هـ.

و" السهو من جنس الغفلة، ولهذا قال من قال: السهو الغفلة عن الشيء، وذهاب القلب عنه، وهذا جماع الشر: الغفلة والشهوة، فالغفلة عن الله والدار الآخرة تسد باب الخير الذي هو الذكر واليقظة، والشهوة تفتح باب الشر والسهو والخوف، فيبقى القلب مغموراً فيما يهواه ويخشاه، غافلاً عن الله، رائداً غير الله ساهياً عن ذكره وقد اشتغل بغير الله، قد انفرط أمره قد ران حب الدنيا على قلبه "[1].

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين السهو والغفلة، فقال:" إنّ الغفلة تكون عما يكون، والسهو يكون عما لا يكون، تقول: غفلت عن هذا الشيء حتى كان، ولا تقول: سهوت عنه حتى كان؛ لأنك إِذا سهوت عنه لم يكن، ويجوز أَن تغفل عنه ويكون، وفرق آخر: أَن الغفلة تكون عن فعل الغير، تقول: كنت غافلاً عمَا كان من فلان ولا يجوز أَن يسهى عن فعل الغيْر"[2].

المطلب الثاني: أسباب الغفلة:

يقول عزّ وجل في افتتاحية سورة الأنبياء: "ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ "[3].

"وصفهم بالغفلة مع الإعراض على معنى: أنهم غافلون عن حسابهم، ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم، ولا يتفطنون لما ترجع إليه خاتمة أمرهم، مع اقتضاء عقولهم أنه لابد من جزاء للمحسن والمسيء.

وإذا قرعت لهم العصا، ونبهوا عن سنة الغفلة، وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الآيات والنذر أعرضوا وسدوا أسماعهم ونفروا"[4].

---

[1] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، (ت: 728هـ): **الزهد والورع والعبادة**، تحقيق: حماد سلامة، محمد عويضة، ص35، مكتبة المنار، الأردن، ط1، 1407هـ.

[2] أبو هلال العسكري: **الفروق اللغوية**، ص98.

[3] سورة الأنبياء: آية 1.

[4] الزمخشري: **الكشاف**، ج1، ص102.

أهم الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في هذه الصفة المذمومة التي عدّها العلماء من عيوب النفس:

1. الرضا بالحياة الدنيا، وما فيها من زخارف وشهوات، والاطمئنان بها، يقول تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ "[1].

يقول الطبري في تفسيره لهذه الآية: " إنّ الذين لا يخافون لقاءنا يوم القيامة فهم لذلك مكذبون بالثواب والعقاب، متنافسون في زين الدنيا وزخارفها، راضون بها عوضاً من الآخرة، مطمئنين إليها ساكنين، والذين هم عن آيا ت الله، وهي أدلته على وحدانيته، وحججه على عباده في إخلاص العبادة له، غافلون معرضون عنها، لا هون لا يتأملونها تأمل ناصح لنفسه فيتعلموا بها حقيقة ما دلتهم عليه، ويعرفوا بها بطول ما هم عليه مقيمون"[2].

2. كثرة الذنوب تورث الغفلة، وقسوة القلب، مما يؤدي إلى البعد عن الله عزّ وجل، وعدم الخوف من عقابه، يقول تعالى: "مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارًا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا "[3].

وقد جمع الحارثي هذه الأسباب في قوله: " والذي يحرم العبد به قيام الليل، أو يعاقب معه بطول الغفلة ثلاث: أكل الشبهات، وإصرار على الذنب، وغلبة هم الدنيا على القلب"[4].

---

[1] سورة يونس: آية 7.

[2] الطبري: **جامع البيان**، ج26، ص4.

[3] سورة نوح: آية 25.

[4] الحارثي، محمد بن علي بن عطية (ت: 386هــ): **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، ج1، ص76، دار الكتب العلمية بيروت، ط2، 1426هــ-2005م.

3. اتباع الهوى، يقول ابن قيم الجوزية: "والغفلة عن الله، والدار الآخرة متى تزوجت باتباع الهوى، تولد ما بينهما كل شر، وكثيراً ما يقترن أحدهما بالآخر "[1] يقول تعالى: " وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا "[2].

4. "أعظم الأسباب في توليد الغفلة أمران: أحدهما امتلاء البطون، والآخر معاشرة العاطلين"[3].

5. الإعراض عن تأمل الآيات الكونية التي خلقها الله سبحانه، وجعلها آية على قدرته، يقول جلّ ذكره: " وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ "[4].

6. عدم إدراك حقيقة الدنيا وأنها دار زوال لا مقام، وأنها دار للامتحان.

7. قلة محبة القلب لله تعالى، فكلما ازداد حب الله في القلب انشغل العبد بتعلم ما يحبه محبوبه.

8. قلة خوف العبد من الله تعالى، فالخوف سوط مؤلم يوقظ العبد وينبهه إلى الإقبال على الله والدار الآخرة .

9. الإعراض عن العلم الشرعي والتفقه في دين الله، فالعلم نور للقلب، به يعلم طريق ضبط شهواته وتسييرها في الطريق الصحيح.

---

[1] ابن القيم، **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، ج1، ص 6، مطابع الشرق الأوسط – الرياض، ط1، 1420هـ، تحقيق: عبد الله بن محمد المديغ.

[2] سورة الكهف: آية 28.

[3] ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ): **التذكرة في الوعظ**، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ج1، ص 102، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1406هـ.

[4] سورة يوسف: آية 105.

المطلب الثالث: نتائج الغفلة:

ينتج عن الغفلة أمور كثيرة، أهمها:

1. الحسرة والندامة يوم القيامة على ما فرطوا في هذه الحياة الدنيا، يقول تعالى: " وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ "[1] وسمي يوم الحسرة؛ لكثرة تحسّر الغافل على ما فرط في الحياة الدنيا، " فهو يوم الحسرة الذي أنذر به أهل الغفلة، فكيف بهم في ذلك اليوم، إذا كانوا اليوم أمواتاً، ولم يكن له حسنة، فأنى لهم النذارة والتذكرة"[2].

2. الجهل بالنعمة؛ وذلك بسبب طول الغفلة عن المنعم، وترك التفكر في نعمه، والتذكر لآلائه[3].

3. حب الحياة الدنيا، وحال المؤمن من هذا الضد، وأما أهل الغفلة وأصحاب التهتك، فإنما حرصهم على الحياة؛ لعلمهم بما فقدوا فيها من طاعتهم[4].

يقول تعالى: " وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ "[5].

4. "الغفلة تحول بين العبد وبين تصور الحق ومعرفته، والعلم به، فيكون من الضالين، وإتباع الهوى يصده عن قصد الحق، وإرادته، وإتباعه فيكون من المغضوب عليهم"[6].

5. الغفلة تحرم الربح، والمعصية توجب الخسران، والغفلة تغلق أبواب الجنة، والمعصية تفتح أبواب النار[7] يقول القشيري:" وأثر الغفلة على القلوب أعظم من ضرر الزلة على النفوس، فإنّ النفس على الحظ تبقى، والقلب عن الحق يبقى"[8].

---

[1] سورة مريم: 39.

[2] الحارثي: **قوت القلوب**، ج1، ص189.

[3] **المرجع السابق**، ج1، ص 348، بتصرف.

[4] انظر، القشيري، **لطائف الإشارات**، ج1، ص1124.

[5] سورة البقرة: آية 96.

[6] ابن القيم: **رسالة إلى أحد إخوانه**، ج1 ص7.

[7] ابن الجوزي: **التذكرة في الوعظ**، ج1، ص103.

[8] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج1، ص24.

6. إبعاد القلب عن ذكر الله الذي به يحيا، وبه يسعد، وبه ينجو فالدنيا والآخرة " وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا "[1].

7. استحقاق دخول النار" وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ "[2].

8. نزول العذاب على الغافلين " فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ "[3].

المطلب الرابع: علاج الغفلة:

الغفلة داء قلبي وعقلي يبتلى به المؤمن والكافر، فأما الكافر فإنّ الغفلة صفة ملازمة له في كل أحواله، لا يستفيق منها إلا في يوم لا تنفع فيه الحسرة أو الندامة، يوم القيامة، يوم يعرضون على نار جهنم التي أعدت لهم خالدين فيها أبداً، ذلك اليوم الذي لا يستجيب فيه لمن يقول: "رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ"[4].

أما المؤمن فلو قدر له وأصيب بهذا الداء الدنيوي، فإنّ أمامه فرصة لمعالجته، والشفاء منه بإذن الله تعالى، ومن أهم الوسائل العلاجية التي يستعان بها للشفاء من هذا المرض، التوجه لله عزّ وجل صاحب الهداية – بالدعاء، والتضرع، والرجاء منه عزّ وجل. ومما يعين على ذلك أيضاً كثرة الذكر، يقول تعالى: " وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ "[5].

فعلى الإنسان الغافل دوام الذكر لله عزّ وجل في كل الأحوال والأزمان؛ لأنّ ذكر الله يبعد عنه وساس الشيطان التي تسبب له الغفلة، والبعد عن الله. ثم التوبة من الذنب، وطلب

---

[1] سورة الكهف: آية 28.

[2] سورة يونس: آية 7–8.

[3] سورة الأعراف: آية 136.

[4] سورة المنافقون: آية 10.

[5] سورة الأعراف: آية 205.

المغفرة من الله عزّ وجل، والتذكر أنه شديد العقاب، وأنّ عذابه هو العذاب الأليم، وعدم الركون إلى أنه غفور رحيم؛ لأنّ ذلك يؤدي إلى الوقوع في لجة من المعاصي والآثام التي لا حدّ لها.

ولعلّ من الأمور التي توقظ الغافلين، محاسبة النفس، فعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أهون عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر"[1] "يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ"[2].

وفي الآيات الآتية نجد خير علاج للغفلة، حيث يقول عزّ وجل ثناؤه: "أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ "[3].

وبعد تأمل الآيات الآنفة الذكر، يمكن استنباط أهم الوسائل العلاجية لداء الغفلة، ومن هذه الوسائل:

1. التفكر في النفس البشرية، وما أودع الله فيها من أسرار.
2. التفكر في خلق السماوات والأرض، وما فيهما من عجائب وغرائب.
3. الإيمان باليوم الآخر، والإعداد له بالأعمال الصالحة والطاعات.
4. السير في الأرض (السفر)، والنظر إلى آثار الأمم الماضية، والتفكر في أحوالها وعاقبتها.

---

[1] ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد (ت: 281هـ): **محاسبة النفس**، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم وعبد الله الشرقاوي، ص3، مؤسسة الكتب الثقافية، دار الكتب العلمية، مكتبة القرآن – بيروت. وابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: 235هـ): **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، رقم الحديث34459، ج7، ص96، مكتبة الرشد- الرياض، ط1، 1409هـ.

[2] سورة الحاقة: آية 18.

[3] سورة الروم: آية 8-10.

يقول أبو حامد الغزالي: " أما آيات الله في أرضه ففي مشاهدتها فوائد للمستبصر، ففيها قطع متجاورات، وفيها الجبال والبحار، وأنواع الحيوان والنبات، وما من شيء منها إلا هو شاهد لله بالوحدانية، ومسبح له بلسان ذلق، لا يدركه إلا من ألقى السمع وهو شهيد"[1].

5. تدبر القرآن الكريم.

6. ملازمة الصحبة الصالحة.

7. التناصح بين المؤمنين " وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ "[2].

8. قراءة قصص الصالحين والظالمين؛ ليرى الفرق بينهما، وعاقبة كل منهما، وليختر ما يناسبه لتحقيق سعادته.

"واما الجاحدون والغافلون والمغترون بلامع السراب من زهرة الدنيا فإنهم لا يبصرون ولا يسمعون، لأنهم عن السمع معزولون، وعن آيات الله محجوبون"[3] يقول تعالى: " يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ "[4].

والغافلون هنا تحتمل وجهان: "أحدهما: عما أعده الله في الآخرة من ثواب على طاعته، وعقاب على معصيته، الثاني: عما أمرهم الله به من طاعة وألزمهم إياه"[5] "وإيرادها اسمية للدلالة على استمرار غفلتهم ودوامها "[6].

---

1 الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج2، ص246.

2 سورة العصر: آية 1-3.

3 المرجع نفسه.

4 سورة الروم: آية 7.

5 الماوردي: **النكت والعيون**، ج4، ص300.

6 الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت: 1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق علي عبد الباري عطية، ج11، ص24، دار الكتب العلمية- بيروت ط1، 1415هـ.

المبحث الرابع: التكبر والغرور:

من الأخلاق التي نهى الله تعالى عنها، ورسوله ﷺ: التكبر، فقد ذم الله تعالى من يتصف بهذا الخلق، بل توعده بالعذاب الشديد في نار جهنم؛ وذلك لما له من عواقب وخيمة على الفرد والمجتمع.

المطلب الأول: تعريف التكبر في اللغة، والاصطلاح:

الكبر في اللغة اسم من التكبر، والكبر العظمة، والكبرياء[1].

وعرَّف المناوي التكبر بأن: "يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره وأعظم "[2].

وقد جاء التكبر في القرآن الكريم بعدة معاني أهمها:

1. الاستنكاف، ومنه قوله تعالى: " لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا "[3] والفرق بين لاستنكاف والاستكبار: أنّ الاستنكاف يكون بعدم الخضوع المطلق لكل أوامر الله تعالى (بالترك أو بالفعل) ولهذا ذكر المسيح؛ لأنه أُدعي فيه الألوهية، فهو خاضع تمام الخضوع لأمر الله لا يخالفه مطلقاً فحقق كمال العبودية لله.

(لا كمال الألوهية كما أُدعي فيه)، وكذلك الملائكة هم خاضعون خضوعاً تاماً لأمر الله (تركاً أو فعلاً) ولهذا وصفهم لا يعصون الله ويفعلون ما يؤمرون.

أما الاستكبار فقد يكون الإنسان متكبراً بأمر واحد يرفض الانصياع فيه لشرع الله مع علمه بأنه شرع الله إما رفضاً لأمر الله استدراكاً عليه كما فعل إبليس مع أمر الله له بالسجود، أو يكون الاستكبار من المسلم لعدم عبوديته الكاملة لله تعالى - لا رفضاً

---

[1] الفيومي: **المصباح المنير في غريب شرح الكبير**، ج2، ص 253، بتصرف.

[2] المناوي: **التوقيف على مهمات التعريف**، ج1، ص107.

[3] سورة النساء: آية 172.

واعتراضاً على حكم الله – ولكن إتباعاً لهواه وأهل الباطل، فلا يكون حينئذ كافراً ولكن مرتكباً لكبيرة من الكبائر، مستحق للوعيد الشديد من الله.

2. ومن معاني التكبر التيه، ومنه قوله تعالى: " قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ "[1].

وقد فرّق أبو هلال العسكري بين المعنيين، فقال: "الكبر إظهار عظيم الشأن، وهو في صفات الله تعالى مدح، لأنّ شأنه عظيم، وفي صفاتنا ذم لأنّ شأننا صغير، وهو أهل للعظمة، ولسنا لها بأهل، والشأن ههنا معنى صفاته التي هي في أعلى مراتب التعظيم، ويستحيل مساواة الأصغر له فيها على وجه من الوجوه، والتيه أصله الحيرة والضلال، وإنما سمي المتكبر تائهاً على وجه التشبيه بالضلال والتحير ولا يوصف الله به "[2].

3. ومن معاني التكبر العتو، وهو التكبر والإباء[3] ومنه قوله تعالى: "فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ "[4].

المطلب الثاني: الموصوفون بالتكبر، وسماتهم:

إنّ أول من وصف بالتكبر كان إبليس، وذلك حين خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب، فقد أمر الملائكة بالسجود له. سجود تكريم لا سجود عبادة، فسجدوا جميعاً إلا إبليس.

أبى، وكان من الكافرين، يقول تعالى: "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ "[5] وكانت حجته في ذلك:" قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ "[6].

---

[1] سورة المائدة: آية 26.

[2] العسكري: **الفروق اللغوية**، ص 246.

[3] البقاعي: **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، ج7، ص284.

[4] سورة الأعراف: آية 166.

[5] سورة البقرة: آية 34.

[6] سورة ص: آية 76.

فإبليس هو الذي سن التكبر، فقوله: "خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ" تعليل لفضله عليه، وقد غلط في ذلك، بأن رأى الفضل كله باعتبار العنصر، وغفل عما يكون باعتبار الفاعل[1].

فإبليس "لم يمتثل أمر الحق ترفعاً عنه، وزعماً بأنه خيرٌ من الخليقة عنصراً، وأزكى جوهراً "[2].

ويعلل الطبري الغاية من هذا الإخبار عن إبليس وتكبره بأنها:" تقريع لضربائه من الخلق الذين يتكبرون عن الخضوع لأمر الله، والانقياد لطاعته فيما أمرهم به، وفيما نهاهم عنه، والتسليم له فيما أوجب لبعضهم على بعض من الحق "[3].

ومن الموصوفين بالتكبر، قوم هود عليه السلام، إذ يقول الله عزّ وجل واصفاً إياهم في كتابه العزيز: "فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ"[4].

وممن وصفهم الله سبحانه بالتكبر، ذاك الفرعون الظالم، الذي استبد بقومه، وكذا وزيره هامان، يقول تعالى:" وَقَـٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَـٰبِقِينَ"[5] وقد تكرر اسم هذا الملك الظالم المتكبر في القرآن الكريم سبعاً وستين مرة، تأكيداً على ظلمه وجبروته، واستعلائه في الأرض بغير حق، حتى يكون عبرة لكل ملك ظالم يأتي بعده، ويصدّق ذلك قوله تعالى واصفاً سياسة فرعون في شعبه: " إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ "[6].

---

[1] البيضاوي: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج3، ص 8، بتصرف.

[2] رضا، محمد رشيد بن علي (ت: 1354هـ): **تفسير المنار**، ج1، ص221، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

[3] الطبري، **جامع البيان**، ج1، ص 228.

[4] سورة فصلت: آية 15.

[5] سورة العنكبوت: آية 39.

[6] سورة القصص: آية 4.

أي: "علا بملكه وسلطانه، أو بقتله أبناء بني إسرائيل واستعبادهم، أو بادعائه الربوبية وكفره. والأرض: مصر؛ لأنه لم يملك الأرض كلها، وعلوه: لغلبته وقهره، أو لكبره، وتجبره،، وشيعاً: فرقاً، فرق بني إسرائيل والقبط، استضعف طائفة بني إسرائيل بالاستبعاد والأعمال القذرة "[1].

وفي هذه الآية "حث لنا على تذكر نعم الله، ومراعاتها واحدة واحدة، وتجديد الشكر لكل منها"[2].

وممن وصِف بالتكبر، اليهود " الذين كانوا بين ظهراني مهاجر رسول الله ﷺ، وأحبارهم الذين كانوا برسول الله ﷺ وصفته عارفين، بأنه لله رسول عالمين، ثم استكبروا مع علمهم بذلك عن الإقرار بنبوته، والإذعان لطاعته بغياً منهم له وحسداً، فقرعهم الله بخبره عن إبليس الذي فعل في استكباره عن السجود لآدم حسداً له وبغياً نظير فعلهم في التكبر عن الإذعان لمحمد نبي الله ﷺ ونبوته، إذ جاءهم بالحق من عند ربهم حسداً وبغياً "[3].

هؤلاء أهم من وصف بالتكبر في القرآن الكريم، أما سماتهم وأهم الخصائص التي يعرف بها كل متكبر فهي:

1. تصعير الخد للناس، أي: "إمالة الخد عن النظر إلى الناس، تهاوناً من كبر وعظمة"[4] وهذا ما نهى لقمان ابنه عنه فقال: " وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ "[5].
2. المشي في الأرض مشية عظمة وخيلاء، يقول الله تعالى على لسان لقمان أيضاً:

---

[1] السلمي، عز الدين بن عبد السلام (ت: 660هـ): **تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الوهبي، ج2، ص 478، دار ابن حزم – بيروت، ط1، 1416هـ–1996م.

[2] الأصفهاني، الحسن بن محمد المعروف بالراغب (ت: 502هـ): **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، ص186، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420هـ–1999م.

3 الطبري، **جامع البيان**، ج1، ص228.

[4] الفراهيدي، **العين**، ج1، ص298.

[5] سورة لقمان: آية 18.

"وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا "[1].

يرى ابن باديس فعلق أنّ الآية السابقة تُذَكِّر "الإنسان بضعفه بين مخلوقين عظيمين من فوقه ومن تحته، فإذا ضرب برجليه الأرض في مرحه فهو لا يستطيع خرقها، وإذا تطاول بعنقه في اختياله، فهو لن يبلغ طول الجبال، فقد أحاط به العجز من ناحيتيه، وذكر الإنسان لضعفه وعجزه أنجع دواء لمرض إعجابه بنفسه"[2].

3. جر الإزار من الخيلاء، قال رسول الله ﷺ:" بينما رجل يجر إزاره من الخيلاء خسف به، فهو يتجلجل[3] في الأرض إلى يوم القيامة"[4].

4. من علامة الكبر أيضاً: بطر الحق، وغمط الناس، يقول ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر"، قال رجل: إنّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً، ونعله حسن، قال:" إنّ الله جميلٌ يحب الجمال، الكبر بطر الحق[5] وغمط الناس[6] " [7].

5. المجادلة في آيات الله بغير دليل ولا برهان، يقول تعالى: " ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ "[8].

هذه هي أهم سمات المتكبر، كما أخبرنا عنها سبحانه وتعالى في كتابه العزيز، وبيّنها لنا رسولنا الكريم في سنته الشريفة.

---

[1] سورة الإسراء: آية 37.

[2] ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس، الصنهاجي (ت: 1359هـ): **آثار ابن باديس**، تحقيق: عمار طالبي، ج1، ص276، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ-1968م.

[3] يتجلجل: يتحرك فيها أي يغوص في الأرض حين يخسف به، ابن منظور: **لسان العرب**،ج11، ص122.

[4] البخاري، **صحيح البخاري**، ج4، ص 177، كتاب الأنبياء، باب حديث الغار.

[5] بطر الحق: ألا يراه حق، ويتكبر عن قبوله، الأزهري: **تهذيب اللغة**، ج13، ص292.

[6] غمط الناس: احتقار الناس وازدرائهم، المرجع السابق، ج8، ص78.

[7] مسلم: **صحيح مسلم**، ج1، ص93، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

[8] سورة غافر: آية 35.

المطلب الثالث: أنواع التكبر، وأسبابه:

هناك أنواعاً كثيرة للتكبير، ويمكن إجمال هذه الأنواع:

أ) التكبر على الله، وذلك أفحش أنواع التكبر، ولا مثار له إلا الجهل المحض والطغيان.

ب) التكبر على الرسل، من حيث تعزز النفس، وترفعها عن الانقياد لبشر مثل سائر الناس.

" وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا "[1].

ج) التكبر على العباد، وذلك بأن يستعظم نفسه، ويستحقر غيره، فتأبى نفسه الانقياد لهم وتدعوه إلى الترفع عنهم، فيزدريهم، ويستصغرهم، ويأنف مساواتهم[2].

وقد قسّم الحارثي النوع الأخير من التكبر إلى ثلاثة أصناف[3]:

1. تكبر على الناس عجباً بالنفس.
2. تكبر في قلوب الناس عزة من النفس، أي يجب أن يكبر في قلوبهم.
3. تكبر في القلب عن نظره إلى صلاحه ودينه.

أما أسباب التكبر فقد ذكر الغزالي منها سبعة أمور، قال: "أعلم أنه لا يتكبر إلا من استعظم نفسه، ولا يستعظمها إلا وهو يعتقد لها صفة من صفات الكمال، وجماع ذلك يرجع إلى كمال ديني، أو دنيوي. فالديني هو العلم والعمل، والدنيوي هو الحسب، والجمال، والقوة، والمال، وكثرة الأنصار فهذه سبعة أسباب"[4].

---

[1] سورة نوح: آية 7.

[2] الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج3، ص345-346، بتصرف.

[3] الحارثي: **قوت القلوب**، ج2، ص169، بتصرف.

[4] الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج3، ص347.

وهذا قول صحيح، والناظر في واقعنا المعاصر يلاحظ ذلك، فكم من عالم تعلم ليقال عنه عالم، تعلم ليتباهى أمام العالم أجمع أنه حاصل على أعلى الدرجات. وكم من عابد يعبد الله رياء، ليشهد له الناس بالدين والزهد، فتراه يصلي، ويزكي ويحج، ليقال صاحب دين، وهو في حقيقته لا يخاف الله، وهو لا يعلم أنّ عبادته هذه " هباءً منثوراً " لا فائدة منها عند الله.

ومن أسباب التكبر، التكبر بالأحساب الموجبة احتقار الناس، واجتنابهم والافتخار عليهم، والتكبر بالقوي، وحسن الصور، والتكبر بالأموال والأولاد وكثرة العشائر والأنصار[1].

ومن أسباب التكبر، هوى النفس والإعجاب بها، وخير الأمثلة على ذلك " هوى إبليس الحامل على التكبر عن طاعة الله عزّ وجل في أمره بالسجود لآدم، فحمله هوى النفس، وإعجابه بها على أن عصى أمره، وتكبر على طاعته فكان من أمره ما كان"[2].

المطلب الرابع: نتائج التكبر وعلاجه:

فيما يلي أهم النتائج التي يحصدها كل متكبر مختال:

يقول جلّ ثناؤه: "عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ "[3].

1. الصرف عن الاعتبار عما في السماوات والأرض من آيات تذهل كل ناظر متفكر[4].

وفسَّر الزمخشري الصرف " بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يتفكرون فيها، ولا يعتبرون بها غفلةً وانهماكاً فيما يشغلهم عنها من شهواتهم"[5].

---

[1] السلمي: **مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل**، ج1، ص 145، دار الفكر –دمشق،ط1، 1416هـ –1995م، تحقيق إياد خالد الطباع، بتصرف.

[2] ابن القيم: **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ص 190، دار الكتب العلمية – بيروت، 1403هـ–1983م.

[3] سورة الأعراف: آية 146.

[4] انظر، الواحدي: **الوحيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص413.

[5] الزمخشري: **الكشاف**، ج2، ص150.

2. الطبع على قلب كل متكبر، يقول تعالى: " ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ "[1] أي: "كما طبع الله على قلوب المسرفين الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان أتاهم، يطبع على قلوب جميع المتكبرين الجبارين الذين أبوا أن يوحدوا الله ويصدقوا رسله، واستعظموا عن إتباع الحق، فيصدر عنهم أمثال ما ذكر من الإسراف، والارتياب سمعت الأذان، وهو كقوله: فإنه آثم قلبه، وإن كان الإثم هو الجملة "[2].

3. استحقاق غضب الله، ومن ثم الخلود في نار جهنم قال تعالى: " فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ "[3].

وفي المقابل، فقد نفى رسول الله ﷺ دخول الجنة لكل من تكبر، فقال:" لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر "[4].

4. أنّ أبواب السماء لا تفتح لأرواحهم إذا ماتوا، يقول تعالى: " إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ "[5].

5. قال صلى الله عليه وسلم:" يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال يغشاهم الذل من كل مكان..."[6].

6. المستكبر لا يحبه الله تعالى: " إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡتَكۡبِرِينَ "[7].

---

[1] سورة غافر: آية 35.

[2] النسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، ج4، ص74.

[3] سورة النحل: آية 29.

[4] مسلم، **صحيح مسلم**، ج1، ص 93، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه.

[5] سورة الأعراف: آية 40.

[6] الترمذي، **سنن الترمذي**، ج4، ص236. وقال حديث حسن.

[7] سورة النحل: آية 23.

7. عذاب الهون: " فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ "[1].

ويعلق ابن عاشور قائلاً:" التكبر والتجبر، فإنه مفسدة نفسية عظيمة تتولد فيها مفاسد جمة من احتقار الناس، والاستخفاف بحقوقهم، وسوء معاشرتهم، وبث عداوته فيهم، وسوء ظنه بهم، وأن لا يرقب فيهم موجبات فضل سوى ما يرضى شهوته وغضبه"[2].

فيما سبق تم التعريف بداء الكبر، وذكر الموصوفين به، وأهم سماتهم، ومن ثم التعرف على أسبابه، وأقسامه، ونتائجه، أما الآن فلابد من معرفة كيفية علاج هذا الداء النفسي.

أهم الخطوات في طريق معالجة داء الكبر:

يقول القشيري: "والناس في الخلاص من صفة التكبر أصناف: فأصحاب الاعتبار إذا عرفوا أنهم مخلوقون من نطفة أمشاج، وما تحمله أبدانهم مما يترشح من مسامهم من بقايا طعامهم وشرابهم، تعلو هممهم عن التضييق والتدنيق[3]ويبعد عن قلوبهم قيام أخطار للأشياء، ولا يخطر على داخلهم إلا ما يزيل عنهم الكبر وينزع عنهم لباس التجبر"[4].

وتعدّ تقوى الله جزءاً مهماً من علاج التكبر، وذلك لأن تقوى الله تنافي التكبر، ولأنّ التقوى كمال الخلق الشرعي وتقتضي اجتناب المنهيات، وامتثال الأمر في الظاهر والباطن.

وحكم علاج هذا المرض النفسي وإزالته فرض عين، وهو لا يمكن بمجرد التمني بل بالمعالجة، باستعمال أدويته النافعة في إزالته من أصله، وأن يعرف الإنسان نفسه حق المعرفة، بأن يتأمل ما أشار إلى بدايته من أذل الأشياء، وأحقرها وأقذرها، وهو التراب ثم المني، ووسطه

---

[1] سورة الأحقاف: آية 20.

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج2، ص304.

[3] التدنيق: إدامة النظر إلى الشيء، الزبيدي: **تاج العروس**، ج25، ص311.

[4] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج2، ص189.

من التأهل لاكتساب العلوم والمعارف، وحيازة المناصب والمراتب، ونهايته من الزوال والفناء، والعودة إلى مثل نهايته، ثم إعادته على ذلك الموقف الأكبر، ثم إلى الجنة أو إلى النار[1].

وخير ما يختم به هذا المطلب، ما قاله أبو حامد الغزالي: إن الكبر، والعز، والعظمة، والعلاء لا يليق إلا بالملك القادر، فأما العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق به الكبر؟، فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله...... فالخلق كلهم عباد الله، وله العظمة والكبرياء عليهم، فمن تكبر على عبد من عباد الله فقد نازع الله في حقه[2].

قال رسول الله ﷺ:"العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته"[3].

---

[1] الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر (ت: 974هـ): **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، ج1، ص120، دار الفكر، ط1، 1407هـ-1987م، بتصرف.

[2] انظر، الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج3، ص346.

[3] مسلم: **صحيح مسلم**، ج4، ص2023، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر.

الفصل الثالث

مجالات الاعتبار في القرآن الكريم

المبحث الأول: الاعتبار بما في الكون من آيات

المبحث الثاني: الاعتبار بقصص السابقين

المبحث الثالث: الاعتبار بأمثال القرآن الكريم

الفصل الثالث

مجالات الاعتبار في القرآن الكريم

المبحث الأول: الاعتبار بما في الكون من آيات:

أرسل الله سبحانه وتعالى محمداً لهداية الأمة، فكان رسولاً للناس كافة، وأيده بالقرآن الكريم معجزة خالدة على مر الزمان، فكان لابد أن تتناسب مع كل العصور السابقة واللاحقة، كما تناسبت وتلاءمت مع عصر النبوة، وكان لابد من بقاء تحديها للأمم اللاحقة، بالقوة التي تحدت بها الأمم السابقة، فتحدي القرآن الكريم للناس كافة لا زال قائماً، ففي القرآن الكريم الكثير من الآيات الدالة على قدرة الله عزّ وجل، خاصة تلك الآيات التي تخاطب أولي الألباب، وتحثهم على النظر والتفكر فيما يشاهدون في الكون من المخلوقات العجيبة التي ترشد إلى عظمة الخالق " فإذا كان القرآن الكريم كتاب الله المقروء، فإنّ الكون هو كتاب الله المنظور"[1].

يقول سبحانه وتعالى: " سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ "[2] " ففي القرآن الكريم ألف وثلاثمائة آية تتحدث عن الكون، وعن خلق الإنسان، وهذه الآيات تقترب من سدس القرآن، وإذا كانت آيات الأمر تقتضي الطاعة، وآيات النهي تقتضي الترك، فماذا تقتضي آيات الكون؟ إنها تقتضي التفكير"[3].

وقد توصل العلم الحديث في القرن التاسع عشر، والقرن العشرين كثيراً من الحقائق التي تتعلق بالمطر، والسحاب، والسماء، وفي العلم بما تحمله الأنثى، وغير ذلك.

---

[1] الجميلي، السيد: **الإعجاز العلمي في القرآن**، ص8، دار الوسام – بيروت، ودار مكتبة الهلال، ط2، 1992م.

[2] سورة فصلت: آية 53.

[3] النابلسي، محمد راتب: **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق**، ص11–12، دار المكتبي، دمشق، ط3، 1428هـ–2007م.

"وعبر بالسين في قوله: " سَنُرِيهِمۡ " مع أــنّ إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك، بمعنى أنّ الله تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زماناً فزماناً، ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً، حتى يتبين لهم أنّه الحق، أي القرآن، أو الإسلام، أو التوحيد"[1].

المطلب الأول: خلق السماوات والأرض:

من المخلوقات العظيمة الدالة على قدرة الله عزّ وجل وعظمته: خلق السماوات والأرض، فقد ورد في القرآن الكريم المئات من الآيات التي تتحدث عن السماوات والأرض، وتكشف إبداع الخالق فيهما، فهذه آيات تتحدث عن السماء بمفردها، وتلك تتحدث عن الأرض بمفردها، وآيات تجمع بينهما، وقد ربط القرآن الكريم خلق السماوات بخلق الأرض في مائة وخمسة وأربعين موضعاً، تارة يقدم خلق السماوات على الأرض، وتارة يقدم خلق الأرض على السماوات "فهذا التقديم والتأخير هو بيان لهذا الارتباط الشديد بين خلق السماوات والأرض، وأنه قد وقع في زمن واحد، ولم يقع في أزمان متباعدة، ولم يكن هناك انفصال في مراحل الخلق"[2].
وقد يدل هذا الربط بين السماوات والأرض على تلازمهما سواء في الخلق أو في الديمومة[3].

وهذه الآيات بمجموعها تبسط أمام العلماء والمفكرين أسرار خلق السماوات والأرض للبحث والاكتشاف، والاستدلال من خلالها على عظمة الخالق.

وفيما يلي أهم الآيات التي تبين مواطن العبرة في خلق السماوات والأرض، وتكشف عن سر هذا الخلق العظيم، مع أهم تفسيرات العلماء السابقين، يتبعها تحليلات العلماء في العصر الحديث:

---

[1] ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، (ت: 1224هـ): **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، ج5، ص190، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1419هـ.

[2] العرابلي، عبد المجيد عثمان: **حقيقة السماوات والأرض كما صورها القرآن**، ص28، مجدلاوي – الأردن، 2006م.

[3] **المرجع نفسه.**

1. قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ "[1]. والرتق مصدر رتق رتقاً إذا لم يكن بينهما فرجة، أما الفتق فيكون بين الشيئين اللذين كانا ملتئمين، أحدهما متصل بالآخر، فغذا بينهما[2].

وبين محمد رشيد رضا أنّ " الرؤية هنا علمية، والمعنى: ألم يعلموا ما ينبغي أن يعلموه من أنّ السماوات والأرض كانتا مادة واحدة متصلة، لا فتق فيهما يعلوه ولا انفصال، وهي ما يسمى في عرف علماء الفلك بالسديم، وبلغة القرآن بالدخان، ففتقناهما بفصل بعضهما من بعض، فكان منها ما هو سماء ومنها ما هو أرض"[3].

"وهذه معجزة من معجزات القرآن الكريم يؤيدها العلم الحديث، الذي قرر أنّ الكون كان شيئاً واحداً من غاز، ثم انقسم إلى سدائم، وعالمنا الشمسي كان نتيجة تلك الانقسامات"[4].

ويعلق سيد قطب على هذه الآية قائلاً: "إنها جولة في الكون المعروض للأنظار، والقلوب غافلة عن آياته الكبار، وفيها ما يحير اللب حين يتأمله بالبصيرة المفتوحة، والقلب الواعي، والحس اليقظ، وتقريره أنّ السماوات والأرض كانت رتقاً واحداً ففتقناهما، مسألة جديرة بالنظر"[5].

ومن المفسرين الذين تأملوا هذه الآية: محمد رشيد رضا، فقد استخرج من هذه الآية أصل تكوين السماوات والأرض، وذكر مسائل أهمها:

1. إنّ المادة التي خلقت منها السماوات والأرض كانت دخاناً، ويؤيد ذلك قوله تعالى: "ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ "[6].

---

[1] سورة الأنبياء: آية 30.

[2] أبو هلال العسكري: **الفروق اللغوية**، ج1، ص 152، بتصرف.

[3] رضا: **تفسير المنار**، ج12، ص16.

[4] علي، محمد سامي محمد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص 32، دار المحبة – دمشق.

[5] قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص2375.

[6] سورة فصلت: آية 11.

2. إنّ هذه المادة الدخانية واحدة، ثم فتق رتقها، أي: فصل بعضهما عن بعض، فخلق منها هذه الأرض والسماوات السبع العلا.

3. إنّ خلق الأرض كان في يومين، وتكون اليابسة، والجبال الرواسي فيهما، ومصادر القوت "وهي أنواع النبات والحيوان " في يومين آخرين تتمة أربعة[1] ويؤيد ذلك قوله عزّ وجل: "قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ وَتَجۡعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٩ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوۡقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقۡوَٰتَهَا فِيٓ أَرۡبَعَةِ أَيَّامٖ سَوَآءٗ لِّلسَّآئِلِينَ "[2]، أما بالنسبة لمادة خلق السماوات والأرض، فإنّ السماوات قد خلقت من دخان كما بُين سابقاً. أما الأرض فقد خلقت من التراب والصخور المكونة منهما، وجعل مادة السماء هي الغازات والأبخرة التي تتكون منها، وهي اليوم لدينا معلومة معروفة، فهي تتكون من النيتروجين والأكسجين وثاني أكسيد الكربون، وبخار الماء، ونسب ضئيلة جداً من غازات أخرى[3].

2. يقول الله تعالى: "أَفَلَمۡ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوۡقَهُمۡ كَيۡفَ بَنَيۡنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٖ ۝٦ وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ ۝٧ تَبۡصِرَةٗ وَذِكۡرَىٰ لِكُلِّ عَبۡدٖ مُّنِيبٖ "[4] في هذه الآية الكريمة حثٌّ على النظر والتأمل والتفكر في السماء وكيفية بنائها، كذلك الأرض وكيف مدّها للاعتبار والاستدلال، أي: أولم يعتبروا؟ أولم يستدلوا بما رفعنا فوقهم من السماء، ورفعنا سمكها فسويناها، وأثبتنا فيها الكواكب، وبها زيناها، وأدرنا بها شمسها وقمرها؟ ... والأرض مددناها فجعلناها لهم مهاداً، وجعلنا لها الجبال أوتاداً، وأنبتنا فيها أشجاراً وأزهاراً، وأنواراً، كل ذلك علامة ودلالة لكل من أناب إلينا، ورجع من شهود أفعالنا إلى رؤية صفاتنا، ومن شهود صفاتنا إلى شهود حقنا وذاتنا[5].

---

[1] رضا: **تفسير المنار**، ج8، ص 397، بتصرف.

[2] سورة فصلت: آية9-10.

[3] العرابلي: **حقيقة السماوات كما صورها القرآن**، ص 35، بتصرف.

[4] سورة ق: آية 6-8.

[5] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج3، ص 448، بتصرف.

وفي هذه الآية تحدي لأولئك الكفرة الذين ينكرون قدرة الله سبحانه وتعالى على البعث وغيره، فهي دليل حسي مشاهد لهم، أي: "أفلم ينظر هؤلاء الكفار إلى السماء المخلوقة العجيبة، فهي مرفوعة بلا عمد، ومزينة بالكواكب، ومبنية بناءً راسخاً، ليس فيها شقوق وصدوع وفتوق، ثم ألم ينظروا أيضاً إلى الأرض التي بسطناها ووسعناها، وألقينا فيها جبالاً ثوابت لئلا تضطرب بأهلها، وأنبتنا فيها من كل صنف نباتي ذي بهجة وجمال، وحسن منظر. فعلنا كل ذلك ليتبصر العباد، والمنيبون الراجعون إلى ربهم وطاعته، ويتفكروا في بدائع مخلوقاته، ويتذكروا هذه الأدلة، وخص الله تعالى بالذكر العبد المنيب، وأفرده تشريفاً، من حيث أنّ هؤلاء العباد هم المنتفعون بالتبصرة والذكرى"[1].

3. يقول تعالى: "وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ"[2] فيقرر الله عزّ وجل أنّ هذه الجبال الرواسي تحفظ توازن الأرض، فلا تميد بهم، ولا تضطرب...وذكر الفجاج في الجبال، وهي الفجوات بين حواجزها العالية... " وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا " والسماء كل ما علا، ونحن نرى فوقنا ما يشبه السقف، والقرآن يقرر أنّ السماء سقف محفوظ من الخلل بالنظام الكوني الدقيق، ومحفوظ من الدنس، باعتباره رمزاً للعلو الذي تتنزل منه آيات الله[3].

ولقد أثبت العلم الحديث ما يأتي: "إنّ وجود الجبال على سطح الأرض موزعة بدقة وحكمة يساعد على التوازن بين المنخفضات والمرتفعات، بحيث لا يمكن للأرض أن تميد، ولا تضطرب"[4]. ثم إنّ هذه الجبال مختلفة من جهات عدة، يقول سبحانه وتعالى: " وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ "[5]. "يقرر علماء الجيولوجيا أنّ اختلاف ألوان الجبال يرجع إلى اختلاف المواد التي تكون صخورها، فالتي من حديد يجعل لونها السائد أحمر، أو من

---

[1] الزحيلي، وهبة بن مصطفى: **التفسير الوسيط**، ج3، ص2485، دار الفكر – دمشق، ط2، 1422هـ.

[2] سورة الأنبياء: آية 31-32.

[3] قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص2375، بتصرف

[4] مارديني: **موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية**، ص101.

[5] سورة فاطر: آية 27.

منغنيز يجعل لونها أسود، أو من نحاس يجعل لونها أصفر، وغير ذلك، وليس هذا فحسب وإنما يرجع الاختلاف أيضاً إلى ما يسمى بالصهارة التي تنبثق في أماكن من الأرض، وعلى أعماق مختلفة من السطح، فيعتري تركيبها الاختلاف، فتتصلب آخر الأمر في كتل، أو جبال مختلفة المادة واللون"[1].

ومن الآيات السابقة أيضاً يمكننا الاستنتاج بأن السماء سقف الأرض، كما للبيت سقف، "فالسقف جزء من البناء يمكننا من المرور تحته، والسكنى تحته، كذلك السماء، فنحن نتحرك فيها وهي محيطة بنا، فهي لنا البناء، وهي لنا السقف، وقد وصفت السماء في هذه الآية بأنها محفوظة، وليست حافظة، فهو تنبيه آخر يبينه الله لنا، أنّ السماء كونها بناء، وكونها سقفاً كان بفعل قوة جاذبية الأرض التي أمسكت هذه الغازات، ومنعتها من التفلت والانتشار، فتجمعت فوق الأرض، فكانت بناء وكانت سقفاً، وحفظت أيضاً بمجال الأرض المغناطيسي، الذي يصد عنها الجسيمات، والأشعة الضارة، وبحفظها بهاتين، حفظت أجسامنا، وما فيه حياتنا، وحمتنا مما يضرب الأرض من شهب وغيرها"[2].

إذاً السماء سقف كما صرحت الآيات القرآنية، يقول عزّ وجل: " خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖۚ وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ "[3].

لو أخذنا بظاهر الآية فإنّ السماء رفعت بغير أعمدة، لكن بالنظر والتدبر، قليلاً في كلمة"تَرَوۡنَهَا" يستنتج أنّ هناك أعمدة للسماء، لكن نحن البشر لا نراها بأعيننا. "وقد تكون الأعمدة المذكورة في الآية معنوية لا ترى بالعين المجردة، وإنما تدرك بالعقل والتفكر والتدبر، ومعرفة خصائص الأشياء، وهذه العمد هي قوى التجاذب التي تنظم الكون كله بدءاً بالذرة وانتهاءً بالمجرة "[4].

---

[1] مارديني: **موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية**، ص111.
[2] العرابلي: **حقيقة السماوات كما صورها القرآن**، ص 46-47، بتصرف.
[3] سورة لقمان: آية 10.
[4] مارديني: **موسوعة الاعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية**، ص8.

والضمير في " تَرَوْنَهَا" "راجع إلى العمد، والعمد: قدرة الله وإرادته، أو إنّ الضمير راجع إلى السماوات، أي ليست هي بعمد، وأنتم ترونها كذلك بغير عمد"[1].

4. يقول الله سبحانه وتعالى فيما يتعلق بسعة الكون: " وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ "[2] فهذا الكون الذي خلقه الله عزّ وجل في اتساع دائم ومستمر، وهذا ما أثبته العلماء من خلال أبحاثهم الفلكية، فالكون ليس جامداً ولا ثابتاً. أما المفسرون القدماء فلهم في كلمة " موسعون " تفسيرات عدة أهمها:

" لذو سعة بخلقها، وخلق ما شئنا أن نخلقه، وقدرة عليه"[3].

ومن تفسيرات الأقدمين أيضاً: " جعلنا بينها وبين الأرض سعة"[4]، أو "نحن قادرون على أن نوسعها كما نريد"[5].

وفي هذه الآية "إشارة إلى خلق هذا الكون المرئي وغير المرئي، لأنّ هناك الكثير من الأجرام والمجموعات الشمسية، وما وراء ذلك من اتساع ذلك الكون ما لا يدركه العقل، ولا يمكنه تحديده، وهذه السعة المذهلة هي من قدرة الله سبحانه وتعالى"[6].

أما العلم الحديث فقد أثبت أنّ الكون باتساع مستمر، فقد شبهوا الكون ببالون ينفخ فيتوسع شيئاً فشيئاً، يقول السيد الجميلي: "وهذه المجموعة النجمية الكونية تتسع من كل اتجاه، ومن كل جانب، فلا يتوقف امتدادها أمر يتقاعس برهة من الزمان، وقد شبهها الفلكيون بالبالون المصنوع من المطاط المرن الذي يتسع في كل اتجاه إذا ما شددته"[7].

---

[1] الزحيلي: **التفسير المنير**، ج21، ص137، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط3، 1418هـ.

[2] سورة الذاريات: آية 47-48.

[3] الطبري: **جامع البيان**، ج 22، ص 438.

[4] الزجاج، إبراهيم بن السرى بن سهل (ت: 311هـ): **معاني القرآن وإعرابه**، ج5، ص 57، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1408هـ- 1988م.

[5] السمرقندي: **بحر العلوم**، ج3، ص347.

[6] الشعرواي: **الخواطر**، ج6، ص3528.

[7] الجميلي: **الإعجاز العلمي في القرآن**، ص62.

5. أما فيما يتعلق بتزيين السماء، فقد ورد في القرآن الكريم خمس آيات تتحدث عن تزيين السماء منها:

1. "وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ "[1].

2. "وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ "[2].

وقد خصت الآية الأولى الناظرين بهذا التزيين، وذكر ابن الجوزي أنّ المراد بالناظرين أنهم المبصرون، أو المعتبرون [3].

"وقد جاء تزيين السماء بالكواكب والمصابيح مقيداً بالسماء الدنيا في ثلاث آيات فقط، وفقاً لشروط الزينة يتبين لنا أنّ الكواكب والمصابيح ليست من السماء، وهي مضافة إليها إضافة، إنّ ترتيبات النجوم والكواكب بالتنوعات الكثيرة، واختلاف ضوئها وتناسبها مع لون السماء في الليل، هو الذي جعلها زينة للسماء الدنيا في الليل، وتنزع منها هذه الزينة في النهار، حيث يغلب ضوء الشمس ونورها ويحجبها عن الرؤية..." [4]. وجاء في تفسير كلمة زيناها، أي: أي: "حسَّنا نظمها، وترتيبها، وهيئاتها وأشكالها للناظرين المتأملين في كيفية حركتها، ودوراتها، وانقلاباتها؛ ليستدلوا بها على قدرة مبدعها، ومتانة حكمة صانعها، وحكم مخترعها"[5].

6. أما فيما يتعلق بمدة خلق السماوات والأرض وما فيها، فيقول سبحانه: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن "[6] وفي هذه الآيات بيان من الله عزّ وجل وجل بأنه خلق السماوات في يومين، وخلق الأرض في يومين، وقدر فيها أقواتها في يومين،

---

[1] سورة الحجر: آية 16.

[2] سورة الملك: آية 5.

[3] ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ج2، ص526، بتصرف.

[4] العرابلي: **حقيقة السماوات كما صورها القرآن**، ص150.

[5] النخجواني، نعمة الله بن محمود، (ت: 920هـ): **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، ص412، دار ركابي للنشر – مصر، ط1، 1419هـ- 1999م.

[6] سورة ق: آية 38.

فتلك ستة كاملة " ولو شاء خلقها في ساعة واحدة لفعل، ولكنه خلقها في ستة أيام؛ ليدل على التأني، ويقال: خلقها في ستة أيام لتكون أصلاً عند الناس"[1].

وهناك أقوال كثيرة في معنى الأيام، منها: "أنها كأيام الآخرة، كل يوم بألف سنة. والقول الآخر: أنها أيام الدنيا "[2].

في مقابل الآيات التي تتحدث عن السماء، نجد آيات أخرى تذكر حقائق علمية عن الأرض، هذه الحقائق بعضها توصل إليه العلماء بأبحاثهم، والبعض الآخر ما زال في طور البحث، ومن هذه الحقائق التي توصل إليها:

1. استقرار الأرض، يقول تعالى: "أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ "[3].

2. تمهيد الأرض للإنسان، ومنه قوله تعالى: "ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ "[4].

3. مد الأرض: " وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ "[5].

4. شق الأرض وإخراج النبات منها:" ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ"[6].

بعد هذا الاستعراض الموجز لأسرار خلق السماوات والأرض التي خلقها الله سبحانه وتعالى بالحق، يقول الله تعالى: "وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ

[1] السمرقندي: **بحر العلوم**، ج3، ص30.

[2] السمعاني: **تفسير القرآن**، ج2، ص 366.

[3] سورة النمل: آية 61.

[4] سورة طه: آية 53.

[5] سورة ق: آية 7.

[6] سورة عبس: آية 26-32.

فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ "[1] أي: "بالعدل والإنصاف لا بالظلم والجور"[2] وقد علل السمرقندي خلق السماوات والأرض، لينظر عباد الله إليها، فيعتبروا بما فيها، وفي هذا حجة على الخلق[3].

في المقابل فإنّ الله عزّ وجل ينفي أن يكون قد خلق السماوات والأرض عبثاً من غير هدف وغاية، فيقول الله تعالى: " وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ "[4].

والمعنى: "وإنما خلقناها مشحونة بضروب البدائع، تبصرة للنظار، وتذكرة لذوي الاعتبار، وتسبباً لما ينتظم به من أمور العباد، في المعاش والمعاد، فينبغي أن يتسلقوا بها إلى تحصيل الكمال، ولا يغتروا بزخارفها، فإنها سريعة الزوال"[5].

"غير أنّ الإنسان لانهماكه بمشاغله، وغفلته عن خالقه، ولطول ألفته لما حوله ينسى وجه الإعجاز في الكون، ويغفل عن عظمة الخالق فيما خلق، فيحسب جهلاً منه وغروراً أنّ المعجزة هي تلكم التي تخالف ما ألفه واعتاده، ثم يمضي هذا الإنسان الجاهل فيتخذ مما ألفه واعتاده مقياساً لإيمانه بالأشياء، أو كفره بها، وهذا جهل عجيب في الإنسان على الرغم من ارتقائه في مدارج المدنية والعلم، فتأمل يسير من الإنسان يوضح له بجلاء أنّ الخالق جلّ وعلا الذي خلق هذا الكون المعجز، ليس عسيراً عليه أن يزيد فيه معجزة أخرى، أو يبدل، أو أن يغير في بعض أنظمته التي خلق العالم وفقها"[6].

---

[1] سورة الحجر: آية 85.

[2] الطبري: **جامع البيان**، ج 16، ص 127.

[3] انظر، السمرقندي: **بحر العلوم**، ج2، ص 261.

[4] سورة الأنبياء: آية 16.

[5] البيضاوي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ج4، ص 47، بتصرف.

[6] النابلسي: **موسوعة الإعجاز العلمي**، ص11.

المطلب الثاني: خلق الإنسان:

حدثنا الله عزّ وجل من خلال كتابه العزيز عن خلق الإنسان، فذكر ممَ خلق، ومراحل الخلق، وأورد الكثير من الأسرار الخلقية التي تتعلق به، ثم دعانا للتأمل والتفكر في هذا الخلق، وأخذ العبرة للبعث والحساب من النشأة، فكما خلقنا أول مرة، فهو قادر على إعادتنا بعد الموت.

قال سبحانه وتعالى: "قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "[1] وقال سبحانه: "فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ "[2] وقال سبحانه: "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ "[3].

وتتوالى الأيام، وتمر السنين، ويتقدم العلم، ويظهر العالم تلو الآخر، ليكشف لنا أسرار هذا الإنسان الذي كرّمه الله سبحانه وتعالى على بقية المخلوقات، واستخلفه في الأرض يعمرها بما آتاه من قوة وعلم، فيتبين من خلال البحث والإطلاع على قدرة الله التي لا تضاهى، عجز الإنسان والعلم – رغم تقدمه المستمر– عن مجاراة هذه القدرة الإلهية، بل إنّ جميع ما توصل إليه العلم من اكتشافات تتعلق بخلق الإنسان هو بفضل الله وتوفيقه، وذلك ليثبت لكل منكر أنه عزّ وجل قادر على كل شيء، وأنه "لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ "[4] وأنه " إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ "[5].

وفيما يلي بعض الحقائق التي تتعلق بخلق الإنسان:

يقول الله تعالى: " وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ "[6].

---

[1] سورة العنكبوت: آية 20.
[2] سورة الطارق: آية 5.
[3] سورة الذاريات: آية 21.
[4] سورة الشورى: آية 11.
[5] سورة يس: آية 82.
[6] سورة الروم: آية 20.

ويقول جل ثناؤه: "هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا ۖ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ۖ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ "[1].

ويقول في موضوع ثالث: "وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ "[2].

ويقول في موضع رابع: "فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ"[3].

هذه نصوص أربع تصرح بأصل الخلق، للوهلة الأولى تبدو متعارضة ومتناقضة، إذ في الآية الأولى تبين أنّ الإنسان خلق من تراب، وفي الثانية خلق من طين، وفي الثالثة خلق من صلصال، والرابعة من ماء، والطريق إلى إزالة التعارض هذا، بفهم معاني كل من هذه المواد الأربعة، فالتراب إذا أضفنا إليه ماء أصبح طيناً، فإذا يبس أصبح صلصالاً، وهذه بداية خلق الإنسان، حيث خلق الله سبحانه آدم عليه السلام من التراب، ثم بعد ذلك خلق الله حواء، وبدأ التزاوج والتناسل، فأصبح عن طريق الماء، يقول تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا "[4].

"وإنشاء جميع البشر، من نفس واحدة يدل على قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته ووحدانيته، كما يوجب شكر النعمة، ويرشد إلى وحدة الأصل والنوع الإنساني، مما يقتضي وجوب التعارف والتعاون بين الناس؛ لأنهم من أصل واحد، وأب واحد، فهم أخوة، وما على الإخوة إلا التآلف، لا التناحر والتقاتل"[5].

وفي دعوة الله تعالى للإنسان للنظر كما في قوله تعالى: "فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ" دعوة للتفكر، أي:" فليتفكر من أي شيء خلقه ربه، ولينظر نظر المتفكر "خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ" مدفوق، أي: مصبوب في الرحم،

[1] سورة الانعام: آية 2.
[2] سورة الحجر: آية 26.
[3] سورة الطارق: آية 5-7.
[4] سورة النساء: آية 1.
[5] الزحيلي: **التفسير المنير**، ج7، ص308.

وهو المني، فاعل بمعنى مفعول، والدفق الصب، وأراد ماء الرجل وماء المرأة ؛ لأنّ الولد مخلوق منهما، وجعله واحداً لامتزاجهما "[1].

وفي هذه الآية "استدلال بالمبدأ على المعاد"[2] حيث استدل الله عزّ وجل في مناظرته لمنكري البعث، ببداية خلق الإنسان، كذلك هو قادر على إعادته مرة أخرى يوم البعث "إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٌ"[3].

ويفصّل الله عزّ وجل مراحل خلق الإنسان في قوله تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ "[4].

في هذه الآية دعوة صريحة للنظر والتفكر في تدرج الخلق، حيث يمر الإنسان في سبع مراحل[5]:

الأولى: الخلقة الأولى من تراب، وهو خلق آدم عليه السلام.

الثانية: من نطفة، وحالها أبعد شيء عن حال التراب، فإنها بيضاء سائلة لزجة صافية.

الثالثة: من علقة، أي قطعة دم حمراء جامدة ليس فيها أهلية للسيلان، ولا شك أنّ بين الماء والدم الجامد مباينة شديدة.

---

[1] البغوي: **معالم التنزيل**، ج5، ص239.

[2] القطان: مناع بن خليل، (ت: 1420هــ): **مباحث علوم القرآن**، ص 314، مكتبة المعارف، ط3، 1421هــ، 2000م.

[3] سورة الطارق: آية 8.

[4] سورة الحج: آية 5

[5] الشافعي، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت: 977هــ): **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير**، ج2، ص538، بولاق – القاهرة، 1285هــ، بتصرف.

الرابعة: من مضغة، أي قطعة لحم صغيرة، وهي في الأصل قدر ما يمضغ، مخلقة، أي مسوّاة لا نقص فيها ولا عيب.

الخامسة: "ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا "، وهو معطوف على نبين، ومعناه خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين: أحدهما: أن نبين قدرتنا. والثاني: أن نقر في الأرحام من نقر، حتى تولدوا في حال الطفولية من صغر الجثة، وضعف البدن والسمع والبصر، وجميع الحواس، لئلا تهلكوا أمهاتكم بعظم أجسامكم.

السادسة: "ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ " أي نمد أجلكم لتبلغوا بهذا الانتقال في أسنان الأجسام من الرضاع إلى المراهقة إلى البلوغ إلى الكهولة.

السابعة: "وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ " أي: عند بلوغ الأشد، أو قبله.

"يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ" بالشيخوخة، وبناه للمجهول إشارة إلى سهولته عليه، لاستبعاده لولا تكرار المشاهدة عند الناظر لتلك القوة والنشاط. أما العلم الحديث فقد عرّف النطفة بثلاثة معانٍ هي:

1. "النطفة المذكرة، وهي الحيوانات المنوية الموجودة في المني.
2. النطفة المؤنثة، وهي البويضة التي يفرزها المبيض مرة في الشهر.
3. النطفة الأمشاج، وهي النطفة المختلطة من الحيوان المنوي والبويضة عندما يتم التلقيح"[1].

قال تعالى: "مِن نُّطْفَةٍ" ولم يقل نطف بالجمع، بل نطفة واحدة من المني، ذلك أنّ الملايين من النطف التي تسبح بسرعة باتجاه البويضة الموجودة ستعود كلها خائبة خاسرة؛ لأن

[1] مارديني: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة**، ص240.

أول حيوان منوي (أول نطفة) سيصل إلى البويضة سيفوز بسبق التلقيح، ويشكل معها سداً منيعاً لن يخترقه أحد بعد تشكله[1].

وهذا يوافق قول الرسول ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى: "ما من كل الماء يكون الولد، وإذا أراد الله خلق شيء لم يمنعه شيء"[2]. أما قوله تعالى: " مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ " فيعني أنّ المضغة تمر بمرحلتين:

"**الأولى:** مرحلة المضغة غير المخلقة التي تتشابه خلاياها، ولم تزل أعضاؤها غير متميزة.

الثانية: مرحلة المضغة المخلقة التي يتكامل فيها، وتتميز أعضاؤها، وتبدأ بالعمل، وأداء الوظائف الموكلة إليها"[3].

حقيقة أخرى من حقائق خلق الإنسان يكشف عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: " ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ "[4].

هذا التسلسل المتتابع لمراحل نمو الجنين الذي تصفه الآية الكريمة من مرحلة النطفة فالعلقة فالمضغة، ثم ظهور العظام، فكسوتها لحماً، وهو وصف دقيق قام العلماء باكتشافه بعد أربعة عشر قرناً من نزوله في القرآن الكريم.

يقول محمد سامي: "ومن يدرس هذه العلاقة تشريحياً يجد فعلاً علاقة الكساء بين العضلات والعظام، فهي محاطة ومكسوة بالعضلات بنفس هذا المعنى اللفظي"[5].

---

[1] أبو خليل، شوقي: **الإنسان بين العلم والدين**، ص 227، دار الفكر- بيروت، ط5، بتصرف.

[2] مسلم، **صحيح مسلم**، ج2، ص 1064، كتاب النكاح، باب حكم العزل.

[3] مارديني: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة النبوية الشريفة**، ص234.

[4] سورة المؤمنون: آية 14.

[5] علي، محمد سامي محمد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص114.

وبيّن عبد الرحيم مارديني سر الإعجاز في استعمال حرف العطف الفاء في ترتيب هذه المراحل، فقال: "الفاء يفيد التتابع السريع، حيث تتابع تشكل العظام، عظام الجنين في انتقال سريع وفجائي، فتظهر العينين والشفتين والأنف، ويتمايز الرأس عن الجذع والأطراف"[1].

ويصف القرآن الكريم رحم الأم بالقرار، فيقول سبحانه: " وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ "[2].

يقول الدكتور محمد راتب النابلسي معلقاً: القرار المكين هو الرحم، ويقع في الوسط الهندسي تماماً من جسم المرأة... وسبب تسمية الرحم بالقرار المكين، فلأنه يفرز مادة لاصقة، إذا جاءت البويضة الملقحة إلى الرحم التصقت في جداره، ثم إنّ في الرحم عدداً من الأوعية الدموية يفوق حدَّ التصور، كلها تمد هذه البويضة الملقحة بالدم، ليتغذى الجنين، وينمو بسرعة تعد أسرع ما في جسم الإنسان من نسيج في تكاثره وانقسامه[3].

شيء آخر يتحدث عنه القرآن الكريم، وهو الظلمات الثلاث، حيث يقول الله سبحانه وتعالى: "يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ "[4].

وقد تباينت أقوال المفسرين قديماً وحديثاً في تفسير الظلمات الثلاث فأمّا المفسرين القدماء فقد فسروا الظلمات الثلاث بأنها: ظلمة البطن، والرحم، والمشيمة[5].

أما العلماء المحدثين، فلهم في تفسير الظلمات الثلاث رأي آخر:

[1] مارديني، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة**، ص259.

[2] سورة المؤمنون: آية 12-13.

[3] النابلسي، **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الإنسان**، ص163، بتصرف.

[4] سورة الزمر: آية 6.

[5] مجاهد، بن جبر (ت: 104هـ): **تفسير مجاهد**، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، ص577، دار الفكر الإسلامي – مصر، ط1، 1410هـ-1989م. والطبري: **جامع البيان**، ج2، ص 165، والسمرقندي: **بحر العلوم**، ج3، ص178.

يقول الدكتور فضل حسن عباس: " ويأتي علم التشريح الحديث ليثبت بما لا يقبل الريبة أنّ هذه الظلمات إنما هي أغشية ثلاثة تحيط بالطفل غشاء فوق غشاء، وهذه الأغشية لا تظهر بالعين المجردة، وهي: المنباري، الخربوتي، اللفائفي"[1].

"وهذه الأغشية المغلفة للجنين داخل الرحم، لحفظه وصيانته، وإعطائه الفرصة الكاملة للتطور والنمو"[2].

فيما سبق تمّ عرض بعض الحقائق التي تتعلق ببداية تكون الإنسان ونموه في رحم أمه، حيث هيّأ الله عزّ وجل هذا المكان بكافة الوسائل الدفاعية وزوده بالعناصر الغذائية التي يحتاج إليها الطفل، كل هذا يدل على رحمة الله عزّ وجل، وعظمته، وحكمته، وإبداعه، مما لا يدع مجالاً للشك في أنه الخالق وحده المبدع المصور.

إنّ نِعم الله سبحانه على الإنسان كثيرة لا تعد ولا تحصى، ولا يمكن شرحها في مجلدات ضخمة، فكل نعمة من هذه النعم تحتاج إلى مجلد لشرحها، وبيان أهميتها، فكل جزء في جسم الإنسان له تركيب معقد، بحيث يستحيل تصنيع مشابه له، فإذا تلف تعرضت حياة الإنسان للخطر، وكل جزء فيه ملايين الخلايا التي تتجدد باستمرار في كل ساعة ويوم، فمن خلايا الدم، إلى خلايا الجلد، إلى خلايا العين والأذن وخلايا الدماغ والقلب، خلايا التذوق وأخرى للشم وغيرها الملايين، تجتمع ملايين الخلايا لتكوين نسيج، وتجتمع الأنسجة لتكون العضو، وتجتمع الأعضاء لتكون جهاز، كل يكمل الآخر، كل جعل له وظيفة ومهمة، من أوكل لكل هذا مهامه؟ إنّه الله، ذاك العظيم في علاه، الذي خلق فأبدع، سبحانه وتعالى، لا إله غيره، ولا خالق إلا هو.

لو جلس الإنسان ساعة من يومه يتفكر في نعم الله عليه، لا يتفكر في النعم المعقدة التي تحتاج إلى علم وبيان، بل يتفكر بالنعم البسيطة الظاهرة الواضحة، المشاهدة لكل عيان، صغيراً وكبيراً، عالماً وجاهلاً، العين مثلاً من منا لا يعرفها. وهل تحتاج معرفتها إلى علم وتعلم؟ إنها واضحة جلية لكل الناظرين، هل يستطيع أحد العيش بدونها؟ نعم يستطيع، لكن يحرم من كل

---

[1] عباس، فضل حسن: **إعجاز القرآن الكريم**، ص273، عمان، 1991م.

[2] السيد، الجميلي: **الإعجاز الطبي في القرآن**، ص59.

الجمال والإبداع الذي أودعه الله في هذا الكون، يحرم من رؤية الأشجار والأزهار التي تدخل الراحة والسرور على نفسه، يحرم من رؤية الجبال التي تشعره بعظمة الخالق، يحرم من رؤية السماء التي تجعله يدرك أنّ رحمة الله واسعة سعة السماء، يحرم من أشياء كثيرة لا يعرف قيمتها إلا من حرم من نعمة البصر.

ونعمة الأذن التي بواسطتها نسمع الأصوات، هل نستطيع أن نعيش لولاها، كيف لنا أن نسمع كلام الله الذي يريح القلب؟ كيف لنا أن نسمع الأذان معلناً موعد الصلاة التي جعلت قرة العين؟ كيف لنا أن نميز شدو العصافير التي تطرب له الآذان؟ بل كيف نسمع صوت الأم الحنون بدونها ونميزه؟ نعمة لا يعرف طعمها إلا من سلبها. السمع والبصر، نعمتان عظيمتان مغبون بهما كثير من الناس، ذكرهما الله جلّ ثناؤه في كتابه الكريم، فقال: "وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ "[1] فهذه النعم تستحق الشكر لله المنعم.

وقد اقترن لفظي السمع والبصر في مواضع عدّة من القرآن الكريم، تنبيهاً على أهميتهما في حياة الإنسان، ومن اللفتات الربانية أنه سبحانه حيثما ورد السمع والبصر، قدم السمع على البصر، وذلك لحكمة إلهية كشف عنها العلماء حديثاً [2]:

أ) تبدأ وظيفة السمع بالعمل قبل وظيفة الإبصار، فقد تبين أنّ الجنين يبدأ بالسمع في نهاية الحمل، بينما لا تبدأ عملية الإبصار إلا بعد الولادة.

ب) من الحقائق التي تجعل السمع أكثر أهمية من البصر، هي أنّ تعلّم النطق يتم عن طريق السمع بالدرجة الأولى، وإذا ولد الإنسان وهو أصم، يصعب عليه الانسجام مع المحيط الخارجي، بينما هناك الكثير ممن حرم نعمة البصر وهم صغار، ومع ذلك تعلموا وبلغوا درجة راقية.

---

[1] سورة المؤمنون: آية 78.

[2] قرموز، ذياب: **مع الطب في القرآن الكريم**، ص53، مؤسسة علوم القرآن.

ج) العين مسؤولة عن وظيفة البصر، أما الأذن فمسؤولة عن وظيفتي السمع والتوازن، وقد تكون العبرة في هذا الترتيب أكثر من ذلك.

وكما أن "حاسة السمع هي المصاحبة للإنسان، ولا تنتهي مهمتها حتى في النوم، وبها يتم الاستدعاء، أما العينفلا تعمل أثناء النوم"[1].

وتقدم البصر على السمع في آية واحدة فقط، وهي قوله تعالى على لسان المجرمين: "وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ"[2].

وسبب التقديم هنا "لأن الساعة حين تأتي بأهوالها نرى الهول أولاً، ثم نسمع ما نراه"[3].

"حيث يفاجأ الكفار بأهوال يوم القيامة، ويأخذهم المنظر قبل أن يسمعوا الصوت المنادي، حيث ينادي المنادي"[4]، "والحكمة في مجيء الأذن بالإفراد، أما البصر بالجمع، تكمن في "استقبال الأذن؛ فلا خيار للإنسان في أن يمنع أذنه أن تسمع بشيء موجود فيها، أما العين فلك خيار ألا ترى مناظر موجودة أمامك، فلك أن تغمض عينيك فلا تراها، لكن ليس عندك شيء في أذنك، بحيث يسد أذنك فلا تسمع"[5].

ومن إبداع الخالق الذي يدعو للتفكر والاعتبار، أنّ هذين العضوين "العين والأذن" يتكونان من أجزاء عديدة، بل ويقسمان إلى أقسام أيضاً، فالأذن مثلاً تقسم إلى ثلاثة أقسام: الأذن الخارجية، الأذن الداخلية، الأذن الوسطى، ولكل من هذه الأقسام أجزاء مهمة تقوم بوظيفة معينة، "ولكل منها تشريحه الدقيق، ووظيفته الفسيولوجية الدقيقة، والممارسة الوظيفية المعقدة،

---

[1] الشعراوي: **الخواطر**، ج19، ص11809.

[2] سورة السجدة: آية 11.

[3] الشعراوي: **الخواطر**، ج19، ص11819.

[4] **المرجع السابق**، ج19، ص11809.

[5] أرناؤوط، محمد السيد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص98، مكتبة مدبولي – القاهرة.

وبهذا التركيب، وبهذا التعقيد تتجلى روعة الخالق وإعجازه في خلق هذه الأجهزة البالغة الدقة والروعة، لدرء الأخطار عن جسم الإنسان"[1].

"وما زال البشر يكشفون من طبيعة السمع والبصر، ومن دقائق صنع الله في هذين الجهازين، ما يزيد السؤال شمولاً وسعة، وإنّ تركيب العين وأعصابها، وكيفية إدراكها للمرئيات، أو تركيب الأذن وأجزائها، وطريقة إدراكها للذبذبات، لعالم وحده يدير الرؤوس عندما يقاس هذا الجهاز، أو ذاك إلى أدق الأجهزة التي يعدّها الناس من معجزات العلم في العصر الحديث"[2].

ومن الأعضاء البشرية التي ذكرت في القرآن الكريم اللسان والشفتان، فيقول عزّ وجل "أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ"[3].

جيء في هذه الآيات للتذكير بنعم الله تعالى على الإنسان، من البصر والنطق والجمال والعقل، والفكر المميز بين الحق و الباطل، وبيان طريق الخير والشر، وللدلالة على كمال قدرة الله تعالى، ولبيان مبدأ اختيار الإنسان للإيمان والكفر، أو السعادة والشقاوة،... وهذه النعم تقتضي الشكر عليها، والاستعداد للنجاة في الآخرة بالإيمان والعمل الصالح[4].

ونوع الاستفهام في الآية الكريمة تقريري للتذكير بالنعم[5].

فنعمة اللسان فيها الكثير من الفوائد، فاللسان هو العضو الأساسي المسئول عن الكلام، الذي هو وسيلة مهمة للاتصال والتواصل مع الآخرين، والتعبير عما يجول بخاطر الإنسان من مشاعر وأحاسيس، ولا يعرف قيمة هذه النعمة إلا البكم، الذين فقدوا القدرة على الكلام.

---

[1] الجميلي: **الإعجاز الطبي في القرآن**، ص106.
[2] قطب: **في ظلال القرآن**، ج3، ص1781.
[3] سورة البلد: آية 8-10.
[4] الزحيلي: **التفسير المنير**، ج3، ص 253، بتصرف.
[5] انظر، الصابوني: **صفوة التفاسير**، ج3، ص536.

ثم من فوائد اللسان تذوق الطعام، ومعرفة أنواعه، فلو أغمضنا عيني شخص ما وأذقناه بعض أصناف المأكولات لعرفها، وميزها الواحدة تلو الأخرى، كل ذلك بفضل حاسة التذوق التي أودعها الله في هذا العضو، يقول محمد سامي محمد متحدثاُ عن أهمية اللسان:" يقوم اللسان بالمضغ، والبلع، وذوق الطعام، والتصويت، فيه سبعة عشر عضلة متحركة إلى كافة الجهات، وثلاثة أعصاب لتنظيم نقل الحس، وعلى سطح اللسان تسعة الآف نتوء ذوقي لمعرفة طعم الحلو والحامض، والمر، والمالح"[1].

ومن مظاهر الإبداع الإلهي في الإنسان، أنه جعل لكل شخص بصمة خاصة به، بحيث لا يمكن تشابه البصمات، حتى بين الوالد وولده، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا السر قبل أربعة عشراً قرناً سابقة، فقال عزّ وجل: "أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ"[2].

ومع تقدم الأيام والسنين وتطور العلوم، فقد توصل الإنسان إلى سر هذه البصمة في العصر الحديث، وكشف فوائدها في كثير من الأمور، حيث: "إنها تتكون من خطوط بارزة في بشرة الجلد، تجاورها منخفضات، وتعلو الخطوط البارزة فتحات المسام العرقية، تتمادى هذه الخطوط، وتتلوى، وتتفرع عنها الفروع، لتأخذ في النهاية، وفي كل شخص شكلاً مميزاً وقد ثبت أنه لا يمكن أن تتطابق وتتماثل في شخصين، حتى في التوائم المتماثلة التي أصلها بويضة واحدة"[3].

وقد بين الدكتور السيد الجميلي أنّ لفظ التسوية يحتوي على معنى الإعجاز الخلقي الدقيق، وفي ذلك تحدي للكفار والمعاندين في عدم تشابه بصمات الأنامل بالذات.

---

[1] محمد، سامي محمد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص34.

[2] سورة القيامة: آية 3-4.

[3] **المرجع السابق**، ص128.

ولا زال هناك الكثير من النعم التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الجسم البشري، والتي يقف أمامها العقل ذاهلاً معتبراً، فسبحان الله القادر على كل شيء، المبدع المصور، وصدق الله العظيم حين قال: "وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ "[1].

المطلب الثالث: خلق النبات:

أوجد الله سبحانه وتعالى النبات على سطح الأرض، وأودع فيه سر الحياة، فعليه الاعتماد في حياة الإنسان والحيوان، فهو مصدر مهم للغذاء والدواء. إنه عالم بأسره، يتنوع في شكله ولونه وحجمه وفائدته، ومذاقه، وعمره، وله أنواع لا تعد ولا تحصى.

جاء ذكر النبات في القرآن الكريم ذكراً مجملاً قبل أربعة عشر قرناً، ثم جاء العلم الحديث ليكشف لنا الإعجاز القرآني في ذكر النبات وأسراره. يقول سبحانه وتعالى: "وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيۡءٖ فَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهُ خَضِرٗا نُّخۡرِجُ مِنۡهُ حَبّٗا مُّتَرَاكِبٗا وَمِنَ ٱلنَّخۡلِ مِن طَلۡعِهَا قِنۡوَانٞ دَانِيَةٞ وَجَنَّٰتٖ مِّنۡ أَعۡنَابٖ وَٱلزَّيۡتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشۡتَبِهٗا وَغَيۡرَ مُتَشَٰبِهٍۗ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمۡ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ "[2].

ويقول سبحانه: "فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبۡنَا ٱلۡمَآءَ صَبّٗا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقۡنَا ٱلۡأَرۡضَ شَقّٗا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبٗا وَقَضۡبٗا ﴿٢٨﴾ وَزَيۡتُونٗا وَنَخۡلٗا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةٗ وَأَبّٗا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعٗا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ"[3].

في الآيات دعوة من الله موجهة للإنسان، أي: إذا كنت أيها الإنسان في شك وريبة من قدرتنا على خلقك، فانظر إلى ما تأكله من ألوان الطعام اللذيذ والمفيد، وكيف أوجدناه وسخرناه لمنفعتك ومنفعة أنعامك؟ ألا يوجد في ذلك عبرة تعتبر منها على قدرتنا؟ ثم ألا يستحق ذلك منك الشكر على نعمنا؟. وفي هاتين الآيتين الكريمتين كشف عن سر النبات، وكيفية إنشاؤه، فالسر الذي تعتمد عليه في حياتها هو الماء الذي أنزله الله من السماء، ألم يقل سبحانه: " وَجَعَلۡنَا مِنَ

[1] سورة الذاريات: آية 21.

[2] سورة الأنعام: آية 99.

[3] سورة عبس: آية 24-32.

ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ"[1] " فالماء يدخل في تركيب جسم الإنسان والنبات والحيوان، وبدونه يموت الإنسان، وينفق الحيوان، ويذوي النبات، ويمحل وجه الأرض من العمران"[2].

يقول الطبري في تفسيره للآية الأولى: " فأخرجنا بالماء الذي أنزلناه من السماء من غذاء الأنعام والبهائم، والطير والوحش، وأرزاق بني آدم وأقواتهم، ما يتغذون به، ويأكلونه، فينبتون عليه وينمون"[3].

فعند نزول الماء على الأرض التي وصفها الله عزّ وجل قبل نزول المطر، بقوله: "وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ "[4].

ومعنى هامدة أي:" جافة ذات تراب"[5] لا نبات فيها، ومعنى اهتزت، أي:" تحركت عند وقوع الماء بها للنبات، وربت أي: انتفخت وعلت"[6].

يقول سيد قطب واصفاً حركة الأرض: "وهي حركة عجيبة سجلها القرآن قبل أن تسجلها الملاحظة العلمية بمئات الأعوام، فالتربة الجافة حين ينزل عليها الماء تتحرك حركة اهتزاز، وهي تتشرب الماء وتنتفخ، فتربوا ثم تتفتح بالحياة عن النبات"[7].

إنها صورة حية مشاهدة واقعية تدل على قدرة الله عزّ وجل على الإحياء، صورة الأرض الجافة التي تشققت تربتها من شدة العطش، وبهت لونها من قلة النبات، كيف أنها و بمجرد نزول الماء عليها تكتسي بحلة خضراء جميلة وتتلون بأزهار متنوعة، لا زارع لها إلا الله، الذي أنبت فيها من كل زوج كريم، فالأشجار التي تعرت من أوراقها، وجف عودها من

---

[1] سورة الأنبياء: آية 30.

[2] الجميلي: **الإعجاز الطبي في القرآن**، ص37.

[3] الطبري: **جامع البيان**، ج11، ص57.

[4] سورة الحج: آية 5.

[5] الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج3، ص413.

[6] الهروي: **تهذيب اللغة**، ج5، ص231.

[7] قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص2411.

الحياة ويبس تعود لتكتسي مرة أخرى بالأوراق الخضراء، وتتزين بالأزهار الملونة الجميلة لتثمر حباً يأكل منه الإنسان والحيوان، ويتغذى عليه.

بسبب هذا الماء تظهر الجنات الخضراء التي تسر الناظرين، وتبعث في النفس الراحة والطمأنينة، وتجعل الألسن تلهج بحمد الله وشكره، وبهذه الصورة، المشاهدة يستدل الله عزّ وجل، ويبرهن لكل من أنكر الخلق والبعث، فقد جادل الكفار في قدرة الله على إحياء الموتى بعد أن أصبحوا عظاماً نخرة، فهذه صورة الأرض التي شبهت بالميتة التي لا حياة فيها، كيف أحياها الله بعد موتها، وبث فيها من ألوان الحياة، كذلك هو قادر على إحياء الموتى إنّ الذي أحياها لمحي العظام وهي رميم. وفي هذه الصورة دعوة للاعتبار بكل ما هو مشاهد.

وقد ذكر الله عزّ وجل أصنافاً متعددة من الجنات التي أخرجها من الأرض، وذلك لحكمة ربانية، كشف العلم عن بعضها، فذكر بعض فوائد النباتات المذكورة في القرآن الكريم، منها:

1. جنات النخيل:

تكرر ورود هذا الصنف من النبات في القرآن الكريم، ومما ذكره العلماء عن هذا النبات:" تعتبر أشجار نخيل البلح أكثر أشجار الفاكهة انتشاراً في الدول العربية، خاصة في العراق والسعودية ومصر وتونس والإمارات وسلطنة عمان، وتوفر شجرة النخيل الظل والراحة لأهل الصحراء، بينما تستخدم جذوعها في إقامة البوابات، والأسوار، ويستخدم جريدها في الوقود، وخوصها في صناعة الحصر والسلال التي تستخدم في تعبئة الفاكهة الناضجة، أما ثمار النخيل " البلح" فهي مصدر جيد للطاقة، ويمكن إذا أحسن تصنيعها الاحتفاظ بها لفترات طويلة، وغالباً يترك القسم الأكبر من هذه الثمار لكي ينضج على الشجر لبلوغه مرحلة التمر"[1].

---

[1] مصيقر، عبد الرحمن عبيد عوض: **الغذاء والتغذية**، ص131، أكاديميا.

أما التمر فإن في تناوله فائدة كبيرة للصائم بالذات قبل تناول الطعام فإنّ " فيه خمسة وسبعون بالمئة من جزئه بالمأكول مواد سكرية أحادية، سهلة الهضم سريعة التمثل إلى درجة أن السكر الجملة العصبية، فيشعر الصائم بالاكتفاء "[1].

كما أنّ للتمر فائدة في تيسير الولادة، وقد دلّ على ذلك قوله تعالى لمريم وهي في ساعة المخاض: "وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا "[2].

"ومن أغرب الكشوف العلمية أنّ في الرطب مادة تعين على انقباض الرحم ويزيد حجمه أثناء الحمل من اثنين ونصف سنتميتر مكعب إلى سبعمئة وخمسين سنتميتر مكعب"[3].

2. ومن النباتات التي ورد ذكرها في القرآن الكريم العنب:

تكرر ورود لفظ العنب أكثر من مرة في القرآن الكريم، وهذا يدل على أهميته، حيث يعد هذا النبات من المأكولات الصحية التي تعود بالفائدة على من يأكلها، حيث يؤكل ثمره بمختلف مراحله، ويستفاد من ورقه لأنّ العنب أشرف أنواع الفواكه، وذلك لأنه من أول ما يظهر يصير متنفعاً به إلى آخر الحال، فأول ما يظهر على الشجر يظهر خيوط خضر دقيقة حامضة الطعم، لذيذة المطعم، وقد يمكن اتخاذ الطبائخ منه، ثم بعده يظهر الحصرم، وهو طعام شريف للأصحاء والمرضى، وقد يتخذ الحصرم أشربة لطيفة المذاق، وقد يتخذ الطبيخ منه، فكأنه ألذ الطبائخ الحامضة، ثم إذا تم العنب فهو ألذ الفواكه وأشهاها، ويمكن ادخار العنب سنة أو أقل أو أكثر، وهو في الحقيقة ألذ الفواكه المدخرة، ثم يبقى منه أربعة أنواع من المتناولات وهي: الزبيب والدبس والخمر والخل[4]. وإن كان الخمر قد حرم في الدين الإسلامي.

---

[1] النابلسي: **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق**، ص252.

[2] سورة مريم: آية 25-26.

[3] **المرجع السابق**، ص258.

[4] الرازي: **مفاتيح الغيب**، ج13، ص86، بتصرف.

"وهذان النوعان " النخيل والعنب" هما من أشرف الثمار عند أهل الحجاز، وربما كانا خيار الثمار في الدنيا، وقد أمتن الله بهما على عباده في قوله: "وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلۡأَعۡنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنۡهُ سَكَرٗا وَرِزۡقًا حَسَنًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ"[1] "وكان ذلك قبل تحريم الخمر"[2].

3. ومن الثمار المفيدة التي ورد ذكرها في القرآن الكريم ثمرة الزيتون:

وكما تكرر ورود هذه الثمرة، فقد تعددت فوائدها إذ تعد شجرة الزيتون من الأشجار المعمرة التي تعيش الآف السنين، يقول تعالى: "وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ١ وَطُورِ سِينِينَ"[3] وقد وصفها الله بأنها شجرة مباركة، فقال: "ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ "[4].

ومما ذكره العلم الحديث عن فوائد هذه الشجرة[5]:

1. مادة غذائية جيدة، إذ يحوي نسبة عالية من الدسم من البروتين، وأملاح الكلس، والحديد، والفوسفات، ونسبة عالية من الفيتامين "أ" و "د".

2. يحوي حموض دسمة داخلة في تركيبه، وهي حموض دسمة غير مشبعة وتمنع ارتفاع كلسترول الدم، وتقلل من تعرض الذين يتناولونه لأمراض تصلب الشرايين، وخناق الصدر، واحتشاء العضلة القلبية والدماغ.

---

[1] سورة النحل: آية 67.

[2] ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج3، ص275.

[3] سورة التين: آية 1-2.

[4] سورة النور: آية 35.

[5] انظر، قرموز: **مع الطب في القرآن الكريم**، ص158.

3. للزيت تأثير جيد على بعض اضطرابات جهاز الهضم كالإمساك، وبعض حالات المغص المعوي والكلوي، كما يستخدم الزيت في كثير من المستحضرات الطبية كمشروبات، أو دهون، أو بشكل حقن عضلي.

ومما ذكر من فوائد زيت الزيتون أنه ملطف للجلد، فيجعله ناعم الملمس[1].

ومن الأمراض التي يتم معالجتها بزيت الزيتون: الضغط المرتفع، السكر، تصلب الأوعية، والشرايين وترسب المواد الدهنية على جدرها[2].

يمكن الاكتفاء بهذا القدر من أنواع النباتات المذكورة في القرآن الكريم، وذلك على سبيل المثال لا الحصر.

ومن صور الإعجاز في النبات، والتي تدعونا للتوقف عندها والنظر والتفكر والاعتبار قوله تعالى: "وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "[3].

تأتي هذه الآية في بداية سورة الرعد، وهي ضمن الآيات التي تتحدث عن القدرة الإلهية في إبداع هذا الكون بأرضه وسمائه، وجميع ما فيها من مخلوقات دالة على قدرة الخالق عزّ وجل وحكمته، كل هذه الآيات وجدت للتفكر فيها، وأخذ العبرة والعظة، ولكن" هذه المشاهد الأرضية فينا الكثيرون يمرون عليها، فلا تثير فيهم حتى رغبة التطلع إليها، إلا أن ترجع النفس إلى حيوية الفطرة والاتصال بالكون الذي هي قطعة منه، انفصلت عنه لتتأمله ثم تندمج فيه"[4].

ويعلق الأستاذ الدكتور زغلول النجار على هذه الآية بقوله:" خلق جنات من أعناب في الأرض، وخلق الزرع والنخيل من أصل واحد، ومن أصول متفرقة، يسقى بماءٍ واحد ويفضل

[1] الجمبلي: **الاعجاز الطبي في القرآن الكريم**، ص182، بتصرف.

[2] النابلسي: **آيات الله في الآفاق**، ص 261، بتصرف.

[3] سورة الرعد: آية 4.

[4] قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص2046.

الله تعالى بعضها على بعض في الأكل، وفي ذلك إشارة واضحة إلى تنوع المجتمعات النباتية على التربة الواحدة، التي تسقى بماءٍ واحد، في الظروف البيئية الواحدة، وفي تنوع النباتات النامية في الواحدة، إلماحاً إلى ما أودعه الله تعالى من أسرار في كل نبتة من نبات الأرض"[1].

ومن عجائب النبات التي تدعونا للتوقف عندها، وتأمل ما فيها من إعجاز دال على قدرة الله الخالق، بذرة النبات، تلك الحبة الصغيرة التي تنشىء شجرة كبيرة مليئة بالأغصان، والأوراق والثمار المفيدة واللذيذة، فمن إبداع الله في هذه البذرة: أنها تختلف في الحجم، واللون، والشكل والملمس، والمذاق، فهناك البذور المستديرة، وهناك البذور الطويلة، وبذور كبيرة، وبذور صغيرة، وبذور صفراء، وأخرى سوداء، وبيضاء، وخضراء، وبذور حلوة المذاق، وأخرى مُرة، وثالثة حامضة، وهناك البذور ذات الفلقة، وأخرى ذات الفلقتين، وتعتبر البذرة هي الأساس في تكاثر النبات، إذ بدونها لا نبات، وقد عبّر القرآن الكريم عن البذور بلفظي " الحب والنوى" يقول تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ "[2].

أي: يشق الحبة اليابسة الميتة والنواة اليابسة، فيخرج منها ورقاً أخضر، وفي هذه الصورة الملموسة والمشاهدة حجة من الله جلّ ثناؤه على منكري البعث بما يشاهدون من خلقه، فأعلمهم أنه الذي خلق هذه الأشياء، وأنه قادر على بعثهم[3].

وفي هذه الآيات أيضاً "تنبيه على مواطن العبرة والنظر، وضرورة النظر في آفاق الكون الزاخرة بالبراهين الحسية على وجود الله تعالى، فهي ترشدنا إلى حقيقة بالغة واضحة، هي أنّ الله سبحانه، – لا هذه الأصنام وبقية المخلوقات– هو فالق الحب والنوى، أي: البذر يشقها بقدرته في التراب، فتنفلق منها النبتة الصغيرة ذات الجذر الضعيف، والوريقة الدقيقة، ويبين بعضها عن بعض، فيخرج منها أي: من (تلك النوى) الزرع على اختلاف أصنافه من

---

[1] نجار، زغلول: **النبات في القرآن الكريم**، ج5، ص75–76، مكتبة الشروق – القاهرة، ط1، 1426هـ– 2005م.

[2] سورة الأنعام: آية 95.

[3] الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص 273، بتصرف.

الحبوب، والثمار على اختلاف ألوانها، وأشكالها، وطعومها، ويظهر النبات الحي المتحرك من الحب والنوى الذي هو جماد كالميت، ويوجد الحب والنوى من النبات الحي"[1].

ولا ننسى أنّ الله سبحانه قد أودع في هذا النبات البسيط معمل معقد، يعجز علماء الأرض عن توفيره، هذا المعمل يوجد في ورقة النبات، حيث تقوم الورقة بتصنيع غذاء النبات عن طريق ما يسمى بعملية البناء الضوئي، وذلك بفضل ما أودعه الله فيها من مادة الكلوروفيل الخضراء.

إن بنية النبات لا كما يتوهم الإنسان أنها عملية تتأتى من التراب، بل تتأتى من المعمل العظيم الذي أودعه الله في الأوراق... لولا عمليات البناء التي تجري في الورقة الخضراء إذا تعرضت لأشعة الشمس والهواء لما كان نبات[2] بل لما كان هناك إنسان أو حيوان.

فمن نواتج عملية البناء الضوئي التي تقوم بها الورقة في النبات، غاز الأكسجين الذي يعتبر أساس الحياة بالنسبة للإنسان والحيوان، فلولاه لما استطاع الإنسان أن يتنفس، وبالتالي تستحيل الحياة بدون تنفس، ويأخذ النبات غاز ثاني أكسيد الكربون الذي يخرجه الإنسان أثناء عملية التنفس. فسبحان الذي أوجد هذا التبادل بين الكائنات الحية، وصدق سبحانه حين قال: "وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡزُونٖ"[3].

إنّ النظر في عالم النبات بأسراره وأعاجيبه، ليدل على قدرة الله عزّ وجل وإبداعه وحكمته، ففي هذا العالم من العبرة والعظة ما يجعل الإنسان يسلم بعظمة الخالق، فالنبات يشبه إلى حدٍ كبير الإنسان في التنوع والاختلاف والتكاثر، فكما الإنسان يختلف في صفاته الجسمية حسب الإقليم والبلد الذي يعيش فيه، فكذلك النبات يختلف حسب المنطقة التي ينمو فيها، فهناك مناطق تختص بالأشجار الضخمة العالية، بالمقابل هناك مناطق تختص بالشجيرات الصغيرة، وأخرى تختص بالأعشاب، ليس هذا فحسب، بل إنّ أوراق النبات تتنوع حسب الظروف المناخية

---

[1] الزحيلي: **التفسير الوسيط**، ج1، ص585.

[2] انظر، **المرجع السابق**، ص228.

[3] سورة الحجر: آية 19.

التي تعيش فيها لتتلاءم معها، فمثلاً النباتات الصحراوية أوراقها مغطاة بمادة شمعية تقاوم الجفاف، وارتفاع درجات الحرارة وتقلل من التبخر، وبعض الأوراق إبرية، وبعضها مغطاة بطبقة وبرية، ووجوه الاختلاف والتباين بين كل منها جدير بالنظر والتفكر والاعتبار

المطلب الرابع: خلق الحيوان:

إنّ عالم الحيوان متنوع الأصناف والأجناس، تماماً كعالم الإنسان، بل إنّ العلماء صنفوا الحيوانات إلى ملايين الأصناف المختلفة، وكل صنف هو أمة بذاته، فمن عالم الأسماك إلى عالم الطيور، ومن عالم الأنعام إلى عالم الحشرات والزواحف، ومن عالم الحيوانات المفترسة إلى عالم الحيوانات الأليفة، يقول عزّ وجل: "وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ "[1] ومعنى أمم أي: "أصناف مصنفة تعرف بأسمائها"[2] أي أنّ الله سبحانه " خلقهم، ودبرهم، ورزقهم، وكتب آجالهم كما فعل بكم"[3].

"وخصّ دواب الأرض بالذكر؛ لأنها هي التي يراها المخاطبون عامة، ويدركون فيها معنى المماثلة، دون دواب الأجرام السماوية القابلة للحياة الحيوانية التي أعلمنا الله بوجودها في قوله تعالى: " وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ "[4] "وهذا من أخبار الغيب التي دل العلم الحديث على صدقها"[5].

والمقصود من هذه الآية: "توجيه القلوب والعقول إلى أنّ وجود هذه الخلائق بهذا النظام وشمولها بهذا التدبير، وإحصاءها في علم الله، ثم حشرها إلى ربها في نهاية المطاف، توجيه

---

[1] سورة الأنعام: آية 38.

[2] ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله بن عيسى (ت: 399هـ): **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة -محمد بن مصطفى الكنز، ج2، ص67، الفاروق الحديثة – مصر، ط1، 1423هـ-2002م،.

[3] القيرواني، مكي بن أبي طالب: **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم القرآن وتفسيره**، ج3، ص2015، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، ط1، 1429هـ-2008م.

[4] سورة الشورى: آية 29.

[5] المراغي: **تفسير المراغي**، ج7، ص118.

الموجه بتقدير ما وراء الهدى والضلال من مشيئة الله وسنته، وما يدلان عليه من فطرة الناس في حالات الهدى وحالات الضلال"[1].

وقد بلغ من اهتمام القرآن الكريم بالحيوان، أن أطلق على بعض السور أسماء بعض الحيوانات، فنجد في القرآن سورة البقرة، والأنعام، النحل، الفيل، النمل، العنكبوت والعاديات.

وقد سخر الله سبحانه وتعالى هذه الحيوانات لمنفعة الإنسان ومصلحته، فالله عزّ وجل لم يخلق شيئاً عبثاً، فكل له هدف وحكمة، وفائدة من خلقه، ولعل من أنبل الأهداف وأشرفها: عبادة الله عزّ وجل، "أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ "[2].

وقوله تعالى: " أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ "[3].

فالقرآن الكريم يوجه الإنسان إلى النظر فيما حوله من صنع الله، وإلى من حوله من خلق الله في السماوات والأرض، وهم يسبحون بحمده، ويوجه بصره وقلبه خاصة إلى مشهد كل يوم يراه، فلا يثير انتباهه، ولا يحرك قلبه، لطول ما يراه. ذلك مشهد الطير صافات أرجلها، وهي طائرة في الفضاء تسبح بحمد الله.. والإنسان هو الذي يغفل عن تسبيح ربه، وهو أجدر خلق الله بالإيمان والتسبيح والصلاة[4].

إضافة إلى فوائد جمة قد ذكرها القرآن عن الحيوانات، سواء في لحومها، أو ألبانها، وأصوافها، وجلودها، فبعضها يتخذ وسيلة للتنقل من مكان لآخر، وفائدة بعضها في الحراسة،

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، ج2، ص1080.
[2] سورة الحج: آية 18.
[3] سورة النور: آية 41.
[4] محمود، إبراهيم: **حقائق علمية في القرآن عن الحيوان**، 11، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، بتصرف.

وأخرى للصيد، حتى مخلفاتها جعلت فيها الفائدة، فتتخذ سماداً للأرض، وذلك لتقوية التربة، وما فيها من نباتات، وسيتم تناول هذه الفوائد في الصفحات القادمة.

إنّ من مظاهر الإعجاز الإلهي في هذه الحيوانات أنها تتكلم، وأنّ لها لغة خاصة بها، حيث يتم التفاهم فيما بينها بلغة معينة، وأصوات هادفة، وإن كنا نحن البشر لا نفهمها. فقد خص الله سبحانه وتعالى من أنبيائه سليمان عليه السلام، حيث علمه منطق الطير، وكذلك فهمه لغة النمل، يقول عزّ وجل في محكم آياته: "حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ"[1] أي: قالت إحدى النملات لرفيقاتها: ادخلوا بيوتكم، خاطبتهم مخاطبة العقلاء؛ لأنها أمرتهم بما يؤمرون به العقلاء، محذرة إياهم من سليمان وجنوده؛ لئلا يدوسونهم بأقدامهم دون أن يشعروا بكم, حذرت ثم اعتذرت، لأنها علمت أنه نبي رحيم[2].

وقد عدّ العلماء هذه الآية من عجائب القرآن؛ لأنها "بلفظة "يا" نادت "أيها" نبهت "النمل" عينت " أدخلوا " أمرت " مساكنكم " حددت " لا يحطمنكم " حذرت " سليمان" خصت " وجنوده" عممّت " وهم لا يشعرون " اعتذرت، فيا لها من نملة ذكية!!"[3].

ومثال آخر ذكر في القرآن الكريم يؤكد أنّ الحيوانات لها لغتها التي تتحدث فيها دون أن نفهمها –باستثناء سيدنا سليمان عليه السلام – الذي علم منطق الطير، فقصة الهدهد مع سيدنا سليمان تؤكد ذلك، يقول تعالى محدثاً إيانا قصة سليمان مع الهدهد: "وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٢١﴾ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ "[4] فهذا الهدهد الصغير الحجم كان له الفضل في إسلام ملكة سبأ وقومها، حيث إنه" قام بجهد داعية مليء حماساً

---

[1] سورة النمل: آية 27.

[2] الصابوني: **صفوة التفاسير**، ج2، ص371، بتصرف.

[3] **المرجع السابق**، ج2، ص372.

[4] سورة النمل: آية 20.

وتضحية، فدفع ملكاً رسولاً إلى حشد قوته، وإمكاناته لنصرة معتقده، وإنقاذ دعوته، وانتهت بإسلام ملكة عظيمة تزن أمة كاملة! أسلمت ملكة وقومها بجهد عصفور"[1].

ودليل ثالث من القرآن الكريم يثبت أنّ الحيوانات تتكلم، هو قوله تعالى: "وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ "[2].

"يخبر الله سبحانه بأنه حين فساد الناس وتركهم أوامره، وتبديلهم الدين الحق، قرب مجيء الساعة، تخرج دابة من الأرض تحدث الناس، بأنهم كانوا لا يوقنون بآياته الدالة على مجيء الساعة ومقدماتها"[3].

والعبرة في إخراج الدابة من الأرض وكلامها: إهانة وتوبيخ من لا يسمع آيات الله ولا يقبلها، ولا يلتفت إلى منهج الله، وصمّ عنه آذانه، أي: أنكم أيها المعرضون لم تسمعوا كلام أمثالكم من البشر، ولم تفهموا من يخاطبكم بلغتكم، فاسمعوا الآن من الأدنى، وأفهموا عنها وفسروا قولها[4] وقد عدّ معظم المفسرين خروجها من أشراط الساعة[5].

ومن وجوه الإعجاز الإلهي في الحيوان، والذي يدعونا للوقوف قليلاً والنظر في إبداع الخالق: إنّ الله عزّ وجل جعل لكل حيوان طريقة خاصة للحركة والانتقال من مكان لآخر، يقول تعالى: "وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ "[6].

فهذه الآية الكريمة تبين أنّ الحيوانات تتكاثر بالتزاوج، وأنّ أصل الخلق فيها من ماء، كما الإنسان، فكذلك الحيوان خلق الله من كل صنف منه زوجان اثنان، ثم تبين الآية الكريمة أنّ

[1] محمود، إبراهيم: **حقائق علمية في القرآن عن الحيوان**، ص215.
[2] سورة النمل: آية 82.
[3] المراغي، **تفسير المراغي**، ج20، ص22.
[4] الشعراوي: **الخواطر**، ج17، ص 10851، بتصرف.
[5] الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص89.
[6] سورة النور: آية 45.

الحيوانات تختلف في حركتها؛ فمنها من يمشي على بطنه كالأفعى، ومنها من يمشي على رجلين كالطيور بجميع أنواعها، ومنها من يمشي على أربع كالقط والكلب والحصان وغيرها الكثير. ومنها من يمشي على ستة أرجل، وبعضها لها ثمانية أرجل، ومنها من يسبح في الماء، ومنها ما يطير في الفضاء، ومنها من يحبوا حبواً، ومن يمشي مشياً، ويقفز قفزاً وهكذا. والسبب في تنكير الماء في قوله تعالى " مِّن مَّآءٍ ٱللَّهُ" "لأن المعنى أنه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك الدابة، أو خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة، ثم خالف بين المخلوقات من النطفة، فمنها هوام ومنها بهائم، ومنها ناس"[1] وقيل: "سمي الزحف مشياً على سبيل المشاكلة أو الإستعارة "[2].

والسبب في هذا الترتيب " قدم ما هو أعرق في القدرة، وهو الماشي، بغير آلة مشي من أرجل وقوائم، ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على أربع"[3].

فهذه الصورة الدالة على قدرة الله عزّ وجل، الذي خلق جميع الدواب على اختلاف أنواعها من ماء، هي نفسها التي خلق منها النبات على اختلاف أنواعه، وقد سبق التعليق على قوله تعالى: " وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ "[4] فالنبات كذلك رغم أنه يشرب الماء الذي ينزل من السماء لكنه يختلف في الطعم.

ومن أبرز الأمثلة التي ذكرت في القرآن الكريم عن الحيوان، والتي تحمل في طياتها العبرة والعظة لكل متفكر "الأنعام" يقول تعالى: " وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا "[5].

[1] الزمخشري: **الكشاف**، ج3، ص246.

[2] النيسابوري: **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، ج5، ص203.

[3] الشربيني: **السراج المنير**، ج2، ص632.

[4] سورة الرعد: آية 4.

[5] سورة النحل: آية 66.

تكرر لفظ الأنعام في القرآن الكريم اثنين وثلاثين مرة، والأنعام لفظ يطلق على كل من: الأبل والبقر والغنم[1].

وقد بينت الآيات الكريمة في مجملها أهمية وفوائد الأنعام بالنسبة للإنسان، فقال عزّ وجل: " وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۗ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ ۝٥ وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ ۝٦ وَتَحۡمِلُ أَثۡقَالَكُمۡ إِلَىٰ بَلَدٖ لَّمۡ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلۡأَنفُسِۚ إِنَّ رَبَّكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ "[2].

وقال أيضاً: "وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ"[3].

وقال أيضاً: " وَإِنَّ لَكُمۡ فِي ٱلۡأَنۡعَٰمِ لَعِبۡرَةٗۖ نُّسۡقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا "[4].

ويمكن أن نستخلص من الآيات السابقة أهم الفوائد للأنعام وهي:

1. "توفير الدفء للإنسان، وذلك بواسطة أصوافها، وأوبارها وجلودها، حيث يصنع الإنسان من صوفها الألبسة الصوفية التي تقيه من برد الشتاء، ومن الجلود تصنع البيوت الثابتة والمتحركة عند الظعن، والظعن: الارتحال والسفر، كما تصنع منها الأحذية والحقائب، وتدخل الجلود في صناعات ضرورية وهامة في حياة الإنسان")[5]. "ومن الصوف يصنع أفخم الملابس والأغطية والأجربة، وهي من ضروريات حياة الإنسان، كما الأوبار والأشعار"[6].

---

[1] ابن سيده: **المحكم والمحيط الأعظم**، ج2، ص 198،

[2] سورة النحل: آية 5-7.

[3] سورة النحل: آية 80.

[4] سورة النحل: آية 66.

[5] عبد الله، محمد محمود، **عالم الحيوان بين العلم والقرآن**، ص83، دار الرشيد – دمشق، مؤسسة الإيمان – بيروت،ط1، بيروت،ط1، 1417هـ- 1996م.

[6] **المرجع نفسه**، ص83.

2. الأكل ويتضمن نوعين مهمين من الغذاء وهما:

أ. اللحوم: تعتبر اللحوم غذاء ضروري، وذلك لما تحتويه من عناصر يحتاجها الجسم، ولا يمكن الاستغناء عنها.

ب. الألبان: فالحليب الذي تنتجه الأنعام يعد شراباً مفيداً ولذيذاً بالنسبة للإنسان، ويصنع منه الألبان والأجبان[1].

وتتجلى قدرة الله عزّ وجل وإعجازه في إخراج هذا الحليب سائغاً للشاربين من بين فرث ودم.

" والفرث: هو فضلات الطعام، وهذا يوضح ما كشفه علم الحيوان حديثاً عن وظائف الأعضاء في الأجسام، من أنّ الجهاز الهضمي للحيوان يقوم بهضم الطعام، وامتصاص العصارة التي تتحول إلى دم يجري في الأوعية الدموية لتغذية كل خلية في الجسم، ومن هذا الدم ما يصل إلى ضرع الحيوان حيث تبدأ الغدد اللبنية في هذا الضرع تستخلص من الدم العناصر اللازمة لتكوين اللبن، وذلك بعد أن تنصب عليه عصارات خاصة تحيله إلى لبن له مذاقه ولونه الخاص"[2].

3. ومن الفوائد التي أودعها الله في الأنعام: حمل الأثقال حيث كانت الأنعام فيما سبق هي وسيلة النقل المعتمد عليها، خاصة الإبل، فكان الإنسان ينتقل من بلد لآخر عن طريق الإبل، حاملاً متاعه عليها، كما كانت تستخدم في التجارة.

4. جمال الاستمتاع بمنظرها: "وفيها كذلك جمال عند الإراحة في المساء، وعند السرح في الصباح، جمال الاستمتاع بمنظرها، فارهة، رائعة، صحيحة، سمينة، وأهل الريف يدركون هذا المعنى بأعماق نفوسهم ومشاعرهم أكثر مما يدركه أهل المدينة "[3].

---

[1] انظر، النابلسي: **آيات في الآفاق**، ص305.

[2] مارديني: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة**، ص198-199.

[3] قطب: **في ظلال القرآن**، ج4، ص2161.

بل إنّ الله عزّ وجل عدّ الأنعام من الشهوات التي زينت للناس، وعدّها ضمن متاع الدنيا حين قال سبحانه وتعالى: " زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ "[1].

ومثال آخر من الأنعام جعله الله عبرة لمن اعتبر، بل ودعا إلى النظر إليه والتفكر في خلقه، ذلك هو الإبل، يقول سبحانه وتعالى: " أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ "[2].

ففي هذه الآية الكريمة دعوة موجهة إلى بني البشر عامة، وإلى العرب خاصة، خاصة أن القرآن الكريم نزل بقوم يولون اهتماماً قوياً بالإبل، فيعتمدون عليها في حياتهم، حيث كانت الإبل في ذلك الزمان أساساً للتفاخر، وعنواناً للغنى، ومركز التجارة عندهم، إذ كانت وسيلة المواصلات الرئيسة، التي ينتقلون بواسطتها من مكان لآخر، ويحملون على الإبل بضائعهم التي يستوردونها من بلد لآخر والتي يصدرونها كذلك. وهي مصدراً مهماً للغذاء إذ يعتمدون على لحوم الإبل وألبانها كذلك، وهي تستخدم في حروبهم ضد القبائل المعادية، ولازالت الإبل إلى يومنا هذا هي مصدر التفاخر بين الناس في بعض المناطق والقبائل، خاصة المناطق الريفية.

والسر الإلهي الذي أودعه الله سبحانه وتعالى في هذا المخلوق العظيم، والذي منحه هذه المكانة الهامة عند الإنسان:

1. إنّ العرب كانوا يعيشون في الصحاري، خاصة في الجزيرة العربية، فالإبل هيأه الله سبحانه وتعالى ليتلاءم وطبيعة الحياة هناك، فجعل له خفاً عريضاً " تشبه وسادة لينة، مما يمكنه من السير في الصحراء ولمسافات طويلة، فضلاً عن قوة تحمّله وتجلده وصبره"[3].

---

[1] سورة آل عمران: آية 14.

[2] سورة الغاشية: آية 14.

[3] عبد الله: **عالم الحيوان بين العلم والقرآن**، ص25.

2. وعينه لها رموش كثيفة مزدوجة تحجب عنها رمال الصحراء المتطايرة، وتتميز بقدرتها على التكبير والتقريب... وفي إمكان الجمل إغلاق أذنيه، ومنخريه للغاية نفسها...وشفتا الجمل مطاطيتان قاسيتان، تلتهمان الأشواك الحادة، وهما فعالتان في تجميع الطعام، حيث لا يفقد الجمل أي رطوبة بمد لسانه إلى الخارج[1].

3. كما تمتلك الإبل أسناناً قوية، ولثة مبطنة مع سقف الحلق، وجوانب الفم بنسيج مخاطي سميك لا يؤثر فيه الغذاء الخشن، كالشوك والنباتات الإبرية الواخزة[2].

4. إنّ الإبل يتحمل الحرارة الشديدة في الصحراء، وقلة الماء والجفاف، بل "يستطيع أن يستغني عن الماء كلياً عشرات الأيام بل بضعة أشهر، حيث يستطيع في حالات طارئة أن يأخذ ما يحتاج إليه من الماء من أنسجة جسمه، فيخسر ربع وزنه من غير أن يضعف عن الحركة "[3].

5. يتحمل الإبل قلة الطعام، وذلك بما زوده الله سبحانه وتعالى من سنام، وبعض الإبل له سنامان، حيث " يعد السنام بمنزلة مخزن للجمل، يحتفظ به بكميات من الدهن، يسد به ما يتعرض له من نقص في الغذاء والماء أثناء سيره في الصحراء لمدة طويلة، وهذه الميزة الوحيدة التي تميز بها الجمل عن غيره من الحيوانات"[4].

6. يتمتع الإبل بقدرة كبيرة على حمل الأثقال مع ما يتناسب وحجمه " وقد تبين للعلماء أنّ الجمل الكبير يمكن أن يحمل أربعة أطنان إلى ستة، ويسير نحو 30 ميل في اليوم، بسرعة 3 أميال في الساعة"[5].

---

[1] انظر، النابلسي: **آيات الله في الآفاق**، ص309.

[2] علي: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص221.

[3] النابلسي: **آيات الله في الآفاق**، ص310.

[4] عبد الله: **عالم الحيوان بين العلم والقرآن**، ص26.

[5] علي، محمد سامي محمد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص221.

حقاً "إنّ في خلق الأنعام عبراً ونعماً من وجوه شتى، ففيه دلائل على قدرة الخالق بخلق الألبان من مصادر هي أبعد ما تكون منها، ونعماً لنا في مرافقها وأعينها، فتنفع بألبانها وأصوافها ولحومها، ونجعلها مطايا لنا في أسفارنا إلى نحو ذلك من شتى المنافع"[1].

وفي ختام هذا المبحث يمكن القول: إنّ آية السماء والأرض، وما بينهما من آيات خلقية كثيرة لا تحصى، لا يمكن أن يعتبر بها الإنسان إذا مرّ بها مرور الكرام، أو حتى نظر إليها بدون تفكر، وحتى يصل الإنسان إلى حالة العظة والاعتبار المرجوة من هذه المخلوقات، لابد من القراءة المتأنية التي يتخللها التدبر والتفكر، وذلك بما يتوفر لنا من كتب ومراجع تتحدث عن الإعجاز والإبداع الإلهي في الخلق، ثمّ لا بد من النظر المتأمل الفاحص الذي يلازمه تفكر، وتذكر لقدرة الله عزّ وجل.

ولمزيد من الاعتبار لا بد أن يخرج الإنسان من قوقعته، وأن يسير في الأرض، حتى يكتشف بنفسه أسرارها، وأسباب جمالها، فيرى الجبال والرواسي ليكبر، ويرى السهول الواسعة ليسبح، ويرى الوديان والأنهار والبحار والمحيطات، والأشجار والأزهار، والعصافير المغردة، والشمس المشرقة التي تبعث بنورها في هذا الكون، فيعم الضياء، يجلس أمام هذا كله شاكراً لما فيه من أنعم الله، ويتذكر قدرة الله سبحانه وتعالى ورحمته في الوقت ذاته، فهو قادر بهذه البحار والمحيطات التي فاقت نسبتها نسبة اليابسة بثلاثة أرباع، قادر على إغراق الأرض وأهلها؛ بسبب معاصيهم وذنوبهم. لكنه في الوقت ذاته رحمن رحيم لا يعاجل بالخطايا. ثم إنّ جميع الآيات الكونية المشاهدة، خلقها الله سبحانه وتعالى، وأبدعها لتكون دليلاً على قدرته ووحدانيته، ودعوة إلى توحيده وعدم الإشراك به، ودليلاً صارخاً على أنه يعلم كل شيء، فلا يخفى عليه شيء.

---

[1] المراغي: **تفسير المراغي**، ج18، ص16.

المبحث الثاني: الاعتبار بقصص السابقين:

تمهيد:

اشتمل القرآن الكريم على العديد من قصص الأنبياء والصالحين من الأمم السابقة، ومن هذه القصص: الطويلة المفصلة التي وردت في أكثر من سورة، ومنها القصيرة الموجزة التي تذكر مرة واحدة فقط، ولعلَّ الغاية من إيراد مثل هذه القصص هي أخذ العبرة والعظة لمن جاء بعدهم، وذلك مصداقاً لقوله تعالى: " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[1]. أي: "في قصصهم أيضاً عبرة للمؤمنين يقتدون بهم في جميع مقامات الدين: في مقام التوحيد والقيام بالعبودية، وفي مقامات الدعوة والصبر والثبات"[2].

وتعتبر القصة ذات أهمية ; وذلك لما لها من أثر بالغ على النفوس، كما أنّ لها أثراً واضحاً في التربية والتهذيب، وفي هذا يقول منّاع القطان:" مما لاشك فيه أنّ القصة المحكمة الدقيقة تطرق المسامع بشغف، وتنفذ إلى النفس البشرية بسهولة ويسر، وتسترسل مع سياقها المشاعر، لا تمل ولا تكل، ويرتاد العقل عناصرها، فيجني من حقولها الأزاهير والثمار"[3].

ومن أهم خصائص القصة القرآنية:

إنّ "لها قدرة فائقة على إثارة الوجدان وتشويقه، وإمتاعه، واستنهاض العقل وشحنه وإقناعه، بقصد تحصيل العبرة والعظة، ثمّ الانطلاق إلى العمل الصالح ابتغاء مرضاة الله"[4].

---

[1] سورة يوسف: آية 111.

[2] آل سعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ): **تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن**، ص170، وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد- السعودية، ط1، 1422هـ.

[3] القطان، مناع بن خليل (ت: 1420هـ): **مباحث علوم القرآن**، ص321، مكتبة المعارف، ط3، 1412هـ- 2000م.

[4] محمود، إبراهيم: **حقائق علمية في القرآن عن الحيوان**، ص215.

ومن خصائصها أيضاً أنها" تعرض لقطات بعينها من حياة الشخصية التي تتحدث عنها القصة، تكون هي موضع العبرة وموضع التأثير، ولا تسرد كل القصة، ولا كل ملابساتها؛ لأن ذلك لا يناسب الأهداف الخاصة للقرآن"[1].

وذكر سيد قطب أنّ القصة في القرآن الكريم جاءت لتحقيق أغراض دينية بحتة، ذكر من هذه الأغراض: "إثبات الوحي والرسالة، وإثبات وحدانية الله، وتوحد الأديان في أساسها، والإنذار والتبشير، ومظاهر القدرة الإلهية، وعاقبة الخير والشر، والعجلة والتريث، والصبر والجزع، والشكر والبطر، وكثير غيرها من الأغراض الدينية، والمرامي الخلقية، قد تناولته القصة، وكانت أداة له وسبيلا إليه". (2)

المطلب الأول: قصة آدم عليه السلام:

أولى القصص التي طالعنا بها القرآن الكريم في ثاني سورة قرآنية هي سورة البقرة، وردت قصة آدم عليه السلام، أبو البشر جميعاً، ثم تكرر اسمه خمساً وعشرين مرة في خمس وعشرين آية، جاءت في تسع سور من القرآن.

تبدأ هذه القصة بإخبار الله سبحانه لملائكته بأنه سيخلق آدم عليه السلام "وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ"[3].

"إنّ هذا هو الموضع الوحيد في القرآن كله الذي تذكر فيه الخلافة في الأرض مرتبطة بخلق آدم"[4].

---

[1] قطب، محمد: **دراسات قرآنية**، ص48، دار الشروق – القاهرة، ط3، 1402هـ–1982م.

[2] قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص 144

[3] سورة البقرة: آية 30.

[4] قطب: **دراسات قرآنية**، ص286.

ولم يكن قول ربنا ﷻ للملائكة على سبيل الاستئذان، بل على سبيل الإعلام والإخبار... فإخبار الله تعالى لهم كان لإعلامهم بأمر سيحدث في الملأ الأعلى، وسيكون له أثرٌ خطير وبعيد[1].

وقوله تعالى "فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً " فيه بيان الغاية التي خلق آدم عليه السلام من أجلها، وهي الخلافة في الأرض، ولعلّ هذه الغاية هي من أجلّ وأشرف الوظائف التي أوكلت لآدم عليه السلام، وهذه الخلافة مظهر من مظاهر تكريم آدم عليه السلام إذ إنها ليست بالمهمة السهلة أن يكون آدم خليفة الله في الأرض " ومعنى الخلافة عن الله في الأرض: أنه سيكون له سلطان عليها متصرفاً في مواردها، ليجعلها ملائمة لحاجاته"[2].

وترد الملائكة على ذلك الخبر بتساؤل: "قَالُوٓاْ أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحۡنُ نُسَبِّحُ بِحَمۡدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ"[3].

" ولم يكن قول الملائكة على وجه الاعتراض على التقدير، ولكن على جهة الاستفهام، فإنّ حمل الخطاب على ما يوجب تنزيه الملائكة أولى لأنهم معصومون"[4].

وتمضي الآيات في سرد قصة آدم عليه السلام حيث خلقه الله من تراب كما صرحت بذلك العديد من الآيات القرآنية، ثم نفخ فيه من روحه، وجعل له السمع والأبصار والأفئدة، والعبرة من ذلك "بيان القدرة الإلهية، والعظمة الربانية في تكوين هذا الإنسان الذي خلقه الله تعالى، فأحسن خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين، ثم جعل نسله من سلالة من ماءٍ مهين، ثم سواه ونفخ فيه من روحه، وجعل له السمع والبصر والفؤاد"[5].

---

[1] انظر، لماضة، عاطف: **قصص الأنبياء للأبناء**، ص11، دار الصحابة للتراث- طنطا، 1417هـ.

[2] النجار، عبد الوهاب: **قصص الأنبياء**، ص19، دار الكتب العلمية – بيروت، ط3.

[3] سورة البقرة: آية 30.

[4] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج2، ص75.

[5] أبو عزيز، محمد يوسف: **قصص الأنبياء دروس وعبر**، ص11، دار الفخر للتراث – القاهرة، ط1، 1420هـ.

وفي خلق آدم من تراب عبرة لمن تفكر، فجميع البشر متساوون في الأصل، ولا فضل لأحد على أحد. لا بالشكل، ولا اللون، ولا اللغة، ولا المال، ولا الجاه، ولا الولد فلا يتكبر أحد على الآخر، وفي نفخ الله سبحانه فيه من روحه إشعار بتكريم الله ﷻ لهذا المخلوق العظيم، وذريته من بعده، إذ إنّ هذه الروح التي هي الحياة، نعمة من الله ﷻ، وهي التي تجعله يتحرك، ويفكر ويحس، ويشعر، إذ بدون روح لا حياة للإنسان. وهذا فضل من الله ومنّة تستحق الشكر.

ويتوالى تكريم الله لهذا المخلوق الجديد إذ يعلّمه الأسماء كلها: " وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ "[1].

تأوّل المفسرون هذه الآية، وذكروا فيها تفسيرات عديدة منها:

إنّ هذا العلم عبارة عن تعليم آدم لأسماء دواب الأرض[2]، وفسّرها الإمام الطبري بأنها:

" الأسماء التي يتعارف بها الناس: إنسان، ودابة، وأرض، وسهل، وبحر، وجبل، وحمار"[3].

أما محمد رشيد رضا فقد فسّرها: بأنّ الله أودع في نفس آدم علم الأشياء من غير تحديد ولا تعيين، فالمراد بالأسماء، المسميات، عبّر عن المدلول بالدليل ;لشدة الصلة بين المعنى واللفظ والموضوع له، وسرعة الانتقال من أحدهما إلى الآخر[4].

وفي هذا تكريم آخر لآدم وذريته، وتفضيل له على الملائكة، حيث علّمه الله ما لا تعلمه الملائكة، بل وجعله معلماً لهم، ولعلّ في هذا العلم تمهيداً لموضوع الخلافة في الأرض.

ومن مظاهر تكريم الله ﷻ لآدم عليه السلام أيضاً أن أمر الملائكة بالسجود له: "وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ وَٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ "[5].

---

[1] سورة البقرة: آية 31.

[2] انظر، مقاتل: **تفسير مقاتل بن سليمان**، ج1، ص98.

[3] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج1، ص456.

[4] رضا: **المنار**، ج1، ص218، بتصرف

[5] سورة البقرة: آية 34.

وامتثالاً لأمر الله ﷻ سجد الملائكة كلهم أجمعون، فهم لا يعصون لله أمراً، وتخلف عنهم إبليس، الذي أبى وتكبر أن يسجد لمن خلقه الله من طين، وحجته في ذلك أنه خير منه "قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ "[1] وكان هذا سبباً في استحقاقه غضب الله وسخطه، بل وطرده من الجنة، قال تعالى: "قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ "[2].

هذه الآيات تحتاج إلى أن نمعن في تدبرها ونتفكر فيها؛ لأخذ العبرة والعظة من هذا الرد الإبليسي على أمر الله؛ فالتكبر والإعجاب بالنفس هو الذي دفع بإبليس إلى عصيان أمر الله ﷻ، وهذا العصيان هو السبب في استحقاق غضب الله، والإبعاد عن رحمته، ومن ثَمّ الخلود في العذاب المهين يوم القيامة.

وكانت هذه بداية العداء بين آدم عليه السلام وإبليس الذي نذر نفسه لإغواء بني آدم، وتشجيعهم على المعاصي، " وتوعد آدم الذي طرد بسببه من الجنة أن يغوي ذريته ويفسدهم على الله، وأن يسعى في أن يجعل أكثرهم غير شاكرين لله إلا عباد الله المخلصين، فوعده الله هو وكل من أطاعه من ذرية آدم بالنار"[3] وهذه حقيقة جلية أخبرنا الله تعالى بها؛ لاتخاذ الحيطة والحذر من إبليس وحزبه، وعدم الانصياع لوسوسته، فيقول ﷻ: "إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ "[4].

وثمة مظهر آخر من مظاهر تكريم الله ﷻ لآدم عليه السلام، حيث أسكنه وزوجه الجنة، يتنعم بما فيها من خيرات، وقد وعده الله سبحانه ألا يجوع فيها ولا يعرى، وأباح لهما كل شيء في الجنة، إلا شجرة منعهما من الاقتراب والأكل منها، لحكمة لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، وهنا بدأ إبليس عمله بالوسوسة; لإخراج آدم وزوجه من النعيم الذي في الجنة، وبدأ غوايته لهما وأوهمهما أنّ الله ﷻ قد نهاهما عن تلك الشجرة لئلا يكونا ملكين: " فَوَسۡوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ لِيُبۡدِيَ لَهُمَا

---

[1] سورة ص: آية 76–77.

[2] سورة الحجر: آية 34.

[3] النجار: **قصص الأنبياء**، ص16.

[4] سورة فاطر: آية 6.

مَا وُۥرِيَ عَنۡهُمَا مِن سَوۡءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنۡ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيۡنِ أَوۡ تَكُونَا مِنَ ٱلۡخَٰلِدِينَ "[1].

والعبرة التي يمكن استنباطها من هذه الآية: أنّ إبليس– عليه لعنة الله وغضبه– يستخدم وسائل متنوعة، وأساليب متعددة لإيقاع الإنسان في المعصية، وتزيينها له، فها هو يوهم آدم عليه السلام وزوجه أنّ الأكل من الشجرة سيجعل منهما ملكين، وأنّ الأكل من هذه الشجرة سيضمن لهما الخلود في الجنة، وأقنعهما أنه لهما ناصحٌ يريد صالحهما، وما زال يزين لهما معصية أمر الله حتى نسي آدم أمر ربه، ووعده له بالخلود فيها، فأكلا من الشجرة، وكانت هذه أول معصية لآدم عليه السلام، يقول سبحانه وتعالى واصفاً عمل إبليس: "وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ "[2] وفي استخدام كلمة زيّن حكمة وعبرة ذلك أنّ "الشيطان لا يوسوس للإنسان بالرذيلة والمعصية على أنها معصية، ورذيلة وفاحشة، بل يزينها على أنها متعة، وملذة وزينة، يزينها على أنها سبيل للسعادة وقضاء الوطر"[3].

ووقعت المعصية، وأكل آدم وحواء من الشجرة، وحينها ظهرت لهما عوراتهما وكانت قد سترت عليهما، يقال:" لما تجرّد عن لباس التقوى، تناثر عنهما لباسهما الظاهر"[4] وفي قوله تعالى: " لهما " "تخصيص، أي: بدت عوراتهما لهما دون غيرهما "[5].

وبعد ظهور عوراتهما يبرز خلق الحياء في شخصية أبينا آدم عليه السلام وأمنا حواء، فيسرعان يبحثان عما يواري ويستر هذه العورة التي ظهرت فجأة، ولم يكن في الجنة لباس، فاستخدما ورق الشجر.

ولا بد هنا من الإشارة إلى خطأ مشهور بين العامة: هو أنّ حواء هي سبب معصية آدم، وهي السبب في إخراجه من الجنة، فالشيطان وسوس لها، فأقنعت آدم عليه السلام بالأكل من الشجرة فأكل، والقرآن الكريم بألفاظه الدقيقة يثبت خطأ ذلك، حيث استخدم في بعض الآيات التي تتحدث

---

[1] سورة الأعراف: آية 20.

[2] سورة النمل: آية 24.

[3] لماضة: **قصص الأنبياء للأبناء**، ص49.

[4] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج2، 484.

[5] السمعاني: **تفسير القرآن**، ج3، ص 360.

عن الوسوسة صيغة المثنى: " فَوَسْوَسَ لَهُمَا" ولم يقل: وسوس لها، فأكلت وحدها منها، أو ذاقت هي أولاً ثم أقنعت آدم عليه السلام بالأكل، فهذا تأويل مبالغ فيه من قبل بعض المفسرين والعلماء وفي سورة طه " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ "[1].

ويعاتب الله سبحانه وتعالى آدم عليه السلام وزوجه قائلاً: "أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ"[2] فالله عز وجل نهى آدم عن الأكل من الشجرة، وحذره من الشيطان، وأبلغه أنه له عدوٌ ولذريته من بعده. " وعند ذلك وقعت عليهما الخجلة لما ورد عليهما خطاب الحق " ألم أنهكما " ولهذا قيل: كفى للمقصر الحياء يوم اللقاء"[3]. وهنا لا يجادل آدم عليه السلام ربه، أو يبرر له ما فعل، بل بادر بالاعتراف بذنبه، وطلب المغفرة من ربه، فقال هو وزوجه:" رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ "[4] "وفي هذه الآية موعظة لولدهما، وتعريفهم كيف السبيل إلى التنصل من الذنوب، وأنه لا ينفع إلا الاعتراف والتوبة، لأنّ ترك الاعتراف بما حرم الله عز وجل حرام، وكفر بالله، فلابد من الاعتراف مع التوبة "[5] وبعد أن اعترف آدم عليه السلام بذنبه وندم عليه، وطلب المغفرة وتاب إلى الله عز وجل، تاب الله عليه: "فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ "[6].

أهم النتائج التي ترتبت على معصية آدم وحواء[7]:

1. معاتبة الله إياهم على ذلك، يقول سبحانه: "أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ"[8].

[1] سورة طه: آية 20.

[2] سورة الأعراف: 22.

[3] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج2، ص484.

[4] سورة الأعراف: آية 23.

[5] الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج1، ص116.

[6] سورة البقرة: آية 37.

[7] الثعلبي، أحمد بن محمد بن بدر النيسابوري: **قصص الأنبياء**، ص38-40، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، الطبعة الأخيرة، بتصرف.

[8] سورة الأعراف: آية 22.

2. الفضيحة، وذلك عندما بدت لهما سوءاتهما.

3. إخراج آدم عليه السلام وزوجه من جوار الله عز وجل، فلا ينبغي أن يجاوره من عصاه.

4. العداوة، كما قال سبحانه: " قَالَ ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ "[1].

5. النداء عليه باسم العصيان: " وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ "[2].

6. تسليط العدو إبليس على أولاده، " وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا "[3].

7. التعب والشقاء، وذلك قوله تعالى: " فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ فَلَا يُخۡرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلۡجَنَّةِ فَتَشۡقَىٰٓ "[4].

8. إخراج آدم عليه السلام وزوجه من الجنة، "فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِۖ وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ "[5] أي: أنّ إبليس أخرج آدم وحواء مما كانا فيه من رغد العيش في الجنة، وسعة نعيمها... وأضيف إخراجهما من الجنة إلى الشيطان وإن كان الله هو المخرج لهما – لأن خروجهما منها كان عن سبب من الشيطان، فأضيف ذلك لتسبيبه إياه[6].

ولعلّ أهم هذه النتائج وأكثرها أثراً هي الابتعاد عن جوار الله سبحانه، ثم الإخراج من الجنة التي هي دار النعيم الخالد، والهبوط منها إلى الأرض، وقد قال الله عز وجل واصفاً هذه

[1] سورة الأعراف: آية 24.
[2] سورة طه: آية 121.
[3] سورة الإسراء: آية 64.
[4] سورة طه: آية 117.
[5] سورة البقرة: آية 36.
[6] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج1، ص 534، بتصرف.

الأرض، ومعلماً لآدم عليه السلام عن طبيعة الحياة فيها: " قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ "[1].

وقال ﷻ: "فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ "[2].

ويقول في موضع ثالث: "مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ "[3].

ففي هذه الآيات يبين الله ﷻ أمره لآدم عليه السلام وزوجه وإبليس بالخروج من الجنة، والهبوط إلى الأرض، ثم يبين العداوة الأزلية بينهم، ويخبرهم أنّ هذه الأرض هي محل للاستقرار فيها، كما أنها متاع. وقد حدد هذا الاستقرار والمتاع بمدة معينة فقال " إِلَىٰ حِينٍ " وهذه المدة لا يعلمها إلا الله علّام الغيوب، ثم يبين سبحانه وتعالى أنّ في هذه الأرض حياة وموت، ومن بعد ذلك البعث، فمن الأرض خلق آدم، وإليها يعود، ومنها يخرج وذريته يوم القيامة بإذن الله وأمره.

وهنا تبدأ حلقة جديدة من حلقات قصة آدم عليه السلام وذريته. مشاهد هذه الحلقة على الأرض التي خلق آدم ليكون خليفة فيها، فيبدأ بالتناسل والتكاثر، وتكون منه البشرية جمعاء، التي تتوزع في نواحي الأرض التي سخرها الله سبحانه، وما فيها من مخلوقات وكنوز لمنفعة البشرية ومصلحتها.

هذه هي قصة أبينا آدم عليه السلام، ذكرت في القرآن مرات عديدة، وذلك لما فيها من عبر ومواعظ تستحق الوقوف عليها، وتأملها، والاستفادة منها في حياتنا، وقبل عرض العبر والمواعظ والدروس التي تضمنتها قصة آدم عليه السلام ولابد من التعليق قليلاً على شخصية آدم عليه السلام.

"إنّ شخصية آدم عليه السلام في قصص القرآن لنموذج للإنسان بكل مقوماته وخصائصه، ومن أظهر تلك المقومات والخصائص ذلك الضعف البشري الأكبر، الذي يجمع كل نواحي الضعف

---

[1] سورة الأعراف: آية 24.

[2] سورة الأعراف: آية 25.

[3] سورة طه: آية 55.

الأخرى، فيها الضعف أمام الرغبة في الخلود، وقد لمس إبليس موضع الضعف هذا، فاستجاب له آدم عليه السلام واستجابت له حواء "قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ "[1] فالإنسان الفاني حريص على الخلود أبداً، فلما لم ينله كما مناه الشيطان، ظل وسيظل يحاول بمختلف الطرق، بالنسل وبالذكر وبالخيال، فإذا لم ينفعه هذا كله نفعه الدين، الذي يضمن له البعث مرة أخرى، ويضمن له نوعاً من الخلود أيضاً، أما شخصية إبليس فهي شخصية الشيطان وكفى"[2].

أهم العبر والدروس التي يمكن استنتاجها من قصة آدم عليه السلام[3]:

1. " إنّ الله تعالى قد يحجب سر حكمته عن أقرب خلقه إليه، كما حجب حكمة استخلاف آدم عليه السلام في الأرض عن الملائكة، حتى تحيروا واشتاقوا إلى معرفة الحكمة من هذا الاختيار.

2. إنّ عناية الله تعالى إذا وجهت إلى الشيء الحقير، خلعت عليه حلل البهاء والجلال، وصيرته عظيماً، كما توجهت عنايته تعالى إلى التراب الذي جبل منه آدم عليه السلام، فصيرته بشراً سوياً، وجعلته مظهراً لأسرار قدرته وحكمته وعلمه الواسع فأفاض عليه من العلم والمعرفة ما أقر الملائكة بالعجز عن إدراكه.

3. إنّ الإنسان مهما أوتي من التجلة والكرامة ففي طبعه الضعف، فهو عرضة أن ينسى ويأتي ما لا يتفق مع إجلال الله له، كما في نسيان آدم وصية الله تعالى، فأطاع إبليس الذي هو أعدى أعدائه، وأصغى إليه وأكل من الشجرة التي نهي عن الأكل منها.

4. إنّ رحمة الله تعالى لا ييأس منها من عصاه، وخالف أمره، فإنّ آدم عليه السلام تاب الله عليه مع ما فرط منه من النسيان ومخالفة وصية الله, فعلى العبد إذا قارف معصية أن يلجأ

---

[1] سورة طه: آية 120.

[2] قطب، **التصوير الفني في القرآن**، ص209.

[3] النجار: **قصص الأنبياء**، ص41-42.

إلى الله بالندم والاستغفار والإقلاع عن الذنب"، كما قال تعالى: "قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ"[1].

5. الإنسان قد يخسر رضا الله وجنته بكلمة يقولها أو فعل يفعله.

6. الشيطان هو العدو الأول للإنسان، فيجب عليه أن يحذر منه أشد الحذر

7. من سبل إغواء الشيطان تزيين الباطل للشخص.

8. المسلم عليه أن لا يغتر بدعاة الضلال الذين يسوقون لفسادهم وضلالهم بالعبارات الجذابة والابتسامات البراقة.

المطلب الثاني: قصة موسى عليه السلام:

يقول سبحانه وتعالى: " وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا "[2].

هي من أكثر القصص القرآنية تكراراً، وأوسعها تفصيلاً، مليئة بالأحداث التي يستنبط منها الدروس والعبر " يذكرنا بها القرآن الكريم دائماً؛ لأنّ أحداثها تعالج أسوأ البشر في التاريخ، وفي كل مناسبة يذكرنا الله بلقطة من حياة هؤلاء "[(3)]. وكثرة التكرار هذه جاءت لهدفين هما[4]:

1. ذكر ما كان يلقى بنو إسرائيل من عذاب في ظل فرعون، وصبرهم على العذاب الطويل الأمد، تأسية للمسلمين في مكة، حيث كانوا يلقون العذاب والاضطهاد من قريش، فتكون قصة بني إسرائيل عزاء لهم أنهم ليسوا وحدهم في هذا العذاب والاضطهاد.

2. إنّ بني إسرائيل هم الأمة التي قامت حياتها –قبل المسلمين– على كتاب منزل من عند الله، ثم لم يستقيموا على الكتاب المنزل، بل ظلوا ينحرفون عنه حتى كادوا يخرجون

---

[1] سورة الزمر: آية 53.

[2] سورة مريم: آية 51.

[3] الشعراوي: **الخواطر**، ج1، ص237.

[4] قطب، محمد: **دراسات قرآنية**، ص253-254، بتصرف.

تماماً من ظله! لذلك كثر ورود قصة بني إسرائيل تحذيراً للمؤمنين – الذين تقوم حياتهم على كتاب منزل من عند الله – أن ينحرفوا كما انحرف بنو إسرائيل.

وقد نزلت سورة القصص التي تحدثت عن قصة موسى، في شأن أصحاب رسول ﷺ حيث كان المشركون يؤذونهم، فيشكون إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه السورة تعرفهم ما نزل في بني إسرائيل من فرعون وقومه، ليصبروا كصبرهم، وينجيهم ربهم كما أنجى بني إسرائيل من فرعون وقومه[1].

هذه القصة بأحداثها وعبرها موجهة لكل من يؤمن بالله، ويصدق بقدرته، ويثق بحكمته، يقول تعالى: " نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ "[2].

وقبل البدء في سرد أحداث هذه القصة، يصف لنا القرآن الكريم العصر الذي وقعت فيه، والشخصيات المهمة في ذلك العصر، ومن أبرز هذه الشخصيات كان فرعون، الذي كان ملكاً على مصر، ويصف الله ﷻ سياسة هذا الملك بقوله تعالى: "إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ "[3].

أي: تكبر وتجبر في أرض مصر، وجعل أهلها فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير، يستضعف بني إسرائيل، وذلك بذبح أبنائهم واستحياء نسائهم، وسمي هذا استضعافًا ; لأنهم عجزوا أو ضعفوا عن دفعه عن أنفسهم، إنه كان من المفسدين[4].

يقول الراغب الأصفهاني معلقاً على هذه الآية:" وفيها حث لنا على تذكر نعمه، ومراعاتها واحدة واحدة، وتجديد الشكر لكل منها "[5].

---

[1] السمرقندي: **بحر العلوم**، ج2، ص597، بتصرف.

[2] سورة القصص: آية 3.

[3] سورة القصص: آية 4.

[4] البغوي: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، ج3، ص521، بتصرف.

[5] الأصفهاني: **تفسير الراغب الأصفهاني**، ج1، ص186.

إذاً هذا هو الواقع الذي بدأت فيه قصة سيدنا موسى عليه السلام ويشاء الله بقدرته أن يحلم هذا الملك في ذات يوم أنّ هناك مولوداً ذكراً سيولد في بني إسرائيل، وأنّ هذا المولود سيكون على يديه نهاية ملك فرعون، فيأمر هذا الأخير بقتل كل مولود ذكر، ويشاء الله بحكمته جلّ شأنه أن يولد موسى في هذا الوقت العصيب، "لقد ولد موسى في ظل تلك الأوضاع القاسية التي رسمها قبل البدء في القصة، ولد والخطر محدق به، والموت يتلفت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه"[1].

وتبدأ معاناة الأم الحنون، فتخاف على وليدها من الذبح، فيوحي لها العليم الحكيم بأن تلقيه في النهر، يقول تعالى: "وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ "[2].

"هذه الآية الكريمة اشتملت على أمرين، ونهيين، وخبريين، وبشارتين، أما الأمران: فقوله:" أَنْ أَرْضِعِيهِ " وقوله "فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ" وأما النهيان: فقوله: "وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ" وأما الخبران: فقوله: " وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ " ، وقوله:" فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ" وأما البشارتان: فقوله: "إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ " فالآية تعد من فصيح القرآن"[3].

وقد ذكر في الآية نوعين من الخوف " فإن خفت عليه" "لا تخافي " أوجب أحدهما، ونهى عن الآخر" أما الأول: فالخوف عليه من القتل؛ لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته، فينمّو عنه، وأما الثاني: فالخوف عليه من الغرق، ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان، وغير ذلك من المخاوف"[4].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، ج5، ص2678.

[2] سورة القصص: آية 7.

[3] السمعاني: **تفسير السمعاني**، ج4، ص123.

[4] الزمخشري: **الكشاف**، ج3، ص393.

وقد فرّق الزمخشري بين الخوف والحزن في هذه الآية بقوله: "الخوف غمٌّ يلحق الإنسان لمتوقع، والحزن غم يلحقه لواقع، وهو فراقه، والإخطار به، فنهيت عنهما جميعاً"[1].

وفي هذه اللحظة الحاسمة التي تتصارع فيها مخاوف الأم العطوفة، والثقة بالله العليم، يظهر الإيمان بالله تعالى، وتتجلى الثقة برحمته، وبأنه العليم الخبير، القادر على كل شيء، هذا الإيمان، وتلك الثقة يدفعان أم موسى لتلقي برضيعها إلى اليمّ، فتضعه في تابوت وتقذف به إلى مياه النهر، التي سارت به إلى عدوه، ونحن نعلم أنه طفل رضيع لا حول له ولا قوة، ولكنها رعاية الله التي تحميه، وتحمله لتصل به إلى عدوه فرعون. والعبرة التي نخرج بها من هذا الموقف هي: التوكل على مهما كانت الظروف، والثقة بالله وحده المنجي من كل كرب ويستنبط الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي الحكمة من هذه الرحلة المثيرة لموسى[2]:

1. إنّ الله يريد إن يمكر بفرعون، ويظهر للناس تعطيل إرادته أمام إرادة الله سبحانه.

2. إنّ الله يريد أن يقدم للمؤمنين دروساً وعبراً ودلالات إيمانية، من خلال هذه الرحلة، حول قدرة الله وتدبيره، ونفاذ إرادته وتحقيق مشيئته، وضعف وعجز من يحاد الله ويحارب المؤمنين، ويؤذي الصالحين، وحول حفظ الله للصالحين، وتدبيره الأمور لتحقيق ذلك.

3. إنّ الله يريد أن يضمن لموسى الوسيلة الناجحة لحمايته من بطش فرعون ومكره، ويريد له أن يعيش في حضن أمه، ويرضع من ثديها بأمان واطمئنان، بل وعلى حساب فرعون ونفقته.

4. إنّ الله يريد أن يكشف لنا عن نماذج خيرة طيبة في بيت فرعون نفسه، وهي زوجته التي أحبت موسى ودافعت عنه، فالبيت الطالح الكافر قد لا يخلو من أناس صالحين طيبين.

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، ج3، ص393.

[2] الخالدي، صلاح عبد الفتاح: **مع قصص السابقين في القرآن**، ص81، دار القلم- دمشق، ط1، 1409هـ-1988م.

5. إنّ الله يريد أن يمتن على موسى، وأن يريه بعض نعمه عليه، ورعايته له، وتحقيقه معجزات في حياته.

وتبدأ مرحلة جديدة من قصة موسى عليه السلام حيث تُلقي مياه النهر به إلى زوجة فرعون، التي يلقي الله –جلت قدرته – محبة هذا الرضيع الوديع في قلبها، لترجو فرعون ببقائه "وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ "[1].

" فهل كان فرعون يعلم أنّ هذا الطفل الذي التقطه سيكون عدواً له ؟! لا، لقد التقطه، وأعطاه حياة الترف، ليكون قرة عين له، وهذا علة الالتقاط، ولكن العاقبة انتهت إلى أن يكون عدواً، ولو كانت العلة هي العداوة لما التقطه، أو لقتله لحظة التقاطه"[2] إنها القدرة الإلهية في حماية رسله وأنبيائه، بل وتسخير أعدائهم لرعايتهم، فهذا موسى يقع في يد عدوه الذي يذبح الأطفال، لكن هذا الطفل بالذات يتكفل فرعون برعايته "وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ "[3].

"وكأن القدر يقول:" يا أيها الملك الجبار، المغرور بكثرة جنوده وسلطة بأسه واتساع سلطانه، قد حكم العظيم الذي لا يغالب ولا يمانع ولا تخالف أقداره، أنّ هذا المولود الذي تحترز منه، وقد قتلت بسببه من النفوس ما لا يعد ولا يحصى، ولا يكون مرباه إلا في دارك، وعلى فراشك ولا يغذى إلا بطعامك وشرابك في منزلك، وأنت الذي تتبناه وتربيه وتتفداه ولا تطلع على سر معناه، ثم يكون هلاكك على يديه، لمخالفتك ما جاء به من الحق المبين، وتكذيبك ما أوحي إليه، لتعلم أنت وسائر الخلق، أنّ رب السماوات والأرض هو الفعال لما يريد، وأنه هو القوي الشديد، ذو البأس العظيم، والحول والقوة والمشيئة التي لا مرد لها "[4].

---

[1] سورة القصص: آية 9.

[2] الشعراوي: **الخواطر**، ج10، ص6169.

[3] سورة يوسف: آية 21.

[4] أبو عزيز: **قصص القرآن دروس وعبر**، ص210.

وبعد أن يلقي الله سبحانه بنبيه موسى إلى فرعون وجنوده، يُنعم عليه بنعم لها دور في حمايته، فيقول:" وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ "[1] يعني: "إني جعلت من رآك أحبك حتى أحبك فرعون، فسلمت من شره، وأحبتك امرأته آسيا بنت مزاحم فتبنتك"[2]. ومعنى" وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِيٓ" أي: " تربى وتغذى بمرأى مني، لا أكِلُك إلى غيري"[3].

ويحين الوقت للوفاء بالوعد، حيث يمتنع موسى عليه السلام عن المراضع، وذلك بأمر من الله عز وجل، لتأتي أخته التي تتبع أثره، وتدلهم على أمه على أنها مرضعة، وبهذا يرده الله سبحانه إلى أمه كما وعدها، وهو أصدق الواعدين، يقول تعالى: "وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ "[4].

" فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ "[5].

ويشب موسى عليه السلام، ويترعرع في قصر فرعون، ويصبح شاباً قوياً. ويمنّ الله عليه مرة أخرى بالنعم، هذه المرة يمنّ عليه بنعمة العلم والحكمة، يقول تعالى: "وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ "[6] فعند بلوغه الأشد وهو " انتهاء قوته وشبابه"[7] منّ الله عليه بالحكمة والعلم.

ويشاء الله بحكمته أن يقع موسى عليه السلام ضحية لغواية الشيطان كما وقع أبوه آدم من قبل، حيث يقول جلّ شأنه متحدثاً عن موسى في هذه اللحظة: " وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ

---

[1] سورة طه: آية 39.

[2] الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي (ت: 370هـ): **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، ج3، ص 290، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ– 1994م.

[3] ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي (ت: 815هـ): **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق: د. ضاحي عبد الباقي محمد، ج1، ص227، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ط1، 1422هـ.

[4] سورة القصص: آية 12.

[5] سورة طه: آية 40.

[6] سورة القصص: آية 14.

[7] الطبري: جامع البيان، ج15، ص23.

"مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ "[1].

يعرض هذا الفصل من قصة سيدنا موسى عليه السلام " قضية قتله ذلك القبطي الذي كان سبب خروجه من الديار المصرية إلى بلاد مدين "[2].

وأحداث هذه القضية واضحة تماماً ومفصلة كما مرَ بالآيات السابقة ومما يلفت الانتباه هنا الشبه الكبير بين ما حدث مع موسى عليه السلام، وما حدث مع آدم عليه السلام فكلاهما وسوس له الشيطان، وكلاهما اخطأ واعترف بذنبه، وندم عليه، واعتبر أنّ ما فعله ظلماً، وكلاهما سارع بطلب المغفرة من الله الغفور الرحيم، وقطع موسى على نفسه وعداً أنه لن يغتر بالقوة والشدة التي أنعمها الله عليه، ولن يكون معيناً للمجرمين.

والعبرة التي تستفاد من هذا الفصل من فصول قصة موسى عليه السلام: أنّ الإنسان يمكن أن يخطىء، حتى الأنبياء، وخير الخطّائين التوّابين، فالمخطىء يعترف بذنبه، ويندم عليه، ويعزم ألا يعود إليه، ويطلب المغفرة من الله الغفور الرحيم. أما الأثر البالغ لهذا الفصل، فهو خروج موسى من وطنه مصر، أرض الظلم والاستبداد، وسيطرة فرعون وجنوده وتسلطهم، واتجاهه إلى مدين.

"ومضى موسى على وجهه، لا يهتدي إلى الطريق، ولا يعرف له وجهة، يتلفت حواليه خشية أن يدركه أحدٌ من قوم فرعون"[3] ويصف الله تعالى حاله في هذه اللحظة في قوله تعالى: "فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ "[4].

هذا هو حال المؤمن الحق، الذي يتوجه في كل خطوة بالدعاء إلى الله عز وجل والرجاء من الله بالهداية، إنه مشهد ينمُّ عن التوكل عليه سبحانه، والثقة بحمايته، والإيمان بقدرته وحكمته، ثمّ

---

[1] سورة القصص: آية 15-17.

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص224.

[3] لماضة: **قصص الأنبياء للأبناء**، ص719.

[4] سورة القصص: آية 21.

الإيمان والتسليم بأنّ هذا قدر الله ﷻ، وهذا يؤدي بالمؤمن إلى الاستسلام والانقياد لأمر الله وقضائه.

وتبدأ أحداث جديدة من قصة موسى ﵇ تختلف في المكان والشخوص، تدور أحداث هذا المشهد في مدين، أما الشخوص فهم: رجل صالح من مدين وابنتيه، إذ يصل موسى ﵇ بعد مسير طويل إلى بئر يسقي منه الرعاة، وبعيداً عنهم يرى امرأتان تنتظران، يقول تعالى واصفاً هذا الموقف: " وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴿٢٤﴾ فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَۖ أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ قَضَيۡتُ فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٞ "[1].

هذه هي القصة كما ذكرها القرآن الكريم مفصلة، ويعمل موسى ثماني حجج في رعي الأغنام، وفي خدمة شعيب، كما اتفق وإياه، والعبرة من هذه القصة أنّ المؤمن لا يغتر بقوته، بل يسخر ما أنعم الله عليه في سبيل الله، وفي منفعة البشرية وخدمتهم. وعبرة أخرى يمكن استنباطها من القصة أهمية خلق الحياء عند المرأة، وأهمية غض البصر للرجل.

وينقضي الأجل، ويفي موسى بعهده ويحين موعد الرحيل، وتفصّل سورة القصص أحداث هذه الرحيل، فيقول تعالى: "فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ"[2].

---

[1] سورة القصص: آية 23-28.

[2] سورة القصص: آية 29.

إنه النداء الرباني، إنها ساعة الاصطفاء، إنها اللحظة الحاسمة التي عاش سيدنا موسى عليه السلام وتربى من أجلها، نداء النبوة الذي سيّر موسى عليه السلام إلى ذلك الوادي، وهو لا يعلم ما الذي ينتظره هناك، يريد ناراً يتدفأ عليها هو وزوجته في هذا الطريق البارد، وعندما يصل الوادي يسمع النداء: " فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ "[1].

إنها ليست ناراً بل نور الله تعالى[2]. إنه الله عز وجل رب المخلوقات جميعها، ماذا يريد؟! فيأتي النداء من الله الكريم قائلاً: "وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ "[3].

فالله عز وجل يخبر موسى أنه قد وقع عليه الاختيار لحمل الرسالة، وتبليغ الدعوة، وأول ما يعلمه إياه هو التوحيد.

وكل رسولٍ لابد أن يؤيده الله سبحانه بمعجزة خارقة تدل على صدقه، وعلى أنه مبعوث من الله عز وجل، ومعجزة موسى عليه السلام كانت العصا، يقول تعالى: " وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ "[4].

إذاً هذه هي معجزات موسى عليه السلام: العصا التي تتحول إلى أفعى مخيفة، ويده التي يضعها في جيبه فتخرج بيضاء للناظرين. إضافة لآيات أُخر أيد الله تعالى بها نبيه موسى عليه السلام.

[1] سورة القصص: آية 30.

[2] الزحيلي، **التفسير الوسيط**، ج3، ص 1914، بتصرف

[3] سورة طه: آية 13-14.

[4] سورة القصص: آية 31-32.

وبعد تعريف موسى عليه السلام بربه، وتأييده بمعجزات لا يقوى البشر على مجاراتها، يكلفه الله تعالى بالتبليغ: "ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ"[1].

إذاً هذا هو التكليف الذي يتطلب الجهد والمشقة، وتحمُّل الصعاب، لذلك يدعو موسى عليه السلام ربه فيقول: "رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرۡ لِيٓ أَمۡرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفۡقَهُواْ قَوۡلِي ﴿٢٨﴾ وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرًا مِّنۡ أَهۡلِي ﴿٢٩﴾ هَٰرُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ ٱشۡدُدۡ بِهِۦٓ أَزۡرِي ﴿٣١﴾ وَأَشۡرِكۡهُ فِيٓ أَمۡرِي"[2].

يقول الزمخشري: "لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي – لعنه الله – عرف أنه كلف أمراً عظيماً، وخطباً جسيماً، يحتاج معه إلى احتمال ما لا يحتمل إلا ذو جأش رابط، وصدر فسيح، فاستوهب ربه أن يشرح له صدره، ويفسح قلبه، ويجعله حليماً حمولاً، يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر، وحسن الثبات، وأن يسهل عليه في الجملة أمره الذي هو خلافة الله في أرضه، وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون، ومقاساة جلائل الخطوب"[3].

ثمّ يطلب موسى عليه السلام من الله عز وجل أن يجعل له معيناً من أهله، أخوه هارون الذي يكبره سناً " فهو يعلم عنه فصاحة لسانه، وثبات الجنان، وهدوء الأعصاب، وكان موسى عليه السلام انفعالياً، حاد الطبع، سريع الانفعال، فطلب إلى ربه أن يعينه بأخيه، يشد أزره، ويقويه، ويتروى معه في الأمر الجليل الذي هو مقدم عليه"[4].

ومن الملفت للنظر قوله تعالى: "فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ"[5] "فهذا أمر من الله عز وجل موجه إلى موسى عليه السلام وهارون عليه السلام بأن يدعوان فرعون باستعمال أسلوب اللين في حوار فرعون، لما في هذا من أثر بالغ في النفس. وهذا درس لكل داعية بإتباع هذا الأسلوب في

[1] سورة النازعات: آية 17-19.
[2] سورة طه: آية 25-32.
[3] الزمخشري: **الكشاف**، ج3، ص60.
[4] قطب: **في ظلال القرآن**، ج4 ص2333.
[5] سورة طه: آية 44.

دعوته، "فعلم بذلك أنّ الأسلوب الحكيم، والطريق المستقيم في الدعوة أن يكون الداعي حكيماً في الدعوة، بصراً بأسلوبها، لا يعجل ولا يعنف، بل يدعو بالحكمة..."[1] خاصة أنّ المدعو هو فرعون " فهو بحاجة إلى أسلوب معيَّن فيه لطف وليونة "[2]. ويتم لموسى عليه السلام ما طلب، ويستجيب الله لدعوته، وتبدأ مرحلة التبليغ، فيذهب إلى فرعون الذي يدّعي الربوبية، ويدعوه إلى توحيد الله رب العالمين، ويُريه آية من آيات الله ومعجزته، فيكذّب ويتولى ويدّعي أنّ ما جاء به موسى إنما هو من باب السحر، ويدعو ملأه؛ ليؤكدوا له أنه لا إلاه غيره، ويتمادى في ظلمه وجبروته، فيطلب من وزيره هامان أن يبني له صرحاً والصرح: "البناء الشاهق المرتفع"[3] ظناً منه أنه سيصل إلى رب السماوات، رب موسى وهارون، " لعلّه فهم من قول موسى رب السماء والأرض، أنه موجود في السماء، لأنّ العظيم القادر على العلو لا ينزل إلى أسفل"[4].

"ولا أظن أنّ فرعون كان من الجهل بدرجة أن يأمل أن ينال السماء ببناء يصعد، ولكنه أراد أن يتغفل القوم الذين معه حتى لا يخامر أنفسهم خلجة في حطه عن عرش الربوبية، فأراد أن يدخل في روعهم أنه من القدرة بحيث يقدر على منازلة كل إلاه، ولو كان في السماء، وأنه على استعداد لمحاربة إله موسى الذي في السماء إذا كان فيها..."[5].

والعبرة في ذلك بيان أنّ المتجبرين الطغاة يكابرون ويرفضون الخضوع للحق رغم إدراكهم بطلان ما هم عليه.

وهكذا تستمر الجولات بين موسى عليه السلام وفرعون، ويستمر الجدال بينهما، ويحشد فرعون سحرته ليوم موعود; لمبارزة موسىعليه السلام، ولكن الله غالب على أمره، فيتغلب رسول الله موسى عليه السلامعلى سحره، ويؤمن بالله تعالى الكثير من بني إسرائيل.

---

[1] ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (ت: 1420هـ): **الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة**، ص28، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض، 1423هـ–2002م.

[2] المطلق، إبراهيم بن عبد الله: **التدرج في دعوة النبي**، ص25، وزارة الشؤون والأوقاف والإرشاد- مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط1، 1417هـ.

[3] طنطاوي: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، ج10، ص408.

[4] النجار: **قصص الأنبياء**، ص257.

[5] **المرجع السابق نفسه.**

والعبرة التي يمكن استنباطها من هذه المبارزة: إن كان الله معك فمن عليك، وإن كان الله عليك فمن معك، بعبارة أخرى كن مع الله ولا تبالي؛ فإنّ الله توعدّ بنصرة أولياءه.

وهنا يستشيط فرعون غضباً لخروج بني إسرائيل عن أمره، وعبادتهم إلاه غيره، ومن هؤلاء الذين آمنوا بدعوة موسى عليه السلام السحرة، الذين توعدهم فرعون بالقتل والصلب، يقول تعالى: " وَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُواْ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٢٤﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ "[1].

هذا الحوار بين السحرة وفرعون، يبين إيمان السحرة بموسى عليه السلام رسولاً، وبدعوته إلى الله رباً، ويبين العقاب الذي رتبه فرعون الظالم لهؤلاء المؤمنين حديثاً، حيث توعدهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، كما توعدهم بالصلب ليكونوا عبرة لكل من يؤمن بهذه الدعوة الربانية الجديدة، لكن هذا كله لم يثنهم عن إيمانهم وعزمهم، بل أسلموا أمرهم لله رب العالمين " إنه الإيمان الذي لا يفزع ولا يتزعزع، كما أنه لا يخضع أو يخنع، الإيمان الذي يطمئن إلى النهاية فيرضاها، ويستيقن من الرجعة إلى ربه فيطمئن إلى جواره"[2].

ولم يكتف فرعون وملأه بالقتل والصلب بل توعد بقتل أبناء المؤمنين، واستحياء نساءهم، فيدعوهم رسولهم للصبر والاستعانة بالله العظيم، ويبشرهم بأنّ هذه أرض لله سبحانه وتعالى يورثها من يشاء من عباده، وأنّ العاقبة لمن يتقي ربه.

وتتوالى الأيام والشهور والسنين، وموسى يدعو إلى ربه، وفرعون يزداد ظلماً وإفساداً واضطهاداً لكل من آمن من قومه، فينزّل الله سبحانه عقابه الأليم، وعذابه الشديد بهؤلاء القوم المعاندين المتكبرين، يقول تعالى واصفاً عقابهم: " وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ

[1] سورة الأعراف: آية 120-126.

[2] قطب: **في ظلال القرآن**، ج3، ص1351.

ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ۖ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ [1]

فبداية عقابهم كانت اختباراً وامتحاناً لهم، أي: إنّ الله ﷻ اختبر قوم فرعون وأتباعه على ما هم عليه من الضلالة بالجدوب سنة بعد سنة، والقحوط، وذهاب ثمارهم وغلاتهم إلا القليل، وهذا كله عظة لهم، وتذكيراً لهم ; لينزجروا عن ضلالتهم ويفزعوا إلى ربهم بالتوبة[2].

فبعد استنفاذ كافة الوسائل الدعوية التي لجأ إليها موسى عليه السلام، أنزل الله سبحانه أصناف العذاب عليهم " شدّد عليهم وطأة القدرة بعدما ضاعف لديهم أسباب النعمة، فلا الوطأة أصلحتهم شدتها، ولا النعمة نبهتهم كثرتها، لا بل إن مسهم يُسر لاحظوه بعين الاستحقاق، وإن مسهم عسر حملوه على التطير بموسى عليه السلام بمقتضى الاغترار"[3].

"وإنما أخذوا بالضراء لأنّ أحوال الشدة تُرق القلوب وترغب فيما عند الله، وفي الرجوع إليه"[4] وتتوالى العقوبات الإلهية على قوم فرعون الجاحد، فيرسل سبحانه عليهم الطوفان، والجراد، والقمل والضفادع والدم تعذيباً لهم، ومع كل هذا يستمروا في تكبرهم وإجرامهم، وحين أيقنوا العذاب طلبوا من موسى عليه السلام أن يدعو ربه أن يكشف العذاب عن بني إسرائيل، مقابل الإيمان وإرسال بني إسرائيل معه، فلما تحقق لهم ما طلبوا إذا هم ينكثون كعادتهم.

وقد خرج الجزائري من هذه الآيات بأمور أهمها:

---

[1] سورة الأعراف: آية 130-136.

[2] الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج13، ص 45، بتصرف.

[3] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج1، ص559.

[4] الزجاج، **معاني القرآن وإعرابه**، ج2، ص368.

1. قد يؤاخذ الله الأفراد أو الجماعات بالذنب المرة بعد المرة لعلهم يتوبون إليه.

2. حرمة خلف الوعد، ونكث العهد، وإنهما من آيات النفاق وعلاماته "[1].

ثمّ تأتي اللحظة الحاسمة، وهي مرحلة الفصل بين الحق والباطل، فينزّل الله سبحانه بهذا القوم المراوغ أشدّ العذاب، وهو الإغراق في البحر، حيث يؤمر موسى ﷺ بالخروج بمن آمن معه من مصر، فيتبعهم فرعون وجنوده، تفصل الآيات هذه اللحظات: "وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ "[2].

هذه نهاية الظلم وإن صال وجال، فلابد له من نهاية، ولابد للحق من أن ينتصر، ولابد لشرع الله أن يسود، ومن حكمة الله ﷻ ظهور جثة فرعون بعد غرقه وموته، ليكون عبرة لكل من تسول له نفسه محاربة دعوة الله، ومعارضة شرعه، يقول تعالى: "فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ۚ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ "[3].

"لا تأكله الأسماك، ولا يذهب منكراً مع التيار لا يعرف للناس، وذلك ليدرك من ورائك من الجماهير كيف كان مصيرك " لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً " يتعظون بها ويعتبرون، ويرون عاقبة التصدي لقوة الله، ووعيده بالتكذيب "وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ" لا يوجهون إليها قلوبهم وعقولهم، ولا يتدبرونها في الآفاق وفي أنفسهم"[4].

---

[1] الجزائري، **أيسر التفاسير**، ج4، ص 646

[2] سورة الشعراء: آية 52-68.

[3] سورة يونس: آية 92.

[4] قطب، **في ظلال القرآن**، ج3، ص1818.

"وهكذا تطوى صفحة من صفحات الظلم في تاريخ البشرية، وللظلم في سفر الحياة صفحات وصفحات، فكم روى التاريخ عن رجال من الإنس نفخ الشيطان في رؤوسهم نفثات الكبر والطاغوت، فخيل إليهم أنهم خلقوا ليأمروا، ويأمرون ليسمعوا، ويسمعون ليطاعوا، حتى إذا دانت لهم الدنيا، وخضعت أمامهم رقاب العباد، يقطفون منها ما يشاؤون سواء كان فجاً أو جنياً، فلا همَّ لهم إلا إزالة العقبات التي تحول بينهم وبين وما يشتهون، وزين لهم الشيطان سوء ما كانوا يعملون وإذا بتلك الصفحة القاتمة تطوى بما فيها فجأة، ثم تضمها أضابير[1] السنين بين دفتيها "[2].

" إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ "[3].

أهم الدروس والعبر والعظات التي تستفاد من قصة موسى عليه السلام[4]:

1. إنّ الابتلاء الذي يصاب به الإنسان في الدنيا ينبغي أن يقابل بالرضا؛ فقد يكون الخير العظيم في هذا الابتلاء. فهذا موسى قد خرج خائفاً من آل فرعون متبعاً نصيحة ذلك الرجل الذي جاءه من أقصى المدينة ناصحاً له بالابتعاد عن مصر؛ لأنّ الملأ يأتمرون به، فهاجر من مصر وكان الخير كله في هجرته؛ فقد وجد أهلاً بأهل وجيراناً بجيران، وأصطفاه ربه على الناس برسالاته وبكلامه وجعله واسطة لإنقاذ قومه من فرعون وآله.

2. إنّ المتوكل على الله المعتَمد عليه في أموره، يقيّض له الله تعالى من ينقذه، ويهيئ له من أمره يسرا؛ كما قيض ذلك الرجل لموسى فكان سبباً لنجاته أولاً، وكان في هذه النجاة أن يخصه الله في وحيه.

---

[1] أضابير: جمع إضبارة، وهي الحزمة من الصحف ضم بعضها إلى بعض، مجمع اللغة العربية بالقاهرة: **المعجم الوسيط**، ج1، ص533، دار الدعوة.

[2] أبو عزيز: **قصص القرآن دروس وعبر**، ص 250-251.

[3] سورة الشعراء: آية 67.

[4] بتصرف، النجار: **قصص الأنبياء**، ص 406-407.

3. إنّ الشخص المتمسك بالحق لا يبالي بمن خالفه ولو كان عظيماً. فهذا موسى قال له فرعون: "إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسۡحُورٗا "[1] فقال له موسى في غير مبالاةٍ به ولا اكتراث لما هو فيه من أبهة الملك، وعز السلطان "لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرۡعَوۡنُ مَثۡبُورٗا "[2] أي: هالكاً. بعد أن حاسنه موسى كل المحاسنة وتلطف به كل التلطف، فلما لم يفد أخشن له القول.

4. إنّ الحق لا يعدم نصيراً. ذلك موسى جاء إلى فرعون لينزله عن عرش الربوبية ويدعوه إلى عبادة الله، فاعتزم قتله وأمر قومه، فقام رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه ينافح عن موسى ويدافع عنه، ويحذر فرعون وآله بطش الله ضارباً الأمثال بالأمم الخالية غير مبالٍ بمخالفة فرعون.

5. إنّ لذة الإيمان إذا تذوقها الإنسان ملكت عليه مشاعره، واستهان في سبيلها بكل العقاب. لذلك آمن السحرة بموسى وإلاهه، غير مبالين بفرعون وما أعد لهم من عذاب.

6. إنّ الصبر على البلوى حميد العاقبة. فهؤلاء بنو إسرائيل ابتلو فصبروا على الإهانة والذل والتسخير وتقتيل الأبناء واستحياء النساء إلى أن أعقبهم الله الحسنى كما قال "وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلۡحُسۡنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَـٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْ "[3].

المطلب الثالث: قصة أصحاب الجنة:

من القصص التي ذكرها الله ﷻ في كتابه العزيز قصة أصحاب الجنة، وقد ورد ذكرها مرة واحدة فقط في سورة القلم، قصة قصيرة لكنها متعددة العبر والفوائد، فقد جاءت هذه القصة موجزة "على عادة القرآن في إيجاز حكاية القصص بالاقتصار على موضع العبرة منها"[4]. ملخص القصة كما وردت في القرآن الكريم: " إِنَّا بَلَوۡنَـٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَـٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ ﴿١٧﴾

[1] سورة الإسراء: آية 101.
[2] سورة الإسراء: آية 102.
[3] سورة الأعراف: آية 137.
[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج29، ص78.

وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ اغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَارِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَانطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَافَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَادِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَاوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ الْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ "[1].

تنقل الآيات السابقة لنا قصة مجموعة من الأخوة كانوا يمتلكون جنة، والجنة هنا " بمعنى بستان كان في اليمن"[2] أجمعوا أمرهم على منع حق الله تعالى فيما أنعم عليهم من خيرات، فأصروا فيما بينهم على حرمان الفقراء والمساكين مما تنتجه جنتهم من ثمار، وعزموا على الذهاب في الصباح الباكر لقطف ثمار الجنة، قبل أن ينتبه لهم أحد من الناس، لم يتوكلوا على الله، ولم يقولوا إن شاء الله، "وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۖ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ "[3]. ويشاء الله سبحانه أن يعاقبهم على نواياهم السيئة، فيرسل إلى البستان طائف، أي: "نزل عليها بلاء، قيل: أنزل الله تعالى عليها ناراً فأحرقتها"[4] نعم أحرقت جنتهم وهم في حالة سبات عميق، نائمون لا يدرون ما حل ببستانهم، لقد أصبح كالليل الأسود.

يستيقظ الأخوة في الصباح الباكر ليمضوا إلى تنفيذ ما بيتوا الليلة الماضية، ينادون على بعضهم، أن أسرعوا إلى جنتكم، لجني ثمارها قبل أن يستيقظ المساكين، ويمضوا إلى بستانهم بكل خفة وسرعة، لكن المفاجأة الكبرى كانت بانتظارهم، ويتفاجئون بجنتهم كيف أصبحت رماداً، فينكرونها من هول المفاجأة، ويعتقدوا أنهم قد ضلوا الطريق، وبعد أن تأكدوا من أنّ هذه التي أمامهم هي جنتهم ذاتها، أيقنوا أنّ هذا عقاب الله سبحانه الذي يعلم ما في الصدور. لقد علم نيتهم فجزاهم بمثلها، عندها اعترفوا بذنبهم وقالوا: "بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ " وهنا يتدخل الأخ الأوسط لائماً

---

[1] سورة القلم: آية 17-33.

[2] الفيروز آبادي، **بصائر ذوي التمييز لطائف الكتاب العزيز**، ج2، ص352.

[3] سورة الأنفال: آية 30.

[4] النسفي: **مدارك التنزيل وحقائق التاويل**، ج3، ص521.

" أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ لَوۡلَا تُسَبِّحُونَ " عندها فقط يسترجع الأخوة أنفسهم، ويعترفوا بخطئهم، ويقروا على أنفسهم الظلم" قَالُواْ سُبۡحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ " لقد ندموا، وطلبوا من الله المغفرة، وتعويضهم عن جنتهم خيراً.

* أسباب نزول هذه الآيات:

"أخرج ابن أبي حاتم عن ابن جريح أن أبا جهل قال يوم بدر: خذوهم أخذاً، فاربطوهم في الحبال، ولا تقتلوا منهم أحداً، فنزلت " إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ "[1].

* مناسبة الآيات:

"بعد أن ذكر الله تعالى عن الوليد بن المغيرة، أو غيره أنه لأجل كونه ذا مال وبنين جحد وكفر، وعصى، وتمرد، بطريق الاستفهام على سبيل الإنكار، بيّن في هذه الآية أنه تعالى إنما أعطاه المال والبنين على سبيل الابتلاء والامتحان، ليعرف هل يصرفه في طاعة الله، ويشكر نعم الله فيزيده من النعمة، أم يكفر بها فيقطعها عنه، ويصبّ عليه أنواع البلاء والآفات؟ ومثله في هذا ومثل أهل مكة، كمثل أصحاب الجنة ذات الثمار، كلفوا أن يشكروا النعم، ويعطوا الفقراء حقوقهم، فلما جحدوا النعمة، حرموا المساكين، حرمهم الله الثمار كلها "[2].

وقد سيقت هذه القصة لتكون مثالاً وعبرة لكل من لا يؤدي حق الله تعالى فيما أنعم عليه، وهي موجهة لأهل مكة خاصة، الذين أعطاهم الله أموالاً ليشكروا، لا ليبطروا، فلما بطروا وعادوا محمداًﷺ ابتلاهم الله تعالى بالجوع والقحط شأنهم شأن أهل الجنة التي يعلمون خبرها[3].

والبلوى هنا بمعنى:" الاختبار، وهي هنا تمثيل بحال المبتلي في إرخاء الحبل له بالنعمة ليشكر أو يكفر، فالبلوى المذكورة هنا بلوى بالخير، فإنّ الله أمدَّ أهل مكة بنعمة الأمن، ونعمة الرزق، وجعل الرزق يأتيهم من كل جهة، ويسَّر لهم سبل التجارة في الآفاق، بنعمة الإيلاف برحلة الشتاء ورحلة الصيف، فلما أكمل لهم النعمة بإرسال رسول منهم، ليكمل لهم صلاح

---

[1] السيوطي: **لباب النقول في أسباب النزول**، ج1، ص219.

[2] الزحيلي: **التفسير المنير**، ج29، ص 57-58.

[3] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج18، ص239.

أحوالهم، ويهديهم إلى ما فيه النعيم الدائم، فدعاهم وذكرهم بنعم الله، أعرضوا وطغوا، ولم يتوجهوا إلى النظر في النعم السالفة، ولا في النعمة الكاملة التي أكملت لهم النعم. ووجه المشابهة بين حالهم وحال أصحاب الجنة المذكورة هنا هو الإعراض عن طلب مرضاة الله وعن شكر نعمته.

وهذا التمثيل تعريض بالتهديد بأن يلحقهم ما لحق أصحاب الجنة من البؤس بعد النعيم والقحط بعد الخصب، وإن اختلف السبب في نوعه فقد اتحد جنسه"[1]. وقد تكون هذه القصة " مثلاً ضربه الله تعالى لكفار قريش فيما أهدى إليهم من الرحمة العظيمة، وأعطاهم من النعمة الجسيمة، وهو بعثة محمد ﷺ إليهم فقابلوه بالتكذيب والرد والمحاربة "[2].

فهذه القصة قد تكون متداولة ومعروفة لدى أهل مكة ولكن السياق القرآني يكشف عما وراء حوادثها من فعل الله وقدرته، ومن ابتلاء، وجزاء لبعض عباده، ويكون هذا هو الجديد في سياقها القرآني[3].

*أهم الصور البيانية في هذه الآيات:

1. صورة من سيطر عليهم الشح فذاقوا عاقبته، ثم تنادوا بالتوبة والتلاوم.
2. صورة الطمع المتغلغل في النفس، الذي ينسيها كل شيء ما عدا ما تطمع به النفس.
3. صورة الحرص ومنع الخير في أعنف صورة نفسية.
4. تصوير المفاجأة وأثرها في تنبيه الغافل، وإيقاظها للضمير النائم، وإثارتها للوجدان الساهي[4].

---

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، ج29، ص78.

[2] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، ج6، ص407.

[3] قطب: **في ظلال القرآن**، ج6، ص 3664، بتصرف.

[4] أبوعزيز: **قصص القرآن دروس وعبر**، ص 430، بتصرف.

أهم الدروس والعبر المستفادة من هذه القصة:

1. إنّ أصحاب الجنة لما أتوا بهذا القدر اليسير من المعصية، دمّر الله جنتهم، فكيف يكون الحال في حق من عاند الرسول، وأصرّ على الكفر والمعصية، ومنع الزكاة طوال عمره.

2. إن مواساة الفقير وإعطاء المسكين من مال الله الذي عندك، حصن حصين، ودرع واقي من الآفات والبلاء، فالبلاء لا يتخطى الصدقة.

3. لا يحيق المكر السيء إلا بأهله[1].

4. وفي هذه القصة " دليل على أنّ الله تعالى لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، وأن الأقدار تحت سلطانه، ويجريها كما يحب وكما يشاء"[2].

5. في هذه القصة القرآنية ما يؤكد حديث رسول الله ﷺ الذي يقول فيه: "إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىءٍ ما نوى"[3] فأصحاب الجنة عزموا النية على حرمان الفقراء والمساكين حقهم في نعم الله، فكان جزاؤهم الحرمان من خيرات البستان، وذلك بإحراقه وما فيه.

---

[1] أبو زهرى، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد، (ت: 1394هـ): **المعجزة الكبرى القرآن**، ص101-103، دار الفكر العربي، بتصرف.

[2] **المرجع السابق**، ص261.

[3] البخاري: **صحيح البخاري**، باب بدء الوحي، ج1، ص6.

المبحث الثالث: الاعتبار بأمثال القرآن الكريم:

من الأساليب المستخدمة في القرآن الكريم ضرب المثل، وهو:" إبراز المعنى في صورة رائعة وموجزة لها وقعها في النفس، سواء أكانت تشبيهاً، أم قولاً مرسلاً"[1].

وقد عرّف الكفوي المثل بأنه(2): اسم لنوع من الكلام، وهو ما تراضاه العامة والخاصة لتعريف الشيء بغير ما وضع له من اللفظ، يستعمل في السراء والضراء، ويستعار لفظ المثل للحال، كقوله تعالى: " مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ " (3) أي: حالهم العجيبة، وقوله تعالى: "مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ ۖ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ "[4] أي: قصصنا عليك من العجائب، ومن العجائب قصة الجنة العجيبة، وقوله تعالى: " لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ "[5] أي الصفة العجيبة وهو أبلغ من الحكمة... وقد يأتي المثل" بالكسر" بمعنى النفس، كما في قوله تعالى: "فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ "[6].

وقد استخدم أسلوب ضرب المثل في القرآن الكريم في أكثر من موضع " يضرب الأمثال بالتشبيهات لتقريب الحقائق، وتوضيح الأدلة بما يقربها"[7].

"وضرب المثل إيراده، وعبر عن إيراده بالضرب، لشدة ما يحدث عنه من التأثير في نفس السامع"[8].

---

[1] القطان: **مباحث علوم القرآن**، ص292.

[2] الكفوي: **الكليات**، ص851، بتصرف.

[3] سورة البقرة: آية 17.

[4] سورة الرعد: آية 35.

[5] سورة النحل: آية 60.

[6] سورة البقرة: آية 173.

[7] أبو زهرة،: **المعجزة الكبرى القرآن**، ص188.

[8] طنطاوي: **التفسير الوسيط**، ج1، ص83.

أما الحكمة التي من أجلها استخدم هذا الأسلوب، فقد " بين سبحانه وتعالى أنه ضرب للناس أمثالهم التي يتعرفون بها على الهدى والضلال، والخير والشر، والحق والباطل، وما آل إليه أهلها من العواقب الحميدة، أو النهايات السيئة الوخيمة "[1].

يقول تعالى: "ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ "[2].

وتصرح الآيات القرآنية بحكم عديدة لأسلوب ضرب المثل أهمها:

1. التفكير: يقول تعالى: "لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ "[3].

2. التذكر: يقول تعالى: "تُؤۡتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذۡنِ رَبِّهَاۗ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ "[4].

3. "اختبار القلوب وامتحان النفوس"[5] يقول تعالى: "إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ "[6].

---

[1] الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن: **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**،ج1، ص15، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية– المدينة المنورة، ط1، 1424هـ–2003م.

[2] سورة محمد: آية 3.

[3] سورة الحشر: آية 21.

[4] سورة إبراهيم: آية 25.

[5] قطب، **في ظلال القرآن**، ج1، ص50

[6] سورة البقرة: آية 26.

4. الرد على شبهات الإنسان الذي يكثر من الجدال بغير حق، وإثبات قدرة الله تعالى، يقول عزّ وجل: "وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا "[1].

أي: "رددنا وكثرنا تصريف الأمثال بعبارات مختلفة، وأساليب متنوعة في هذا القرآن للناس، ليهتدوا إلى الحق ويتعظوا، فعارضوا بالجدل والخصومة"[2].

وهذه الأمثال المضروبة في القرآن الكريم لا يدرك الحكمة منها إلا كل ذي علم، وقد صرح الله عزّ وجل بذلك في قوله تعالى: " وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ "[3].

المطلب الأول: ضرب المثل بالبعوضة:

يقول جلّ ثناؤه في محكم آياته: "إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ "[4].

* سبب نزول الآية الكريمة:

"لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه، وضرب للمشركين به المثل، ضحكت اليهود وقالوا: ما يشبه هذا كلام الله، فأنزل الله هذه الآية "[5].

إذاً فقد نزلت هذه الآية لترد على المشركين وغيرهم ممن ينكر على الله سبحانه أن يضرب المثل بأبسط المخلوقات وأصغرها، بل وأنكروا أن يكون هذا القرآن من عند الله تعالى، فهذه المخلوقات وإن كانت صغيرة وبسيطة في نظرهم، إلا أنها تحتاج إلى دقة بالغة لخلقها

---

[1] سورة الكهف: آية 54.

[2] الشنقيطي: **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، ج3، ص299.

[3] سورة العنكبوت: آية 43.

[4] سورة البقرة: آية 26.

[5] الواحدي: **أسباب النزول**، ج2، ص23.

"فالمولى سبحانه لا يرى من النقص أن يضرب مثلاً بالبعوضة أو بأصغر منها حجماً، فالمثل حق يدعو إلى حق، يعترف به المؤمنون، فيزيدهم تمسكاً بإيمانهم، وينكره المارقون الجاحدون، فيزيدهم غواية على غوايتهم"[1].

وفي قوله تعالى: "مَثَلًا مَّا" ما هنا الابهامية، تجيء بعد النكرة، فتزيدها شيوعاً وعموماً... والبعوضة واحدة البعوض، وهي حشرة صغيرة تطلق على الناموس، وهي بدل أو بيان من قوله:

"مثلاً"، وقوله "فَمَا فَوْقَهَا" عطف على بعوضة، والمراد فما فوقها في الحجم كالذباب، والعنكبوت، والكلب والحمار، أو فما فوقها في المعنى الذي وقع التمثيل فيه وهو الصغر والحقارة، كجناحيها أو كالذرة[2].

وبعد تقدم العلم في العصر الحديث، وظهور الاكتشافات الحديثة التي كشفت عن حقائق علمية دقيقة تتعلق بالمخلوقات الصغيرة والدقيقة، ويمكن القول: إنّ الله عزّ وجل لم يضرب المثل بهذه الحشرة الصغيرة عبثاً، فقد كشف العلم الحديث إبداع الخالق، ودقة صنعه، ودليل قدرته وعظمته في خلق هذه الحشرة الدقيقة الصنع، مما يدعو للوقوف بكل إجلال وإكبار أمام عظمة الخالق، ودقيق صنعه، وهذا مما جهله السابقون في العصور الأولى، لذا فإنّ هذا المثل دعاهم للسخرية بدلاً من التفكر والاعتبار، فالله عزّ وجل "لا يستحي أن يضرب مثلاً بالصغير والكبير إذا كان في ضربه بالصغير من الحكمة ما في ضربه بالكبير"[3].

وفيما يلي بعض الحقائق العلمية التي اكتشفها العلماء في العصر الحديث، والتي تتعلق بخلق البعوضة، بما فيها من إبداع وإعجاز يتحدى به كل جاحد ومنكر:

---

[1] ابن الشريف، محمود: **الأمثال في القرآن**، ص11، دار المعارف- مصر.

[2] طنطاوي. **التفسير الوسيط**، ج2، ص83، بتصرف.

[3] القيرواني، علي بن فضال بن علي بن غالب (ت: 479هـ): **النكت في القرآن الكريم**، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، ص117، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1428هـ- 2007م.

إنّ هذه البعوضة رغم حجمها الدقيق، فقد وضع الله سبحانه وتعالى كل الأجهزة اللازمة لها في حياتها، فلها عينان، ولها خرطوم دقيق جداً، ولكنه يستطيع أن يخرق جلد الإنسان، ويخرج الأوعية الدموية التي تحت الجلد ليمتص دم الإنسان، والبعوضة لها أرجل، ولها أجنحة، ولها دورة تناسلية، ولها كل ما يلزم لحياتها، كل هذا في هذا الحجم الدقيق، وكلما دق الشيء احتاج إلى دقة خلق أكبر.. لكن الكفار لم يأخذوا المعنى على هذا النحو وإنما أخذوه بالمعنى الدنيوي البسيط الذي لا يمثل الحقيقة[1].

ومن الإبداعات الإلهية في خلق البعوضة أنه يوجد في رأسها مئة عين مرتبة على شكل خلية النحل، وفي فمها ثمانٍ وأربعون سناً، وفي صدرها ثلاثة قلوب: قلب مركزي، وقلب لكل جناح، وفي كل قلب أذينان، وبطينان، ودسّامان، وهي تملك جهاز رادار أو مستقبلات حرارية، وتملك جهازاً لتحليل الدم، فليس كل دماء يناسبها، وتملك جهازاً للتخدير، تخدر به موضع لسعها، وتملك البعوضة أيضاً جهازاً لتمييع الدم الذي تمتصه من جسم الإنسان، وفي أرجل البعوضة مخالب إذا أرادت أن تقف على سطح خشن، ولها محاجم إذا أرادت أن تقف على سطح أملس[2].

وتعتبر هذه الحشرة شديدة الخطر رغم صغرها ودقتها، ومع ضآلة حجم البعوضة فإنها تمثل خطراً لا يستهان به على صحة كل من الإنسان والحيوان، فالبعوض الأنثى التي تتغذى على دماء كل من الإنسان، وعلى دماء غيره من الحيوانات ذوات الدم الحار تصبح وسيلة خطرة لنقل العديد مسببات الأمراض من مثل: الفيروسات، البكتيريا، الفطريات وغيرها ... من الكائنات الحية الدقيقة التي تصيب كلاً من الإنسان والحيوان، ومن الأمراض التي تنقلها البعوضة: الملاريا، ... والالتهاب السحائي، ... وأمراض ضعف المناعة ومنها: الإيدز، ومن أخطر ما تحمله البعوضة فيروسات تغزو الجهاز العصبي للإنسان، مما قد يصيبه بعدد من

---

[1] الشعراوي: **الخواطر**، ج1، ص211، بتصرف.

[2] النابلسي: **موسوعة الأعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق**، ص405- ص406، بتصرف.

الأمراض فائقة الخطورة من مثل مرض التهاب الدماغ، والسحايا، ومرض التهاب الدماغ والنخاع[1].

بعد مطالعة هذه الاكتشافات العلمية المتعلقة بخلق البعوضة، هذه الحشرة الضئيلة الحجم، الدقيقة الخلق، يمكن الاستنتاج أنّ الله سبحانه وجلت قدرته على حق حين تحدى المشركين والكفار بهذه الحشرة، وإن جهل هؤلاء الحكمة من وراء هذا التحدي في ذلك العصر، ولا زال تحدي الله عزّ وجل قائماً إلى يومنا هذا، فبعد ظهور المجاهر، بأنواعها اكتشف العلماء كائنات حية دقيقة جداً لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، بل إن بعضها لا يرى بالمجاهر العادية وإنما يحتاج إلى مجاهر إلكترونية دقيقة، هذه الكائنات الدقيقة لها حياتها الخاصة، فمنها ما يعيش في الماء، ومنها ما يعيش في الهواء، ومنها ما يعيش في التربة. فهي تنتشر في جميع نواحي الحياة، ولهذه الكائنات فوائدها ومضارها بالنسبة للإنسان والحيوان والبيئة. وفي خلق هذه الكائنات إعجاز وحكمة وتحدي للبشرية جمعاء، وهذا التحدي لازال قائماً إلى أن تقوم الساعة " هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ "[2].

المطلب الثاني: ضرب المثل بالعنكبوت:

يقول عزّ وجل في محكم التنزيل: "مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ "[3].

العنكبوت حشرة صغيرة ومألوفة نراها كثيراً في حياتنا، فنمر عليها -غالباً- مر الكرام، دون أن نفكر حتى في الحكمة من خلقها. هذه الحشرة الصغيرة التي تحمل سورة قرآنية اسمها،

---

1 النجار، زغلول: **تفسير الآيات الكونية في القرآن**، ج1، ص82، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م، بتصرف.

2 سورة لقمان: آية 11.

3 سورة العنكبوت: آية 41-43.

ويضرب الله بها المثل في القرآن الكريم، وذلك لدعوة الإنسان للتوقف والبحث والتفكر في السر الإلهي في ضرب المثل بها مما يستدعي البشر أن يقفوا وقفة تأمل ونظر واعتبار، وبقي الأمر غائباً عن إدراك كنه التمثيل بالعنكبوت حتى جاء العلم الحديث الذي كشف لنا عن أسرار الإعجاز العلمي في خلق هذه الحشرة، ويكشف الكثير من الحقائق التي تتعلق بوجودها.

ومما قاله المفسرون القدماء في تفسيرهم لهذه الآيات:

أنها ضربت مثلاً لكل من يعبد غير الله عزّ وجل، فعبادته واهنة كوهن العنكبوت، يقول السمعاني: "وإنما مثّل عبادة الأصنام ببيت العنكبوت ;لأن بيت العنكبوت لا يقي حراً ولا برداً، كذلك عبادة الأصنام لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً"[1].

ويعتبر هذا المثل "من أحسن الأمثال وأدلها على بطلان الشرك، وخسارة صاحبه، وحصوله على ضد مقصوده "[2].

أما قوله تعالى: " لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ " فقد يفهم منها أنه سبحانه ينفي عن هؤلاء علمهم بأن بيت العنكبوت هو أوهن البيوت.

والجواب: "إنه سبحانه لم ينف عنهم علمهم بوهن بيت العنكبوت، وإنما نفى علمهم بأن اتخاذهم أولياء من دونه، كالعنكبوت اتخذت بيتاً، فلو علموا ذلك ما فعلوه، ولكن ظنوا أنّ اتخاذهم الأولياء من دونه يفيدهم عزاً وقوةً، فكان الأمر بخلاف ما ظنوا"[3].

وقوله تعالى: " وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ" أي: إن هذه الأمثال نضربها للناس لأجل إيقاظهم وتبصيرهم وهدايتهم... وما يدرك مغزاها، وما تهدف إليه

[1] السمعاني: **تفسير السمعاني**، ج4، ص182.

[2] ابن القيم: **الأمثال في القرآن الكريم**، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، ص14، مكتبة الصحابة – مصر، ط1، 1406هـ-1986م.

[3] **المرجع السابق**، ص14.

من التنفير من الشرك العائق عن كل كمال، وإسعاد في الدارين "إلا العالمون" أي بالله وشرائعه وأسرار كلامه، وما تهدي إليه الآيات[1].

وذلك أن "الكل يشتركون في سماع الأمثال، لكن لا يصغي مَن كان نَفورُ القلب، كَنُودُ الحال، متعوداً الكسل، معرجاً في أوطان الفشل"[2].

ونجد في هذا المثل نوع من التشبيه، حيث شبه الذين يتخذون أولياء من دون الله ببيت العنكبوت، ووجه الشبه الضعف.

ويبين الزمخشري الغرض من هذا الشبه " ما اتخذوه متكلاً ومعتمداً في دينهم، وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن، وضعف القوة، وهو نسيج العنكبوت"[3].

فكما أنّ بيت العنكبوت لا يقي حراً ولا برداً، ولا يقدر على الصمود في مهب الرياح، فكذا معبوداتهم من الأصنام وغيرها، وكذا أولياؤهم، لا يملكون لهم ضراً ولا نفعاً، ولا يدفعون أذىً ولا يجلبوا مصلحة.

ويتحدث سيد قطب عن جمال التصوير في هذه الآية، فيقول: إنه تصوير عجيب صادق لحقيقة القوى في هذا الوجود، الحقيقة التي يغفل عنها الناس أحياناً، فيسوء تقديرهم لجميع القيم، ويفسد تصورهم لجميع الارتباطات، وتختل في أيديهم جميع الموازين، ولا يعرفون إلى أين يتوجهون، ماذا يأخذون وماذا يدعون؟ عندئذٍ تخدعهم قوة الحكم والسلطان، يحسبونها القوة القادرة التي تعمل في هذه الأرض، فيتوجهون إليها بمخاوفهم ورغائبهم، ويخشونها ويفزعون منها، ويترضونها ليكفوا عن أنفسهم أذاها أو يضمنوا لأنفسهم حماها! تخدعهم قوة المال، يحسبونها المسيطرة على أقدار الناس، وأقدار الحياة، ويتقدمون إليها في رغب وفي رهب، ويسعون للحصول عليها ليستطيلوا بها ويتسلطوا على الرقاب كما يحسبون، وتخدعهم قوة العلم

---

[1] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، ج4، ص831.

[2] القشيري: **لطائف الإشارات**، ج3، ص98.

[3] الزمخشري: **الكشاف**، ج3، ص 455.

يحسبونها أصل القوة وأصل المال، وأصل سائر القوى التي يصول بها من يملكها ويجول، ويتقدمون إليها خاشعين كأنهم عبّاد في المحاريب، وتخدعهم هذه القوى الظاهرة...فيدورون حولها، ويتهافتون عليها...وينسون القوة الوحيدة التي تخلق سائر القوى الصغيرة، وتملكها، وتمنحها، وتوجهها وتسخرها كما تريد، وينسون أنّ الالتجاء إلى تلك القوى سواء كانت في أيدي الأفراد أو الجماعات، أو الدول كالتجاء العنكبوت إلى بيت العنكبوت[1].

" إنّ الإعجاز العلمي كل الإعجاز في هذه الآية الكريمة يتجلى بأجلى معانيه في لفظة (اتخذت) بصيغة الفعل المؤنث وهى إشارة علمية في غاية الروعة والدقة للدلالة على أن ما يقوم ببناء بيوت العناكب هي الأنثى منه، وأن الذكر من العناكب لا شأن له بذلك، وهذه حقيقة ما كان أحد مطلقا يفطن إليها"[2].

وفيما يلي بعض الحقائق العلمية التي توصل إليها العلماء في العصر الحديث والتي تتعلق بالعنكبوت:

1. ينقسم جسم العنكبوت إلى مقدمة يلتحم فيها الرأس مع الصدر، ومؤخرة غير مقسمة تشمل البطن وتحمل المقدمة أربعة أزواج من الأقدام، وزوجين من اللوامس، وزوجاً من القرون الكلابية على هيئة الكماشة، أو المخالب التي تحتوي على غدد السم، ويفصل مقدمة الجسم عن مؤخرته خصر نحيل، وللعنكبوت عيون بسيطة يصل عددها إلى الثماني... وهو حيوان مفترس يعيش على أكل الحشرات وله جلد سميك مغطى بالشعر[3].

2. يوجد في جسم العنكبوت غدد لها وظائف عدة، فمن هذه الوظائف: أنها تفرز خيوطاً رقيقة ناعمة متعددو الأشكال، مختلفة الأنواع، فتفرز حريراً ناعماً تخصصه لحفظ بيضها على هيئة كيس، كما تفرز نوعاً آخر لزجاً تصيد به الفريسة، وتوقعها في الفخ،

---

[1] انظر، قطب: **في ظلال القرآن**، ج5، ص2736.

[2] إبراهيم، محمد إسماعيل: **القرآن وإعجازه العلمي**، ص157، دار الفكر العربي.

[3] النجار: **تفسير الآيات الكونية في القرآن**، ج2، ص415، بتصرف.

كما تفرز نوعاً آخر من الحرير أشدّ خشونة، وأكثر قوة، لتحكم به رباط فريستها وتشل حركتها[1].

3. "أرجل العنكبوت لا تقتصر وظيفتها على النسيج فقط، ولكنها إلى جانب ذلك مزودة بأمشاط تعمل على حفظ الخيوط ناعمة ومنسقة"[2].

4. "إنّ بيت العنكبوت من الناحية المعنوية هو أوهن بيت على الإطلاق لأنه بيت محروم من معاني المودة والرحمة التي يقوم على أساسها كل بيت سعيد، وذلك لأنّ الأنثى في بعض أنواع العنكبوت تقضي على ذكرها بمجرد إتمام عملية الإخصاب، وذلك بقتله وافتراس جسده، لأنها أكبر حجماً، وأكثر شراسة منه، وفي بعض الحالات تلتهم الأنثى صغارها دون أدنى رحمة"[3].

5. والحقيقة العلمية التي تستنبط من الآيات الكريمة "إنّ أوهن البيوت بيت العنكبوت وليس خيوط العنكبوت; لأن خيط العنكبوت –كما هو معروف علمياً– أقوى من مثيله طولاً وقطراً من الصلب الحديد أربع مرات"[4].

6. "ومن العجيب أنها عندما تريد مغادرة بيتها، فإنها تقوم بغزل خيط حريري تلغرافي يوصل البيت بجسمها، فإذا ما اصطدمت حشرة بالبيت، فإنّ اهتزاز السلك التلغرافي يصل لجسمها، فتعدو مسرعة إلى بيتها; لتربط الفريسة بخيوطها وتحقنها بكمية مناسبة من السم لتخديرها وامتصاص دمها ببطء"[5].

---

[1] عبد الله: **عالم الحيوان بين العلم والقرآن**، ص35، بتصرف.

[2] الفندي، **الله والكون**، ص366.

[3] النجار: **تفسير الآيات الكونية في القرآن الكريم**، ج2، ص418.

[4] علي: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، ص223.

[5] عبد الله: **عالم الحيوان بين العلم والقرآن**، ص38.

ومما يجدر التنبيه عليه أنّ هذا المثل يستفيد منه المؤمن وذلك بإخلاص التوجه والولاء لله وحده دون غيره، فالمؤمن الذي يتخذ أولياء يلتجأ إليهم من دون الله، ويثق بهم، ويعتقد أنّ بيدهم الضر والنفع، فهو كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً.

كما أنّ هذا المثل يصلح لكل بيت تعمه الفوضى، ويفتقد إلى القوة في العلاقات فيما بين أفراده، ففي هذا البيت لا يعطف الكبير على الصغير، ولا يعرف الصغير حق الكبير، فلا مودة ولا رحمة ولا نظام.

وقد شبه الإمام علي بن أبي طالب فناء الدنيا ببيت العنكبوت، فأنشد يقول:

إنما الدنيا فناء ليس للدنيا ثبوت

إنما الدنيا كبيت نسجته العنكبوت

ولقد يكفيك منها أيها الطالب قوت

ولعمري عن قليل كل من فيها يموت[1].

المطلب الثالث: مثل الحق والباطل:

يقول تعالى: " أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتۡ أَوۡدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحۡتَمَلَ ٱلسَّيۡلُ زَبَدًا رَّابِيًاۖ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيۡهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبۡتِغَآءَ حِلۡيَةٍ أَوۡ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثۡلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ وَٱلۡبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَالَ "[2].

يعد هذا المثل من أروع الأمثلة وأجملها؛ لأنه يبدأ وكأنه ليس مثلاً، وإنما هو امتداد للسياق في الآية السابقة، فيحس القارىء أنه استمرار للحديث عن قدرة الله، وكما يرد في كثير من آيات القرآن، خلق كل شيء، وأنزل من السماء ماءً أو يحس أنها قصة واقعية حدثت ذات

---

[1] ابن أبي طالب، علي: **ديوان علي بن أبي طالب**، ج1، ص65.

[2] سورة الرعد: آية 17.

يوم في بقعة معينة من الأرض: أنزل من السماء ماءً فاحتمل السيل زبداً رابياً، ولكنه حين يقول: "وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ " يبدأ القارىء يحس أنها ليست قصة واقعية تروى، فالأولى مشتركة مع الثانية في وجود الزبد، وفجأة يقال: أنه مثل يضرب! "كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ" إنه من ذات الخيط الذي نسجت منه الآية السابقة "قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ "[1] يبدأ ينسج الصورة الجديدة دون أن يشعرك في مبدأ الأمر أنه نسيج جديد حتى تفاجأ بالصورة بعد اكتمالها، فإذا هي حقاً قائمة بذاتها، ولكن الخيط الذي نسجها يظل متصلاً بما قبله دون انقطاع[2].

وقد فسر أهل العلم هذا المثل بتفسيرات عدّة أبرزها:

1. القرآن الكريم:

يقول الفراء عند تفسيره لقوله تعالى: " أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا": " ضربه مثلاً للقرآن إذا نزل عليهم لقوله: (فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا) يقول قبلته القلوب بأقدارها وأهوائها"، وقوله "فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا" يذهب لا منفعة له، كذلك ما سكن في قلب من لم يؤمن، وعبد آلهته. وصار لا شيء في يده " وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ " فهذا مثل المؤمن"[3].

2. الحق والباطل:

"الباطل وإن ظهر على الحق في بعض الأحوال وعلاه فإنّ الله سيمحقه ويبطله، ويجعل العاقبة للحق وأهله، ومثل ذلك مطر جود أسال الأودية بقدرها، الكبير على قدره، والصغير على قدره، وقوله: "فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا" أي: عالياً على الماء، كما يعلو الباطل تارةً على الحق، ومن جواهر الأرض التي تدخل الكير، ويوقد عليها، يعني الذهب والفضة للحلية، والشبه، والحديد للآلة، حيث يعلوها مثل زبد الماء "فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً" أي: يلقيه الماء عنه فيتعلق

---

[1] سورة الرعد: آية 16.

[2] قطب، محمد: **دراسات قرآنية**، ص 170، بتصرف.

[3] الفراء: **معاني القرآن**، ج2، ص61-62.

بأصول الشجر، وبجنبات الوادي، وكذلك خبث الفلز يقذفه الكير، فهذا مثل الباطل، وأما الماء الذي ينفع الناس، وينبت المرعى فيمكث في الأرض، وكذلك الصفو من الفلز يبقى خالصاً لا شوب فيه، فهو مثل الحق"[1].

3. الإيمان والعلم:

"فضرب الله الماء الذي نزل من السماء فتسيل الأودية بقدرها كذلك ما ينزله من العلم والإيمان فتأخذه القلوب كل قلب بقدره والسيل يحتمل زبداً رابياً كذلك ما في القلوب يحتمل شبهات وشهوات ثم قال: "وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ" وهذا المثل بالنار التي توقد على الذهب والفضة والرصاص والنحاس فيختلط بذلك زبد أيضاً كالزبد الذي يعلو السيل قال الله تعالى: "فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ" كذلك العلم النافع يمكث في القلوب بالتوحيد وعبادة الله وحده"[2].

4. الوحي:

"شبه الوحي الذي أنزله الله من السماء لحياة القلوب بالماء الذي أنزله لحياة الأرض بالنبات، وشبه القلوب بالأودية، والسيل إذا جرى في الأودية احتمل زبداً وغثاءً، فكذلك الهدى والعلم إذا سرى في القلوب أثار ما فيها من الشهوات ليذهب بها، وهذا هو المثل المائي في قوله: " أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً" وهكذا يضرب الله الحق والباطل.

وذكر المثل الناري في قوله: "وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ" فالمعادن من ذهب أو فضة أو نحاس أو حديد عند سبكها تخرج النار ما فيها من الخبث، وتفصله عن الجوهر الذي ينتفع به، فيذهب جفاء، فكذلك الشهوات يطرحها قلب المؤمن ويجفوها كما يطرح السيل والنار ذلك الزبد، وهذا الخبث"[3] ووجه الشبه هنا بين القلوب والأودية، "لأنه وجد النور في

---

[1] الدينوري: **تأويل مشكل القرآن**، ج1، ص196.

[2] الزركشي: **البرهان في علوم القرآن**، ج1، ص493.

[3] القطان: **مباحث في علوم القرآن**، ص294.

القلب منفذاً ومجازاً، كما وجد الماء في هذه الأودية منفذاً ومجازاً. ثم شبه القلوب بالسيل، وشبه الباطل بالزبد الذي يعلو فوق الماء فكل قلب لم يتفكر، ولم يعتبر، ولم يرغب في الحق خذله الله تعالى، ووجدت الظلمة والهوى في قلبه منفذاً ومجازاً، كما أنّ السيل وجد في الأودية منفذاً ومجازاً، فلما خذل هذا القلب احتمل الباطل كما احتمل السيل الزبد الرابي، وإذا وجد القلب التوفيق، فتفكر واعتبر احتمل الحق كما انتفع الناس من الماء الصافي[1].

في الختام يمكن القول: إنّ هذا المثل يصلح لكل ما هو حق وباطل: فالقرآن حق، والإيمان بالله عزّ وجل حق، والوحي عند نزوله حق، والصدق حق، والإخلاص في العمل حق،....الخ.

فهذا المثل المستوحى من المشاهد الطبيعية التي نراها ونبصرها ونشاهدها في حياتنا الواقعية، يصلح لكل ما فيه خيرٌ وصلاح وحق، وكل ما علينا هو التفكر في هذه الصور الحية التي يرسمها الله عزّ وجل من خلال إبداعه في هذا الكون.

---

[1] الترمذي، محمد بن علي بن الحسن بن بشر (ت: 320هـ): **الأمثال من الكتاب والسنة**، تحقيق: السيد الجميلي، ص29-30، دار ابن زيدون، دار أسامة، بيروت، دمشق.

الفصل الرابع

ثمرات الاعتبار

المبحث الأول: تقوية الإيمان بالله تعالى وزيادته.

المبحث الثاني: القناعة والزهد في الدنيا.

المبحث الثالث: الاطمئنان والسعادة.

المبحث الرابع: تقوى الله ومخافته.

الفصل الرابع

ثمرات الاعتبار

المبحث الأول: تقوية الإيمان بالله تعالى وزيادته:

الإيمان شجرة تنمو في حياة المسلم لها جذور وفروع وثمرات، تنمو وتزيد وتترعرع إذا وجدت عناية بها فتعطي أفضل الثمرات وأطيبها، وتذوي وتذبل إذا أهملت ولم يعتنى بها.

المطلب الأول: مفهوم الإيمان وأسسه:

عُرّف الإيمان بأنه: "عقد بالجنان، وقول باللسان، وعمل بالأركان يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية، ويزيد بالعلم، ويضعف بالجهل والغفلة والنسيان"[1].

فالإيمان يقوم على ثلاثة أسس لابد من توافرها حتى يتحقق لدى الإنسان، هذه الأسس بمثابة الجذور التي تثبت الشجرة والتي لا غنى عنها، فعن طريقها يتم تغذية الشجرة وبالتالي نموها:

1. التصديق، ومحله القلب.
2. القول، وأداته اللسان.
3. العمل، وهو اتباع الأوامر، واجتناب النواهي.

هذه الأسس التي يقوم عليها الإيمان ويتحقق بها، هي كلية لا تقبل التجزئة، فكل أساس تندرج تحته فروع كثيرة، وعليه فإنّ أي خلل في هذه الأسس قد ينقص الإيمان، ويؤدي إلى

---

[1] الأزهري، عبدالباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر (ت: 1071هـ): **العين والأثر في عقائد أهل الأثر**، تحقيق: عصام رواس قلعجي، ص40، دار المأمون للتراث، ط1، 1407هـ.

الكفر، فقد يرد على القلب اعتقاداً ما، أو يعمل عملاً ما، أو يتلفظ بقول ما، فإذا به خارج عن حقيقة الإيمان، داخل في إطار الكفر[1].

وحتى يتحقق الإيمان بالله عزّ وجل لابد من" الاعتقاد الجازم بأنّ الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وأنه يتصف بصفات الكمال والجلال، وأنه سبحانه هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، والقيام بذلك علماً وعملاً، لا يتحقق ذلك إلا بإتباع خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ[2] ويمكن اعتبار الإيمان بالله تعالى الساق الذي تتفرع منه بقية الفروع والأغصان، وتعتمد عليه، فالإيمان بالملائكة معتمد على الإيمان بالله تعالى لأنه هو الذي خلقها، وكذلك الإيمان بالرسل، فالله هو الذي بعثهم، والإيمان بالكتب، فالله أنزلها والإيمان باليوم الآخر، فالله هو الذي أوجده، والإيمان بالقضاء خيره وشره.

المطلب الثاني: زيادة الإيمان ونقصه:

ورد في تعريف الإيمان أنه يزيد وينقص، وهذا صحيح وقد جاء في القرآن الكريم كثير من الآيات تصرح بأمور لها الأثر في زيادة الإيمان ونقصه، فقال تعالى: " إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ "[3].

وللعلماء في زيادة الإيمان ونقصه آراء، فذهب جمع من العلماء إلى أنه يزيد وينقص من حيث الأعمال الصادرة عنه ولاسيما أنّ كثيراً من العلماء يوقعون اسم الإيمان على الطاعات، ومنهم من قال: إنّ الإيمان عَرَضَ، وهو لا يثبت زمانيين، فهو للنبي ﷺ وللصلحاء متعاقب، فيزيد باعتبار توالي أمثاله على قلب المؤمن، وباعتبار دوام حضوره، وينقص بتوالي الغفلات على قلب المؤمن. وذهب قوم من العلماء إلى أنّ زيادة الإيمان ونقصه إنما هو من

---

[1] انظر، اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق: **الحد الفاصل بين الإيمان والكفر**، ص42، الدار السلفية –الكويت، ط5، 1408هـ–1988م.

[2] ابن غيهب، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله (ت: 1429هـ): **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، ص69، دار العاصمة، ط1،1417هـ.

[3] سورة الأنفال: آية 2.

طريق الأدلة، فتزيد الأدلة عند واحد، وبهذا المعنى على أحد الأقوال – فضل الأنبياء على الخلق، فإنهم علموه من وجوه كثيرة أكثر من الوجوه التي علمه الخلق بها.

وذهب قوم إلى أن الزيادة في الإيمان، إنما هي بنزول الفرائض والأخبار في مدة النبي ﷺ وفي المعرفة بعد الجهل غابر الدهر[1].

ومن الأسباب التي تزيد الإيمان:

1. معرفة أسماء الله وصفاته، فإنّ العبد كلما ازداد معرفة بها، وبمقتضياتها وآثارها، ازداد إيماناً بربه وحباً له وتعظيماً.

2. النظر في آيات الله تعالى الكونية والشرعية، فإنّ العبد كلما نظر فيها وتأمل ما اشتملت عليه من القدرة الباهرة والحكمة البالغة، ازداد إيماناً ويقيناً بلا ريب. يقول تعالى: "وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ "[2].

3. فعل الطاعة تقرباً إلى الله تعالى، فإنّ الإيمان يزداد به بحسب حسن العمل وجنسه وكثرته.

4. ترك المعصية خوفاً من الله عزّ وجل[3].

5. ذكر الله تعالى وتلاوة آياته، يقول تعـــالى: " إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ "[4].

6. العلم: خاصة العلم الذي يُعنى ببيان قدرة الله عزّ وجل وعظمته وإبداعه يقول تعالى:" إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ "[5].

---

[1] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**،ج4، ص280، بتصرف.

[2] سورة آل عمران: آية 191.

[3] العثيمين، محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ): **فتح البرية بتلخيص الحموية**، ص122، دار الوطن للنشر- الرياض، بتصرف.

[4] سورة الأنفال: آية 2.

[5] سورة فاطر: آية 28.

أي "إنما يخاف الله فيتقي عقابه بطاعته العلماء، وبقدرته على ما يشاء من شيء وأنه يفعل ما يريد، لأنّ من علم بذلك أيقن بعقابه على معصيته، فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه"[1].

وينقص الإيمان بأمور عدّة أهمها[2]:

1. الجهل بالله تعالى وأسمائه وصفاته.

2. الغفلة والإعراض عن النظر في آيات الله، وأحكامه الكونية والشرعية، فإنّ ذلك يوجب مرض القلب أو استيلاء الشهوات والشبهات عليه.

3. فعل المعصية، فينقص الإيمان بحسب جنسها وقدرها والتهاون بها وقوة الداعي إليها أو ضعفه.

وقد دلل محمد رشيد رضا على زيادة الإيمان ونقصه، بأنّ للإيمان فائدة، وهذه الفائدة تكون بإذعان النفس الذي يحرك فيها الخوف والرجاء وغيرهما من وجدانيات الدين التي يترتب عليها ترك المنكر المنهي عنه، وفعل المعروف المأمور به، ولولا ذلك لم يكن للدين فائدة في إصلاح حال البشر، وهذه الأمور (الإذعان، الخوف، الرجاء) من الأمور التي تقبل الزيادة والنقصان، وبناء على ذلك فإنّ المؤمنين ليسوا على درجة واحدة من الإيمان، ولكنهم متفاوتون، ويبين محمد رشيد رضا أنّ القرآن هدانا إلى التفكير والنظر في ملكوت السماوات والأرض، لنزداد إيماناً، ونعتبر ونستفيد، وذلك يفتح لنا أبوباً من العلم بالله وسننه لا نهاية لها[3].

إذاً فإيمان العبد قابل للزيادة والنقص، فليس جميع العباد متساوون في درجة الإيمان، فدرجة الإيمان في القلب تختلف من شخص لآخر حسب اعتقاداته وأعماله وتفكيره.

---

[1] الطبري: **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج20، ص462.

[2] العثميين: **فتح البرية بتلخيص الحموية**، ص123.

[3] رضا: **تفسير المنار**،ج4، ص198، بتصرف.

المطلب الثالث: ثمرات الإيمان بالله:

وللإيمان بالله تعالى ثمرات يقطفها كل مؤمن صادق، ومن هذه الثمرات:

1. التوكل على الله عزّ وجل:" إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾"[1].

2. الطمأنينة والسكينة، يقول تعالى" هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾"[2].

3. البشرى، يقول تعالى:" وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ"[3].

4. "يعظم رجاء العبد لربه، ويعرض عمن سواه، ولأنّ قوة الإيمان في القلب من أعظم الأسباب التي يعصم الله بها العبد من وساوس الشيطان، ومن الانقياد لشهوات النفس[4].

وثمرات الإيمان كثيرة لا يمكن عدّها، وقد ذكر الأثري بعض من هذه الثمرات[5]:

أ- الاغتباط بولاية الله تبارك وتعالى.

ب- الحياة الطيبة.

ج- حب الله لأهل الإيمان وحب المؤمنون كذلك.

د- دفاع الله عن المؤمنين.

---

[1] سورة الأنفال: آية 2.

[2] سورة الفتح: آية 4.

[3] سورة التوبة: آية 124.

[4] الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة: **تسهيل العقيدة الإسلامية**، ص 372، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2.

[5] الأثري، عبد الله بن عبد الحميد: **الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، ص180-185، دار الوطن للنشر- الرياض، ط1، 1424هـ-2003م، بتصرف.

هــ- البشرى في الحياة الدنيا والآخرة.

و- الانتفاع بالمواعظ والتذكير.

ز- الحفظ من الوقوع في الفواحش.

ح- الفوز بمعية الله تعالى.

ط- التمييز بين الحق والباطل.

ي- النصر والتمكين، والعزة والكرامة.

ق- استغفار الملائكة لهم.

ل- الأمن والسعادة في الدنيا، والنعيم الدائم في الآخرة.

إنّ الاعتبار الذي يؤدي إليه النظر والتفكر في آيات الله الكونية والقرآنية يؤدي إلى زيادة وتقوية إيمان العبد، إنّ التفكر والنظر في مخلوقات الله التي لا تعد ولا تحصى، وكذلك تدبر آياته القرآنية تجعل الإنسان المؤمن على يقين بأنّ خالق هذه المخلوقات ومنزل هذه الآيات، إلاه عظيم حكيم قادر على كل شيء، هو المعطي المانع هو المعز المذل، هو المحيي المميت، بل إنّ ابن القيم عدّ التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكر فيه مفتاح الإيمان[1].

---

[1] ابن القيم: **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ص68، بتصرف.

المبحث الثاني: القناعة والزهد في الدنيا:

المطلب الأول: مفهوم القناعة والزهد:

القناعة مصدر من الفعل قنع، أي: "رضي بالقسم، فهو قنِع، وهم قنعون"[1].

وعُرفت القناعة في الاصطلاح بأنها: "الاجتزاء باليسير من الأعراض المحتاج إليها"[2].

وعرّفها الثعلبي بأنها: "الرضا والتعفف، وترك السؤال"[3].

وعُرّف القانع بأنه: "السائل الذي لا يلح بالسؤال ويرضى بما يأتيه عفواً "[4].

وقد عبر القرآن الكريم عن هذا المعنى بلفظ التعفف في سورة البقرة، يقول عزّ وجل: " لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ "[5] ومعنى العفة هنا " الكف عن الحرام والسؤال من الناس"[6].

وقد استخدم القرآن لفظ القانع للدلالة على هذه الصفة المحمودة، فقال عزّ وجل: وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ "[7].

أما الزهد فيأتي بمعنى "الزهد في الدنيا ولا يقال الزهد إلا في الدين خاصة، والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة "[8].

---

[1] الفراهيدي: **كتاب العين**،ج1، ص170.

[2] الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ج1، ص685.

[3] الثعلبي: **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، ج7، ص23.

[4] الأصفهاني: **المفردات**، ج1، ص685.

[5] سورة البقرة: آية 273.

[6] ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت: 606هـ): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، ج3، ص264، المكتبة العلمية – بيروت، 1399هـ–1979م.

[7] سورة الحج: آية 36.

[8] ابن منظور: **لسان العرب**، ج3، ص196.

و"الزاهد في الشيء: الراغب منه، والراضي منه بالزهيد، أي: القليل"[1].

وقد ورد الزهد في القرآن الكريم مرة واحدة، وهي قوله تعالى في حديثه عن يوسف وإخوته: " وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ "[2].

ومما يلاحظ أنّ الزهد والقناعة يشتركان في الرضا بالقليل، وقد فرق بينهما بانّ:" القناعة: الرضا بما دون الكفاية، والزهد: الاقتصار على الزهيد، أي: القليل، وهما يتقاربان ولكن القناعة تقال اعتبار برضا النفس، والزهد يقال اعتباراً بالمتناول لحظ النفس، وكل زهد حصل لاعن قناعة فهو تزهد لا زهد"[3].

الزهد في الدنيا "مفتاح الرغبة في الآخرة"[4] والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة نتاج كل من التذكر التفكر [(5)] فالتفكير ينقل العبد من الرغبة والحرص على الدنيا إلى الزهد والقناعة، ومن سجن الدنيا إلى فضاء الآخرة[6].

وقد نسب الله عزّ وجل الزهد إلى العلماء، ووصف أهله بالعلم، وهو في غاية الثناء[7] يقول عزّ وجل في حديثه عن قارون: " فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ "[8].

---

[1] الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ج1، ص384.

[2] سورة يوسف: آية 20.

[3] الأصفهاني: **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، ص225، دار السلام – القاهرة، 1428هـ–2007م.

[4] ابن القيم: **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ص68.

[5] ابن القيم: **الفوائد**، ص200، بتصرف.

[6] ابن القيم: **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، ج1، ص183، بتصرف.

[7] الغزالي: **إحياء علوم الدين**، ج4، ص219، بتصرف.

[8] سورة القصص: آية 79–80.

المطلب الثاني: أقسام الزهد:

وقسم الزهد إلى خمسة أقسام:

"زهد في الدنيا، زهد في النفس، زهد في الجاه والرئاسة، زهد فيما سوى المحبوب، زهد في كل إرادة تخالف مراد المحبوب، وهذا إنما يحصل بكمال المتابعة للرسول الحبيب"[1].

المطلب الثالث: فوائد القناعة والزهد:

ومن بين أهم الفوائد والثمرات التي تجنى من هذين الخلقين الحميدين:

راحة البدن، يقول المحاسبي: "اعلم أنّ أرواح الناس أبداناً أهل الزهد في الدنيا، وأتعب الناس قلوباً وأكثرهم شغلا أهل الاهتمام بالدنيا، وأعون الأخلاق على الزهد قصر الأمل"[2] وقد عدّ بعض الحكماء القناعة والزهد من الأشياء التي فيها حياة القلوب، فقال:" حياة القلب في أربعة أشياء: العلم، والرضا، والقناعة، والزهد، فالعلم يرضيه، وبالرضا يبلغ هذه الدرجة، فإذا بلغ درجة الرضا وصل إلى القناعة، وتوصله القناعة إلى الزهد، وهو التهاون في الدنيا "[3].

إنّ تدبر الآيات القرآنية التي تتحدث عما أعدّه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين الصالحين من نعيم في الآخرة، والتفكر في هذه الآيات يدعو إلى الزهد في هذه الحياة الدنيا، والقناعة وإيثار الحياة الآخرة على الدنيا، فالمؤمن يدرك جيداً أنّ ما في هذه الدنيا من نعيم إنما مصيره للزوال، ويزداد قناعة وزهداً حين يتفكر في قوله تعالى: " ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ وَتَكَاثُرٞ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِۖ كَمَثَلِ غَيۡثٍ أَعۡجَبَ ٱلۡكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَكُونُ

[1] ابن القيم: **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، ص266.

[2] المحاسبي، الحارث بن أسد (ت: 243هـ): **رسالة المسترشدين**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، ص161، مكتبة المطبوعات الإسلامية – حلب، ط2، 1391هـ– 1971م.

[3] السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ): **تنبيه الغافلين بأحاديث سيد الأنبياء والمرسلين**، تحقيق: يوسف علي بديوي، ص240، دار ابن كثير –بيروت، ط3، 1421هـ–2000م.

حُطَٰمٗاۖ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٞ شَدِيدٞ وَمَغۡفِرَةٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٞۚ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ "[1] ويقول عزّ وجل: " إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا "[2].

أي: "أزهد فيها وأترك لها"[3] فكل ما في الدنيا من نعيم خلقة الله عزّ وجل إنما هو ابتلاء وامتحان، فالجاهل هو الذي يسمح لنفسه بالاستمتاع بهذا النعيم بأي طريقة، وبأي ثمن، أما المؤمن العاقل فهو الذي يحرم نفسه من هذا النعيم الزائل؛ ليستمتع بما أعده الله له في الآخرة، حيث تحدثت آيات كثيرة من القرآن الكريم عن النعيم في الآخرة حيث ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على بال بشر، والمؤمن حين يتدبر هذه الآيات ويتفكر فيها فإنه يؤثر أن يعيش زاهداً في هذه الدنيا على أن يعيش محروماً في الآخرة، فهو يصدق كل التصديق ويؤمن كل الإيمان بقوله تعالى: "وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ "[4].

[1] سورة الحديد: آية 20.

[2] سورة الكهف: آية 7.

[3] الواحدي: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ص654.

[4] سورة الأعلى: آية 17.

المبحث الثالث: الاطمئنان والسعادة:

المطلب الأول: مفهوم الطمأنينة:

الطمأنينة صفة نفسية وصف الله بها نفس عباده المؤمنين فقال: "يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ"[1] ، "فتسمى مطمئنة باعتبار طمأنينتها إلى ربها بعبوديته ومحبته، والإنابة إليه، والتوكل عليه، والرضا به، والسكون إليه"[2].

ومحل الطمأنينة القلب وقد خصّ الله عزّ وجل بالطمأنينة قلب المؤمن، أما الكافر فقد حرم من الاطمئنان[3]. والاطمئنان مصدر اطمأن، وهو مشتق من الفعل الثلاثي طمن،" واطمأن الرجل، واطمأن قلبه، واطمأنت نفسه، إذا سكن واستأنس"[4].

"والطمأنينة والاطمئنان: السكون بعد الانزعاج"[5].

يقول تعالى في وصف قلوب عباده المؤمنين: " ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ "[6].

وتأتي هذه الآية " تنبيهاً أنّ بمعرفته تعالى، والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس المسؤول"[7]. "فوصول النفس في الدنيا إلى رتبة الاطمئنان سبب إلى رضاه تعالى عنها في العقبى"[8].

---

[1] سورة الفجر: آية 27.

[2] ابن القيم: **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، ص 220، دار الكتب العلمية – بيروت.

[3] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، ج2، ص494.

[4] الفراهيدي: **العين**، ص442.

[5] الأصفهاني: **المفردات في غريب القرآن**، ص524.

[6] سورة الرعد: آية 28.

[7] **المرجع السابق**، ص524.

[8] الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان (ت: 1156هـ): **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**، ج1، ص19، مطبعة الحلبي، 1348هـ.

إذاً معرفة الله هي إحدى الطرق التي يكتسب بها الاطمئنان، ومن أهم الطرق التي تؤدي إلى معرفة الله عزّ وجل النظر في آيات الله المقروءة في كتابه العزيز، والمشاهد من خلال مخلوقاته العظيمة والتفكر فيها، والاعتبار بها.

"وطمأنينة القلوب هي الاستكانة والسرور بذكر الله، والسكون به كمالاً به، ورضى بالثواب عليه، جودة اليقين"[1].

وذكر الله شامل وجامع، فقد يعني القرآن الكريم، وقد يطلق على التسبيح والاستغفار والتضرع إلى الله والدعاء، أو ذكره بأسمائه وصفاته والثناء عليه بها، أو ذكره بأحكامه وأوامره ونواهيه[2].

وذكر القرطبي في تفسيره لقوله تعالى(بِذِكْرِ ٱللَّهِ) أي: "يذكرون الله ويتأملون في آياته، فيعرفون كمال قدرته عن بصيرة"[3].

ومن معاني الطمأنينة: السكينة.(4) يقول تعالى: "هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا"[5].

ويذكر أنّ الاطمئنان بذكر الله " حقيقة عميقة يعرفها الذين خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، يعرفونها ولا يملكون بالكلمات أن ينقلوها إلى الآخرين الذين لم يعرفوها، لأنها لا تنقل بالكلمات، إنما تسري في القلب فيستروحها ويهش لها، ويندى بها، ويستريح إليها، ويستشعر الطمأنينة والسلام، وليس أشقى على وجه الأرض ممن يحرمون طمأنينة الأنس إلى الله، ليس أشقى ممن ينطلق في هذه الأرض مبتور الصلة بما حوله من الكون، لأنه انفصم من العروة التي تربطه

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ج3، ص311.

[2] ابن القيم: **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، ج1، ص19، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط1، 1410هـ.

[3] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، ج9، ص315.

[4] انظر، التستري: **تفسير التستري**، ص85.

[5] سورة الفتح: آية 4.

بالله، ليس أشقى في الحياة ممن يشق طريقه وحيداً شارداً في فلاة، عليه أن يكافح وحده بلا ناصر، ولا هاد، ولا معين"[1].

"ومقام الطمأنينة جامع الإنابة والتوكل، والتفويض والرضا والتسليم، فهو معنى ملتئم من هذه الأمور، إذا اجتمعت صار صاحبها صاحب طمأنينة، وما نقص منها نقص من الطمأنينة"[2].

المطلب الثاني: ثمرات الطمأنينة:

إنَّ الطمأنينة ثمرة طيبة يجنيها المؤمن من شجرة الاعتبار، فيصبح بها مرتاح القلب، مطمئناً إلى من بيده الأسباب، يتأمل ويتفكر فيما يشاهد من مخلوقات دالة على عظمة وقدرة وحكمة الخالق، فإذا تأمل الطيور اطمأن إلى أنّ الله الرازق فلا يدعو غيره، ولا يرجو سواه، ولا يتوكل إلا عليه، فمن تكفل برزق حتى النملة في جحرها كفيل بالتوكل عليه، والتسليم إلى أمره، وهذه هي الطمأنينة إلى الله عزّ وجل "حقيقة ترد منه سبحانه على قلب عبده، تجمعه عليه، وترد قلبه الشارد إليه، حتى كأنه جالس بين يديه، يسمع به، ويبصر به، ويتحرك به، ويبطش به، فتسري تلك الطمأنينة في نفسه وقلبه ومفاصله وقواه الظاهرة والباطنة، تجذب روحه إلى الله، ويلين جلده وقلبه ومفاصله إلى خدمته، والتقرب إليه"[3] وهذه هي أهم الفوائد التي يجنيها من الطمأنينة إلى الله.

---

[1] العفاني، سيد بن حسين بن عبد الله: **نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان**، ص189، دار ماجد عسيري – جدة.

[2] ابن القيم: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**،ج1، ص157.

[3] ابن القيم: **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، ص220.

المبحث الرابع: تقوى الله ومخافته:

المطلب الأول: مفهوم تقوى الله ومستلزماتها:

الثمرة الرابعة من ثمرات الاعتبار هي تقوى الله ومخافته، وتعد التقوى من مكارم الأخلاق، لذا أمر الله تعالى بها عباده فقال:" **فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ** "[1] وتقوى الله "يستلزم العلم بها"[2].

والعلم به يتم عن طريق النظر في آياته القرآنية والكونية وتدبر ما فيها من حكم وعبر.

وتُعرف التقوى بأنها:" اتقاء المحذور بفعل المأمور به، وبترك المنهي عنه"[3]. وبعضهم عرّفها بأنها: "أن يذكر الله فلا ينسى، وأن يطاع فلا يعصى، وأن يشكر فلا يكفر"[4].

المطلب الثاني: صفات المتقين في القرآن الكريم:

وقد مدحت كثير من الآيات الكريمة القرآنية المتقين، وبينت مكانتهم عند الله عزّ وجل وجزاءهم، ومن ذلك:

1. حب الله للمتقين، يقول عزّ وجل: " إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ "[5].
2. معية الله للمتقين:" وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ "[6].
3. تقبل أعمالهم، يقول الله عزّ وجل: "وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ "[7].

---

[1] سورة آل عمران: آية 50.
[2] ابن تيمية: **مجموع الفتاوي**، ج7، ص24.
[3] **المرجع السابق**، ج2، ص135.
[4] الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر: **نداءات الرحمن لأهل الإيمان**، ص36، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة،، ط3، 1421هـ–2001م.
[5] سورة التوبة: آية 4.
[6] سورة البقرة: آية 194.
[7] سورة المائدة: آية 27.

4. ولاية الله لهم، يقول عزّ وجل: "إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ"[1].

5. الحشر يوم القيامة ركباناً مكرمون[2] يقول عزّ وجل: " يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا "[3].

"[3].

6. الفوز بالجنة، يقول عزّ وجل:" إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ "[4].

7. وقد جعلت التقوى ميزان للتفاضل بين المؤمنين، فقال عزّ وجل: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ "[5].

وقد خصّ الله سبحانه وتعالى أصحاب العقول بالأمر بالتقوى، فقال عزّ وجل: " وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا "[6].

"وإنما خوطب أولو الألباب لأنهم هم الذين يمكن أن ينتفعوا بهذا الخطاب، وأن يكون لهم من عقولهم داعٍ يدعوهم إلى الاعتبار وإلى تلقي العظة مما وقع لغيرهم قبل أن ينزل بهم، فالعاقل من اتعظ بغيره قبل أن يكون هو عظة لغيره"[7].

---

[1] سورة الجاثية: آية 19.

[2] الزجاج: **معاني القرآن وإعرابه**، ج3، ص346، بتصرف.

[3] سورة مريم: آية 85.

[4] سورة الحجر: آية 45.

[5] سورة الحجرات: آية 13.

[6] سورة الطلاق: آية 8-10.

[7] الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: 1390هـ): **التفسير القرآني للقرآن**، ج3، ص107، دار الفكر العربي – لبنان.

المطلب الثالث: أهمية التقوى:

أهمية التقوى: أطيب الثمار التي يجنيها العبد المؤمن من تقوى الله ومخافته منه:

1. إنّ المتقي يتعظ بآيات الله سبحانه وتعالى الكونية والشرعية[1].

2. التقوى تنير البصيرة، وتجعل الإنسان قادراً على التفريق بين الحق والباطل[2]، قال تعالى: " يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ "[3].

3. ومن ثمرات التقوى الأمن النفسي، والتوفيق والتأييد والنصر في الدنيا، والثواب والرحمة في الآخرة، [4].

قال تعالى: "أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ [5].

4. "والتقوى تفرج الأزمات وتحل المشاكل"[6] يقول تعالى: "وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا"[7].

5. التقوى " كفيلة بتطهير النفس وتزكيتها، وسعادة الآخرة تتم بزكاة النفس وطهارتها"[8]."قَدۡ "قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا " [9].

---

[1] العثيمين: **تفسير الفاتحة والبقرة**، ج1، ص233، دار ابن الجوزي – السعودية، ط1، 1423هـ.

[2] زهران، حامد عبد السلام: **التوجيه والإرشاد النفسي**، ص352، عالم الكتب، ط3.

[3] سورة الأنفال: آية 29.

[4] **المرجع السابق**، ص352.

[5] سورة يونس: آية 63-64.

[6] زهران، حامد عبد السلام: **التوجيه والإرشاد النفسي**، ص352، عالم الكتب، ط3.

[7] سورة الطلاق: آية 2.

[8] الجزائري: **نداءات الرحمن لأهل الإيمان**، ص184.

[9] سورة الشمس: آية 9.

6. ومن ثمرات التقوى: النجاة من كل كرب، والرزق من حيث لا يرجو ولا يخطر على بال، ثم القناعة بالرزق والبركة فيه[1].

7. والتقوى "سبب في نزول بركات السماء من الأمطار الغزيرة، وإخراج بركات الأرض، وسعة الرزق، والأكل المتواصل منه مع وجود البركات فيه"[2].

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ "[3].

8. و"تقوى الله توقي مقته، وتوقي عقوبته، وتوقي سخطه، وإنّ تقوى الله تبيض الوجوه، وترضي الرب، وترفع الدرجة"[4].

هذا وتعد التقوى رادع داخلي يمنع المسلم من ارتكاب المعاصي والذنوب، ويحثه على فعل كل خير، ويزرع في قلبه الرحمة والعطف على غيره. وتقوى الله تعني الخوف منه، ومن خاف الله لم يخف من الناس "فالله سبحانه لا يجمع في قلب واحد مخافتين: مخافته جل جلاله، ومخافة الناس، والذي يخاف الله لا يخاف أحداً بعده، ولا يخاف شيئاً سواه"[5] والخوف من الله "عبادة قلبية عظيمة لا تصدر إلا من مؤمن صادق الإيمان[6].

---

[1] انظر، السوالمة، عبد الله مرحول: **البركة في الرزق والأسباب الجالبة له في ضوء الكتاب والسنة**، ص216، الجامعة الإسلامية – المدينة المنورة، ط1: العدد 199، 1423هـ– 2003م.

[2] **المرجع السابق نفسه.**

[3] سورة الأعراف: آية 96.

[4] الثعلبي: **الكشف والبيان في تفسير القرآن**،ج9، ص310.

[5] قطب: **في ظلال القرآن**،ج2، ص870.

[6] العبد الكريم، راشد بن حسين: **الدروس اليومية والسنن والأحكام الشرعية**، ص316، الناشر: موقع وزارة الأوقاف السعودية.

الخاتمة:

بعد حمد الله وشكره، فإنني أصلي وأسلم على الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أهم النتائج التي توصلت إليها الباحثة:

1. الاعتبار مصدر مشتق من الفعل عبر، وهو بمعنى الانتقال من شيء إلى آخر. والاعتبار في الاصطلاح هو النظر في القرآن الكريم، وقياس ما غاب على ما ظهر لزيادة الإيمان واخذ العبرة والعظة.

2. إنّ للاعتبار طرقاً ووسائل تؤدي إليه وأهم هذه الطرق: النظر والتفكر والتدبر والتذكر والتذكير، وذلك فيما خلق الله عزّ وجل في هذا الكون الفسيح من مخلوقات بديعة تدل على قدرة الله عزّ وجل وعظمته، ومن أهم هذه المخلوقات التي تدعو للنظر والاعتبار والتي حثت الآيات القرآنية على تأملها والتفكر فيها: خلق الإنسان، خلق السماوات والأرض، وغيرها.

3. إنّ هناك أمور تمنع الإنسان من أن يعتبر ومن أهم هذه الأمور: الكفر، والترف، والغفلة، والإعراض عن الآيات والاستهانة بها، والتكبر والغرور، ومن أهم الأسباب التي تؤدي إلى هذه الأمور أنّ الإنسان لا يستخدم ما منحه الله من نعم مثل: السمع والبصر والفؤاد والعقل الذي كرم الله عزّ وجل به الإنسان وذلك ليفكر به، بعد أن يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويتدبر بقلبه آيات الله الكونية والقرآنية.

4. إنّ المجالات التي لفت إليها القرآن الكريم انتباه الإنسان ليعتبر بها كثيرةً فمنها ما هو مشاهد مثل: خلق السماوات والأرض، وخلق الإنسان، وخلق النبات، وخلق الحيوان. ومنها ما هو مروي مثل: قصص الأمم السابقة، والأمثال.

5. إنّ للاعتبار ثمار وفوائد يجنيها الإنسان المعتبر، وأهم هذه الفوائد والثمـرات: زيـادة الإيمان وتقويته، الزهد والقناعة في الدنيا، الاطمئنان والسعادة في الدنيا، تقوى الله تعالى ومخافته.

هذا وتوصي الباحثة بأن يخصص كل إنسان مسلم جزءاً من يومه؛ لينظر ويتأمل ويتفكر فيما حوله من أحداث ليستخلص منها العبرة والعظة، خاصة أنّ الأحداث التي يشاهدها ويسمعها كثيرةً وفيها العبرة والعظة، ومن هذه الأحداث المشاهدة يومياً والتي تحتاج إلـى توقـف قليـل وتأمل يسير: الموت وما فيه من العبرة، إنّ هذه الحياة مهما طالت لها نهاية، وسيحاسب الإنسان على أعماله وأقواله يوماً. ومن الأحداث المشاهدة والتي تدعو للعبرة الـزلازل، والفيضـانات، والبراكين، وغير ذلك الكثير الكثير إضافة إلى ما ذكر من مجالات الاعتبار.

مسرد الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ	البقرة	6–7	14، 44
مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ نَارًا	البقرة	17 18	1، 46، 144
إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡىِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلًا مَّا	البقرة	26	145، 146
وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةً	البقرة	30	115، 116
وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا	البقرة	31	117
وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأَدَمَ	البقرة	34	65، 117
فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيۡطَـٰنُ عَنۡهَا فَأَخۡرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ	البقرة	36	121
فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَـٰتٍ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ	البقرة	37	120
وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِى ٱلسَّبۡتِ	البقرة	66	17
بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ	البقرة	90	48
وَلَتَجِدَنَّهُمۡ أَحۡرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ	البقرة	96	60
فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْ	البقرة	137	144
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ	البقرة	161	49
إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَـٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ	البقرة	164	14، 22
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ	البقرة	194	172
لِلۡفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحۡصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ	البقرة	273	19، 165
زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ	آل عمران	14	111
فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ "	آل عمران	50	172
إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَـٰنِهِمۡ ثُمَّ ٱزۡدَادُواْ كُفۡرًا	آل عمران	90	49
قُلۡ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ	آل عمران	98	43
هَـٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوۡعِظَةٌ لِّلۡمُتَّقِينَ	آل عمران	138	18

22، 30	190	آل عمران	إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ
1، 22، 28، 116	191	آل عمران	ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ
86	1	النساء	يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ
34	88	النساء	فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ
64	172	النساء	لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ
65	26	المائدة	قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ
172	27	المائدة	وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا
18	38	المائدة	وَٱلسَّارِقُ وَٱلسَّارِقَةُ فَٱقْطَعُوٓاْ أَيْدِيَهُمَا
86	2	الأنعام	هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ
49	31	الأنعام	قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ
49	39	الأنعام	وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم
102	95	الأنعام	۞ إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ
96	99	الأنعام	وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ
34	103	الأنعام	لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ
119	20	الأعراف	فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا
120	22	الأعراف	فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا
120	23	الأعراف	قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ
121، 122	24	الأعراف	قَالَ ٱهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ
122	25	الأعراف	فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ "
55	32–31	الأعراف	يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ
49، 71	40	الأعراف	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ
175	96	الأعراف	وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ	الأعراف	136	61، 136
سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ	الأعراف	146	34، 70
وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ	الأعراف	179	45، 46
إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟	الأعراف	201	38
وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً	الأعراف	205	61
إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ	الأنفال	2	161،160، 163
وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ	الأنفال	23	46
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا	الأنفال	29	174
وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ	الأنفال	30	140
إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْـًٔا	التوبة	4	172
وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا	التوبة	124	163
إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ	يونس	3	39
إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا	يونس	7	58، 61
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ	يونس	57	19
أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ	يونس	63-64	174
فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً	يونس	92	137
قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ	يونس	101	22
وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ	هود	102	14
وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَىِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ	هود	114	16
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ	هود	116	50
وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍۭ بَخْسٍ دَرَٰهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ	يوسف	20	166
وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ	يوسف	21	128

وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا	يوسف	105	59
لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ	يوسف	111	ط، 114
وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ	الرعد	4	101، 108
كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ	الرعد	17−16	154، 155
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ	الرعد	28	169
مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ	الرعد	35	144
تُؤْتِيٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينِۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا	إبراهيم	25	145
"وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ"	الحجر	19	103
وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ	الحجر	16	82
وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ	الحجر	26 34	86، 118
إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ	الحجر	45	173
لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ	الحجر	77−72	15
وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ	الحجر	85	84
وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ	النحل	7−5	109
إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ	النحل	23	72
فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ	النحل	29	71
لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ	النحل	60	144
وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ	النحل	66	25، 108، 109
وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا	النحل	80	109
وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا	الإسراء	37	68
وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ	الإسراء	64	121
فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا	الإسراء	99	42
إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا	الاسراء	102	139

إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا لِنَبۡلُوَهُمۡ أَيُّهُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا	الكهف	7	168
وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا	الكهف	28	59، 61
وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ	الكهف	54	146
وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا	مريم	25–26	99
وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡحَسۡرَةِ إِذۡ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ وَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ	مريم	39	60
وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا	مريم	51	124
يَوۡمَ نَحۡشُرُ ٱلۡمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحۡمَٰنِ وَفۡدٗا	مريم	85	173
وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ	طه	13–14	132
قَالَ رَبِّ ٱشۡرَحۡ لِي صَدۡرِي	طه	25–32	133
وَأَلۡقَيۡتُ عَلَيۡكَ مَحَبَّةٗ مِّنِّي وَلِتُصۡنَعَ عَلَىٰ عَيۡنِيٓ	طه	39	129
فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ	طه	40	129
فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ	طه	44	133
ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا	طه	53 55	86، 122
ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ	الأنبياء	1	57
أَوَلَمۡ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ كَانَتَا رَتۡقٗا فَفَتَقۡنَٰهُمَاۖ	الأنبياء	30	77، 97
وَجَعَلۡنَا فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمۡ	الأنبياء	31	79
يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ	الحج	5	23، 97
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسۡجُدُۤ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ	الحج	18	105
فَكُلُواْ مِنۡهَا وَأَطۡعِمُواْ ٱلۡقَانِعَ وَٱلۡمُعۡتَرَّۚ	الحج	36	165
ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ	المؤمنون	14	89
وَقَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱلۡأٓخِرَةِ	المؤمنون	33	50
أَفَلَمۡ يَدَّبَّرُواْ ٱلۡقَوۡلَ أَمۡ جَآءَهُم مَّا لَمۡ يَأۡتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلۡأَوَّلِينَ	المؤمنون	68	34
وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ	المؤمنون	78	92

وَلَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ ءَايَٰتٖ مُّبَيِّنَٰتٖ وَمَثَلٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۡ	النور	34	19
ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشۡكَوٰةٖ فِيهَا مِصۡبَاحٌۖ	النور	35	100
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ	النور	41	105
وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٖ مِّن مَّآءٖ	النور	45	107
بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا	الفرقان	11	48
وَقَوۡمَ نُوحٖ لَّمَّا كَذَّبُواْ ٱلرُّسُلَ أَغۡرَقۡنَٰهُمۡ	الفرقان	37–36	48
وَلَقَدۡ أَتَوۡاْ عَلَى ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِيٓ أُمۡطِرَتۡ مَطَرَ ٱلسَّوۡءِۚ	الفرقان	40	47، 48
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ	الشعراء	8–7	15
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَسۡرِ بِعِبَادِيٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ	الشعراء	68–52	137
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ	الشعراء	67	138
وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ	النمل	14	43
وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ	النمل	19 20	51، 106
وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ	النمل	24	119
قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ	النمل	27	106
أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا	النمل	61	56، 86
نَتۡلُواْ عَلَيۡكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرۡعَوۡنَ بِٱلۡحَقِّ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ	القصص	3	125
فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا	القصص	4	66، 125
وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ	القصص	7	126
وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ	القصص	9	128
وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسۡتَوَىٰٓ ءَاتَيۡنَٰهُ حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ	القصص	14	129
وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا	القصص	17–15	130
فَخَرَجَ مِنۡهَا خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُۖ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢١	القصص	21	130
وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ	القصص	28–23	131
فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗا	القصص	29	131

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ	القصص	30	132
وَأَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡ	القصص	32-31	132
وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ	القصص	43	39
فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ	القصص	80-79	166
فَخَسَفۡنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلۡأَرۡضَ	القصص	82- 81	52
وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ	العنكبوت	39	66
قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ	العنكبوت	20	85
مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ	العنكبوت	43-41	149
وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ	العنكبوت	43	146
يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ ٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ	الروم	7	63
أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ	الروم	8	31، 62
أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ	الروم	9	26
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ	الروم	20	85
خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ	لقمان	11-10	80، 149
وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ	لقمان	18	67
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ	لقمان	29	26
قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ	السجدة	11	93
فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمۡۖ	السجدة	14	35
إِنَّمَا يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْۤ سُجَّدٗا	السجدة	15	38
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا نَسُوقُ ٱلۡمَآءَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡجُرُزِ	السجدة	27	23
وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ	سبأ	12	50
إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ	فاطر	6	118
أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٖ مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهَاۚ	فاطر	27	79
إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ	فاطر	28	161
وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ	فاطر	37-36	39

إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ	يس	82	85
وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذۡكُرُونَ	الصافات	13	46
كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ	ص	29	34، 36
قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ	ص	76	65، 118
يَخۡلُقُكُمۡ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ خَلۡقٗا مِّنۢ بَعۡدِ خَلۡقٖ فِي ظُلُمَٰتٖ ثَلَٰثٖ	الزمر	6	96
قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ	الزمر	53	48، 129
وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ	غافر	13	38
ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ	غافر	35	68، 71
قُلۡ أَئِنَّكُمۡ لَتَكۡفُرُونَ بِٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَرۡضَ فِي يَوۡمَيۡنِ	فصلت	9-10	78
ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِيَ دُخَانٞ فَقَالَ لَهَا وَلِلۡأَرۡضِ ٱئۡتِيَا طَوۡعًا أَوۡ كَرۡهٗا	فصلت	11	77
فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً	فصلت	15	66
سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ	فصلت	53	75
لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ	الشورى	11	85
وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمۡعِهِمۡ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٞ	الشورى	29	104
فَجَعَلۡنَٰهُمۡ سَلَفٗا وَمَثَلٗا لِّلۡأٓخِرِينَ	الزخرف	56	16
وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوۡمُكَ مِنۡهُ يَصِدُّونَ	الزخرف	57	17
ٱللَّهُ ٱلَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ ٱلۡبَحۡرَ لِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ فِيهِ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ	الجاثية	12-13	31
إِنَّهُمۡ لَن يُغۡنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۖ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُتَّقِينَ	الجاثية	19	173
وَيَوۡمَ يُعۡرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ	الأحقاف	20	72
وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ	الأحقاف	26	44
ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ	محمد	3	145
هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ	الفتح	4	163، 170

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ	الحجرات	13	173
وَٱلۡأَرۡضَ مَدَدۡنَٰهَا وَأَلۡقَيۡنَا فِيهَا رَوَٰسِيَ وَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ	ق	8–6	78، 83
وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ	ق	38	83
وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ	الذاريات	21	23، 85، 96
وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلۡأَرۡضَ فَرَشۡنَٰهَا فَنِعۡمَ ٱلۡمَٰهِدُونَ	الذاريات	48–47	81
وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ	الذاريات	55	38
وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡۚ وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ	القمر	3	48
وَأَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلشِّمَالِ	الواقعة	45–41	52، 54
وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ	الواقعة	62	36
ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞ وَزِينَةٞ وَتَفَاخُرُۢ بَيۡنَكُمۡ	الحديد	20	168
فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ	الحشر	2	8، 11
لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ	الحشر	21	8، 11، 145
وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ	المنافقون	10	61
وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا	الطلاق	2	174
وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبۡنَٰهَا حِسَابٗا شَدِيدٗا	الطلاق	10 –8	173
وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ	الملك	5	82
أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ	الملك	19	24
إِنَّا بَلَوۡنَٰهُمۡ كَمَا بَلَوۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ إِذۡ أَقۡسَمُواْ لَيَصۡرِمُنَّهَا مُصۡبِحِينَ	القلم	33–17	140
يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ	الحاقة	18	62
وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ	نوح	7	69
مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا	نوح	25	58

كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ	المدثر	54	16
أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ	القيامة	4–3	95
إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا	الإنسان	29	16
وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا	النبأ	11–10	28
أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً	النازعات	19– 17	133
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ	عبس	32–24	96
ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا	عبس	32–26	83
فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ	الطارق	7–5	85، 87، 86
سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ	الأعلى	10	
وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ	الأعلى	17	168
وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ	الغاشية	14	111
كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا	الفجر	23–21	39
يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ	الفجر	27	169
أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ	البلد	10–8	94
وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا	الشمس	9	175
كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ	الشمس	11	48
وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ	التين	2–1	100
ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ	العلق	3–1	31، 32
وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾	العصر	3–1	63

فهرس الأحاديث

الرقم	الراوي	طرف الحديث	الصفحة
1	البخاري	إنما الأعمال بالنيات...	143
2	البخاري	أول ما بدئ به رسول الله...	31
3	البخاري	بينما رجل يجر إزاره...	68
4	مسلم	حفت الجنة بالمكاره...	53
5	مسلم	العز إزاره...	73
6	البخاري	فوالله ما الفقر أخشى عليكم...	53
7	مسلم	لا يدخل الجنة من كان في قلبه من كبر...	71،68
8	الترمذي	من لا يشكر الناس...	ب

قائمة المصادر والمراجع

إبراهيم، محمد إسماعيل: **القرآن وإعجازه العلمي**، دار الفكر العربي.

الأثري، عبد الله بن عبد الحميد: **الإيمان حقيقته خوارمه نواقضه عند أهل السنة والجماعة**، دار الوطن للنشر- الرياض، ط1، 1424هـ-2003م.

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد (ت: 606هـ): **النهاية في غريب الأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ-1979م.

الآجري، محمد بن الحسين بن عبد الله (ت: 360هـ): **أخلاق أهل القرآن**، تحقيق: محمد عمرو عبد اللطيف، دار الكتب العلمية- بيروت، ط3، 1424هـ-2003م.

الأخفش الأوسط، أبو الحسن المجاشعي بالولاء (ت: 215هـ): **معاني القرآن** تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي- القاهرة، 1411هـ-1990م.

أرناؤوط، محمد السيد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، مكتبة مدبولي - القاهرة.

الأزهري، عبد الباقي بن عبد الباقي بن عبد القادر (ت: 1071هـ): **العين والأثر في عقائد أهل الأثر**، تحقيق: عصام رواس قلعجي، المأمون للتراث، ط1، 1407هـ.

الأزهري، محمد بن أحمد (ت: 370هـ): **معجم تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار احياء التراث العربي - بيروت، ط1، 2001م.

الأصفهاني: **تفسير الراغب الأصفهاني**، تحقيق: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، 1420هـ-1999م.

الأصفهاني، الحسن بن محمد المعروف بالراغب (ت: 502هـ): **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، تحقيق: د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام - القاهرة، 1428هـ-2007م.

الأصفهاني، الحسن بن محمد المعروف بالراغب (ت: 502هـ): **المفردات في غريب القرآن.**

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ): **الصحيح الجامع الصغير وزيادته**، المكتب الإسلامي.

الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله (ت 1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري ابن عطية، دار الكتب العلمية- بيروت ط1، 1415هـ.

ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس، الصنهاجي (ت: 1359هـ): **آثار ابن باديس**، تحقيق: عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط1، 1388هـ-1968م.

ابن باز، عبد العزيز بن عبد الله (ت: 1420هـ): **الدعوة إلى الله وأخلاق الدعاة**، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء – الرياض، 1423هـ-2002م.

البخاري، محمد بن اسماعيل (ت: 256هـ): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه**، ط1، 1420هـ.

البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: 510هـ): **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 1420هـ.

البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن (ت: 885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآي والسور**، دار الكتاب الإسلامي – القاهرة.

البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1418هـ.

الترمذي، محمد بن علي بن الحسن (ت: 320هـ): **الأمثال من الكتاب والسنة**، تحقيق: السيد الجميلي، دار ابن زيدون- بيروت.

الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى (ت: 279هـ): **سنن الترمذي**، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط2، 1395هـ-1975م.

ابن تيمية، أحمد عبد الحليم (ت: 728هـ): **مجموع الفتاوي**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، 1416هـ-1995م.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 427هـ): **الكشف والبيان عن تفسير القرآن**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط1، 1422هـ-2002م.

الثعلبي، أحمد بن محمد بن بدر النيسابوري: **قصص الأنبياء**، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني، الطبعة الأخيرة.

الجبرين، عبد الله بن عبد العزيز بن حمادة: **تسهيل العقيدة الإسلامية**، دار العصيمي للنشر والتوزيع، ط2.

الجربوع، عبد الله بن عبد الرحمن: **الأمثال القرآنية القياسية المضروبة للإيمان بالله**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، ط1، 1424هـ-2003م.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين (ت: 816هـ): **التعريفات**، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1403هـ-1983م.

الجزائري: **نداءات الرحمان لأهل الإيمان**، مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط3، 1421هـ-2001م.

الجزائري، جابر بن موسى بن عبد القادر: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط 5، 1424هـ–2003م.

ابن جزة، محمد بن أحمد بن محمد بن عبد الله (ت: 741هـ): **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، ط1، 1416هـ.

الجصاص، أحمد بن علي أبو بكر الرازي (ت: 270هـ): **أحكام القرآن**، تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ–1994م.

الجميلي: **الإعجاز العلمي في القرآن**، دار الوسام – بيروت، ودار مكتبة الهلال، ط2، 1992م.

الجميلي، السيد: **الإعجاز الطبي في القرآن**.

ابن الجوزي: **تلبيس إبليس**، تحقيق: د. السيد الجميلي، دار الكتاب العربي – بيروت، ط1، 1405هـ–1980م.

ابن الجوزي: **زاد المسير في علم التفسير**، المكتب الإسلامي – بيروت، ط3، 1404هـ.

الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ): **التذكرة في الوعظ**، تحقيق أحمد عبد الوهاب فتيح، دار المعرفة – بيروت، ط1، 1406هـ.

الجوهري، إسماعيل بن حماد (ت: 393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1407هـ–1987م.

الحارثي، محمد بن علي بن عطية (ت: 386هـ): **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام**، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 1426هـ–2005م.

الحجازي، محمد محمود: **التفسير الواضح**، دار الجيل الجديد – بيروت، ط10، 1413هـ.

الحموي، أحمد بن محمد بن علي الفيومي (ت: 770هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية- بيروت.

ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل هلال بن أسد (ت: 241هـ): **مسند الإمام احمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب أرناؤوط- عادل مرشد، مؤسسة الرسالة، ط1، 1421هـ-2001م.

أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف (ت: 745هـ): **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، 1420هـ.

الخادمي، محمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان (ت" 1156هـ): **بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية**، مطبعة الحلبي، 1348هـ.

الخالدي، صلاح عبدالفتاح: **مع قصص السابقين في القرآن**، دار القلم- دمشق، ط1، 1409هـ-1988م.

خان، وحيد: **الإسلام يتحدى**،، دار البحوث العلمية، ط1، 1970م.

الخطيب، أحمد بن علي ثابت البغدادي (ت: 462هـ): **الزهد والرقائق**، تحقيق: د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية- بيروت، ط1، 1420هـ-2000م.

الخطيب، عبد الكريم يونس (ت: 1390هـ): **التفسير القرآني للقرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار الفكر العربي -القاهرة. دار القلم، الدار الشامية - دمشق، بيروت، ط1، 1412هـ.

أبو خليل، شوقي: **الإنسان بين العلم والدين**، دار الفكر- بيروت، ط5.

دروزة، محمد عزت: **التفسير الحديث**، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، 1383هـ.

ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي (ت: 321هـ): **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، ط1، 1987م.

ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد (ت: 281هـ)، **محاسبة النفس**، تحقيق: مجدي السيد إبراهيم وعبد الله الشرقاوي، مؤسسة الكتب الثقافية/ دار الكتب العلمية- مكتبة القرآن – بيروت.

الدنيوري، عبد الله بن مسل بن قتيبة (ت: 276هـ): **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت.

الرازي، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن مطر والقادر (ت: 666هـ): **أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب أي التنزيل**، تحقيق: د. عبد الرحمن بن إبراهيم المطراوي، دار عالم الكتب – السعودية، ط1، 1413هـ-1991م.

الرازي، فخر الدين محمد بن عمر التميمي (ت: 604هـ): **مفاتيح الغيب**، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1421هـ-2000م.

رضا، محمد رشيد بن علي (ت: 1354هـ): **تفسير المنار**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.

الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني (ت: 1205هـ): **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية.

الزجاج، إبراهيم بن السرى بن سهل (ت: 311هـ): **معاني القرآن وإعرابه**، عالم الكتب- بيروت، ط1، 1408هـ-1988م.

الزحيلي: **التفسير الوسيط**، دار الفكر – دمشق، ط1، 1422هـ.

الزحيلي، وهبة بن مصطفى: **التفسير المنيرفي العقيدة والشريعة والمنهج**، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط2، 1418هـ.

الزمخشري، محمود بن عمر (ت: 538هـ): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار احياء التراث العربي – بيروت.

ابن أبي زمنين، محمد بن عبد الله بن عيسى (ت: 399هـ): **تفسير القرآن العزيز**، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر، ط1، 1423هـ–2002م.

زهران، حامد عبد السلام: **التوجيه والإرشاد النفسي**، عالم الكتب، ط3.

أبو زهرى، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد (ت: 1394هـ): **المعجزة الكبرى القرآن**، دار الفكر العربي.

سابق، سيد: **إسلامنا**، دار الكتاب العربي – بيروت.

السعدي، عبد الرحمن بن ناصر (ت: 1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلي، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ–2000م.

السلمي، أبو محمد عز الدين عبد العزيز عبد السلام بن أبي القاسم: **مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل**، تحقيق: إياد خالد الطباع، دار الفكر – دمشق، ط1، 1416هـ–1995م.

السلمي، محمد بن الحسين بن موسى (ت: 412هـ): **حقائق التفسير**، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية – بيروت، 1421هـ– 2002م.

السمرقندي، نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم (ت: 373هـ): **تنبيه الغافلين بأحاديث سير الأنبياء والمرسلين**، تحقيق: يوسف علي بديوي، دار ابن كثير –بيروت، دمشق، بيروت، ط3، 1421هـ–2000م.

السمعاني، منصور بن محمد عبد الجبار (ت: 489هـ): **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم, وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن– الرياض، ط1، 1418هـ–1997م.

السنيكي، زكريا بن محمد بن أحمد (ت: 926هـ): **غاية الوصول في شرح لب الأصول**، دار الكتب العربية الكبرى – مصر.

السوالمة، عبد الله مرحول: **البركة في الرزق والأسباب الجالبة له في ضوء الكتاب والسنة**، الجامعة الإسلامية – المدينة النورة، ط1، العدد 199، 1423هـ-2003م.

السيوطي: **لباب النقول في أسباب النزول**، تحقيق: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية – بيروت.

السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين (ت: 911هـ): **الاتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ-1974م.

الشافعي، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب (ت: 977هـ): **السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربنا الحكيم الخبير**، بولاق – القاهرة، 1285هـ.

ابن الشريف، محمود: **الأمثال في القرآن**، دار المعارف- مصر.

الشعراوي، محمد متولي (ت: 1418هـ): **الخواطر**، ج19، مطابع أخبار اليوم، 1997م.

الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار (ت: 1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، تحقيق: مكتبة البحوث والدراسات، دار الفكر- بيروت، 1415هـ-1995م.

الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت: 1250هـ): **فتح القدير**، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت، ط1، 1414هـ.

ابن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم (ت: 235هـ): **المصنف في الأحاديث والآثار**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط1، 1409هـ.

الصابوني، محمد علي: **صفوة التفاسير**، دار الصابوني – القاهرة، ط1، 1417هـ-1997م.

أبي طالب: **ديوان علي بن ابي طالب.**

الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار الفكر – بيروت، 1405هـ.

طعيمة، صابر: **المعرفة في منهاج القرآن الكريم**، دار الجيل – بيروت.

طنطاوي، محمد سيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، دار نهضة مصر للطباعة – القاهرة، ط1.

الطيب، محمد بن علي (ت: 436هـ) **المعتمد في أصول الفقه**، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية– بيروت، ط1، 1403هـ.

ابن عاشور، محمد الطاهر (ت: 1284هـ): **التحرير والتنوير**، دار سحنون – تونس،1997م.

عباس، فضل حسن: **إعجاز القرآن الكريم**، عمان، 1991م.

عبد الكريم، راشد بن حسين: **الدروس اليومية والسنن والأحكام الشرعية**، الناشر: موقع الأوقاف السعودية.

عبد الله، محمد محمود: **عالم الحيوان بين العلم والقرآن**، دار الرشيد – دمشق، مؤسسة الإيمان – بيروت، ط1، 1417هـ– 1996م.

العبدري، محمد بن محمد (ت: 737هـ): **المدخل**، دار الفكر، 1401هـ–1981م.

العثيمين محمد بن صالح بن محمد (ت: 1421هـ): **فتح البرية بتلخيص الحموية**، دار الوطن للنشر – الرياض.

العثيمين: **تفسير الفاتحة والبقرة**، دار ابن الجوزي – السعودية، ط1، 1423هـ.

ابن عجيبة، أحمد بن محمد بن المهدي، (ت: 1224هـ): **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة، 1419هـ.

العرابلي، عبد المجيد عثمان: **حقيقة السماوات والأرض كما صورها القرآن**، مجدلاوي – الأردن، 2006م.

ابن العربي، محمد بن عبد الله (ت: 543هـ): **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط3، 1424هـ–2003م.

ابن عطية، عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن (ت: 542هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، 1422هـ.

العفاني، سيد بن حسين بن عبد الله: **نداء الريان في فقه الصوم وفضل رمضان**، دار ماجد عسيري – جدة.

علي، محمد سامي محمد: **الإعجاز العلمي في القرآن الكريم**، دار المحبة – دمشق.

العمادي، محمد بن محمد أبو السعود (ت: 951هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم**، احياء التراث العربي – بيروت.

الغزالي، محمد (ت: 505هـ): **أحياء علوم الدين**، دار المعرفة – بيروت.

ابن غيهب، بكر بن عبد الله أبو زيد بن محمد بن عبد الله (ت: 1429هـ): **الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان**، دار العاصمة، ط1، 1417هـ.

ابن فارس أحمد بن زكريا (ت: 395هـ): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، داري الجيل – لبنان، ط2, 1420هـ–1991م.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد (ت: 175هـ): **كتاب العين**، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال.

ابن فورك، محمد بن الحسن (ت: 406هـ): **تفسير ابن فورك**، جامعة أم القرى – السعودية، ط1، 1430هـ.

الفيروز آبادي (ت: 817هـ): **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة احياء التراث الإسلامي– القاهرة، 1416هـ–1996م.

القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد (ت: 1332هـ): **موعظة المؤمنين من أحياء علوم الدين**، دار الكتب العلمية، 1415هـ–1995م, تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان.

القرطبي, محمد بن أحمد الأنصاري (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني و إبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط2، 1384هـ–1964م.

قرموز، ذياب: **مع الطب في القرآن الكريم**،، مؤسسة علوم القرآن.

القرني، علي عبد الخالق: **دروس صوتية**.

القشيري، عبد الكريم بن هوازن: **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية للكتاب – مصر، ط3.

القطان، مناع بن خليل، (ت: 1420هـ): **مباحث علوم القرآن**، مكتبة المعارف، ط3، 1412هـ–2000م.

القمي، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين (ت: 728هـ): **تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات. دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1416هـ–1996م.

القيرواني، علي بن فضال بن علي بن غالب (ت: 479هـ): **النكت في القرآن الكريم**، تحقيق: عبد الله عبد القادر الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1428هـ- 2007م.

القيرواني، مكي بن أبي طالب: **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم القرآن وتفسيره**، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات العليا والبحث العلمي، الشارقة، ط1، 1429هـ-2008م.

ابن القيم: **الأمثال في القرآن الكريم**، تحقيق: أبو حذيفة إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة – مصر، ط1، 1406هـ-1986م.

ابن القيم: **الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة**، دار الكتب العلمية – بيروت.

ابن القيم: **الفوائد**، دار النفائس – بيروت، ط1، 1399-1979م.

ابن القيم: **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال- بيروت، ط1، 1410هـ.

ابن القيم: **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، مطبعة المدني – القاهرة.

ابن القيم: **رسالة ابن القيم إلى أحد إخوانه**، تحقيق: عبد الله بن محمد المديغر، مطابع الشرق الأوسط – الرياض، ط1، 1420هـ.

ابن القيم: **روضة المحبين ونزهة المشتاقين**، دار الكتب العلمية.

ابن القيم: **مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق محمد المعتصم بالله، دار الكتاب العربي – بيروت، 1416هـ-1996م.

ابن القيم: **مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة**، دار الكتب العلمية بيروت.

ابن القيم، محمد بن أبي بن أيوب بن قيم الجوزية (ت: 751هـ): **الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي**، دار المعرفة - المغرب، 1418هـ-1997م.

ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط 1، 1419هـ.

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني (ت: 1094هـ): **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة- بيروت، 1419هـ- 1998م.

لماضة، عاطف: **قصص الأنبياء للأبناء**، دار الصحابة للتراث- طنطا، 1417هـ.

ماريني، عبد الرحيم: **موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة**، دار المحبة - دمشق، ودار آية- بيروت، ط1، 2006م.

الماوردي، علي بن محمد بن حبيب (ت: 450هـ): **النكت والعيون**، تحقيق: السيد بن عبد المقصود بن عبد، دار الكتب العلمية - بيروت.

مجاهد، بن جبر (ت: 104هـ: **تفسير مجاهد**، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي - مصر، ط1، 1410هـ-1989م.

المحاسبي، الحارث بن أسد (ت: 243هـ): **رسالة المسترشدين**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية - حلب، ط2، 1391هـ-1971م.

محمود، إبراهيم: **حقائق علمية في القرآن عن الحيوان**، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.

المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ): **تفسير المراغي**، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر، ط1، 1365هـ-1946م.

المرسي، أبو الحسن علي بن إسماعيل (ت: 458هـ): **المحكم والمحيط الأعظم**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1421هـ-2000م.

مسلم، أبو الحسن بن الحجاج النيسابوري (ت: 261هـ): **صحيح مسلم**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

المطلق، إبراهيم بن عبد الله: **التدرج في دعوة النبي**، وزارة الشؤون والأوقاف والإرشاد- مركز البحوث والدراسات الاسلامية، ط1، 1417هـ.

مقاتل، بن سليمان بن بشير البلخي (ت: 150هـ): **تفسير مقاتل بن سليمان**، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1.

المناوي، محمد عبد الرؤوف (ت: 1031هـ): **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق د. رضوان الداية، دار الفكر المعاصر – بيروت، ط1، 410هـ.

ابن منظور، محمد بن مكرم (ت: 711هـ): **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، ط3، 1414هـ.

النابلسي، محمد راتب: **الإعجاز العلمي في القرآن والسنة آيات الله في الآفاق**، دار المكتبي- دمشق، ط3، 1428هـ-2007م.

النجار: **تفسير الآيات الكونية في القرآن**، مكتبة الشروق الدولية – القاهرة، ط1، 1428هـ-2007م.

النجار، زغلول: **النبات في القرآن الكريم**، مكتبة الشروق – القاهرة، ط1، 1426هـ-2005م.

النجار، عبد الوهاب: قصص الأنبياء، دار الكتب العلمية – بيروت، ط3.

النحلاوي، عبد الرحمن: **التربية بالعبرة**، دار الفكر – دمشق، ط1، 1997م.

النخجواني، نعمة الله بن محمود (ت: 920هـ): **الفواتح الإلهية والمفاتح الغيبية الموضحة للكلم القرآنية والحكم الفرقانية**، دار ركابي للنشر – مصر، ط1، 1419هـ-1999م.

ابن الهائم، أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي (ت: 815هـ): **التبيان في تفسير غريب القرآن**، تحقيق د. ضاحي عبد الباقي محمد، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط1، 1422هـ.

الهروي، عبد الله الأنصاري (ت: 481هـ) **منازل السائرين**، دار الكتب العلمية – بيروت، 1408هـ - 1998م.

أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: 395هـ): **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة – القاهرة.

الهيتمي، أحمد بن محمد بن علي بن حجر (ت: 974هـ): **الزواجر عن اقتراف الكبائر**، دار الفكر، ط1، 1407هـ-1987م.

الواحدي، علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ): **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم والدار الشامية- دمشق، بيروت، ط1، 1415هـ.

اليوسف، عبد الرحمن بن عبد الخالق: **الحد الفاصل بين الإيمان والكفر**، الدار السلفية -الكويت، سط5، 1408هـ-1988م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

A call for learning of past experience “Quranic study”

By
Amena Abd-Alkarem Abd-Alhamed Fakhore

Supervised By
Dr. Mohsen Al-Khaledi

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Fundamentals of Islamic Law (Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2014

A call for learning of past experience "Quranic study"
By
Amena Abd-Alkarem Abd-Alhamed Fakhore
Supervised By
Dr. Mohsen Al-Khaledi

Abstract

Verses of the Quran contains a lot of Pearls, which are needed to manage and think out it's treasures. Inexhaustible throughout the ages, from these Pearls I extract through the meditation of some verses "Call to mind", so I studied verses that relate to account koranic objective study.

This study is based on a collection of verses that relate to consideration whether carried the term consideration itself with it, or carried the meaning of consideration in the folds although not declare verbally. The study found that the consideration has several meanings of linguistic, and that the contents of the first chapter of the research.

The verses has urged to take cues and lesson. Through a call to ponder and contemplation and meditation, verses divided consideration into to: account by views. This is what the Almighty has commanded worship. He said: "so take warning , O people of vision" Hashr: 2.

The second part of the consideration, Account by Meroitic, the Almighty said: "there was certainly in their stories a lesson for those of understanding" Joseph: 111.

Been talked about the wordy carries between its folds the meaning of consideration, after verses of consideration have been devising ways and means lead to take the lesson and cues. These methods are: Meditation, thinking, pondering, and remembrance.

The second chapter has included on the anti reasons of consideration, The most important of these reasons: Unbelief, Tendency to luxury. The negligence and reluctance to verses and a rrogance and vanity.

The third chapter, has included on areas of the consideration in the Koran, Among these areas: account what in the universe of verses. These verses include: creation of the heavens and the earth, The creation of man, The creation of plant, And the creation of animal, Then account the stories of ex- , The researcher has chosen among these stories the story of Adam, peace be upon him, The story of Moses, peace be upon him, And story of paradise holders.

Then consider the Koran parables, has been introduced three Koranic parables includes Lesson and sermon. These aphorisms are: Instance as mosquito. Instance as spider, And instance as right and wrong.

The fourth chapter talks about the results of consideration, and the most important results: Increased faith in God Almighty, the conviction and asceticism in the world, And God piety and fear.